

# المثل السائر

في أدب الكاتب والشاعر  
لضياء الدين بن الأشير

قدمه وعلق عليه

دكتور أحمد السجواني و دكتور بدوي طبانة

القسم الثالث



## النوع السابع عشر

### في التكرار

قد تقدم الكلام في صدر كتابي هذا على تكرار الحروف ،  
وما [ أشبه ] ذلك مما يختلط بهذا النوع القوي هو « تكرير المعاني  
والألفاظ » .

واعلم أن هذا النوع من مقارنات علم البيان ، وهو دقيق المأخذ .

وحدته هو : دلالة اللفظ على المعنى مرددا ، وربما اشتبه على أكثر الناس  
بالإطناب مرة وبالتطويل أخرى . وقد تقدم الكلام على الفرق بين هذه  
الأنواع الثلاثة في باب الإطناب (١) فلا حاجة إلى إعادته هاهنا .

وأما التكرير فقد عرفته ، وهو ينقسم قسمين :

أحدهما يوجد في اللفظ والمعنى

والآخر يوجد في المعنى دون اللفظ . فأما الذي يوجد في اللفظ والمعنى

فكقولك لمن تستدعيه « أتيرع أتيرع » ومنه قول أبي الطيب المتنبي (٢) :

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ جِبْرَائِيلَ وَمِثْلِي لِمِثْلِي عِنْدَ مِثْلِهِمْ مُقَامٌ

وأما الذي يوجد في المعنى دون اللفظ فكقولك : « أظني ولا تمصني » .

فإن الأمر بالطاعة نهى عن الممصية .

(١) أنظر صفحة ٣٥٧ من القسم الثاني من هذه الطبعة .

(٢) ديوان المتنبي ٧٩/٤ من قصيدته في مدح الميث بن علي العجلي ، ومطلعها :

فؤاد ما تسليه اللدام وعمر مثل ما تهب اللثام

وكل من هذين التسمين ينقسمُ إلى مُفيدٍ ، وغير مُفيدٍ :

ولا أغني بالمُفيدِ ها هنا ما يَمْنِيهِ النُّحاةُ ، فإنه عندهم عبارة عن النظر  
للمركب ، إقامين الاسم مع الاسم ، بشرط أن يكون للأول بالثاني علاقة مَعْنَى  
يَسَعُ مَكَلَّفًا جَمَلًا ، وإما من الاسم مع الفعل التامُّ للتصرف على الشرطِ أيضاً ،  
وإما من حرف النداء مع الاسم ، فهذا هو المُفيدُ عند النُّحاة .

وأنا لم أقصد ذلك ها هنا ، بل مقصودي من التَّفِيدِ أن يأتي لعنى ، وغير  
للفيد أن يأتي لغير معنى .

واعلم أن لفيد من التكرير يأتي في الكلام تأكيداً له وتشييداً من أمره .  
وإنما يُنمَلُ ذلك للدلالة على العِنَايَةِ بالشئ الذى كررت فيه كلامك ؛  
إما مُبالغة في مدحه ، أو في ذمّه أو غير ذلك ، ولا يأتي إلا في أحد طرفي الشئ  
المقصود الذكر ، والوسطُ عارٍ منه ، لأنَّ أحدَ الطرفين هو المقصود بالمبالغة ،  
إما بمدحٍ أو ذمٍّ أو غيرها ، والوسطُ ليس من شرطِ المبالغة ، وغيرُ المُفيدِ  
لا يأتي في الكلام إلا عيًّا وخطلاً من غير حاجة إليه .

[ التكرير في اللفظ والمعنى ]

أما الأول ، وهو الذى يوجد في اللفظ والمعنى ، فإنه ينقسم إلى ضربين :  
مُفيدٍ ، وغير مُفيدٍ .

فالأول المُفيد ، وهو فرعان :

الأول : إذا كُلم التكرير في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد والقصود به

عرضه مختلفاه :

كقوله تعالى ﴿ وَإِذْ بَعَدَكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنهَآ لَكُمْ ،  
وَتَوَدُونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ، وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحَقِّقَ  
الْحَقَّ بِحِمَاتِهِ وَيَقَطَعَ دَائِرَةَ الْكَافِرِينَ ، لِاحِقَّ الْحَقُّ وَيُبْطَلُ الْبَاطِلُ  
وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ <sup>(١)</sup> ﴾

هذا تكرير في اللفظ والمعنى ، وهو قوله « يحق الحق » و« ليحقق الحق » .  
وإنما جيء به ها هنا لاختلاف المراد ، وذلك أن الأول تمييز بين الإرادتين ،  
والثاني بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها ، وأنه ما نصرهم  
وخذّل أولئك إلا لهذا الغرض .

ومن هذا الباب قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ  
أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ • قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ • قُلْ  
اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي • فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ <sup>(٢)</sup> ﴾ .

فكرر قوله تعالى : « قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ »  
وقوله « قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي » والمراد به فرضان مختلفان ، وذلك أن

(١) سورة الأنفال : الآيتان ٨ و٧ .

(٢) سورة الزمر : الآيات ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ .

الأوّل إخباراً بأنه مأثورٌ من جوةِ اللهِ بالعبادةِ له والإخلاصِ في دينه ، والثاني إخباراً بأنه يخصُّ اللهَ وحده دونَ غيره بعبادته ، مخلصاً له دينه ، ولدلائله على ذلك قدّم المعبودَ على فعلِ العبادةِ في الثاني ، وأخره في الأوّل ، لأنّ الكلامَ أولاً واطّبع في الفعلِ نفسه وإيجادِهِ ، وثانياً فيمن يفعلُ الفعلَ من أجله ، ولذلك رتب عليه « فاعبدوا ما شئتم من دونه » .  
وعليه وردَ قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ آمَنُ بِذُهِبِهِمْ حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (١) .

وظاهر الأوّل والثاني أنهما سواء في اللفظ ، وليس كذلك ، لأنّ الثاني فيه تخصيصٌ غيرٌ موجودٍ في الأوّل ، ألا ترى أنا إذا قلنا « زيدٌ الأفضل » وقلنا « الأفضل زيدٌ » كان في الثاني تخصيصٌ له بالفضل ، وهذا التخصيصُ لا يوجدُ في القولِ الأوّل الذي هو « زيدٌ الأفضل » ويجوز أن تُبدلَ صفةُ الفضلِ فيه بغيرها أو بضدّها ، فيقال « زيدُ الأَجَل » أو « زيدُ الأَقص » وإذا قلنا « الأفضل زيدٌ » وجب تخصيصُهُ بالنفس ، ولم يكن تغييرُ عنه .

وكذلك يجزى الحكمُ في هذه الآيات ، فإنّ الله تعالى قال : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ » ثم قال : « لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ » « فوصفهم بالامتناعِ عن الذهابِ إلا بإذنه ، وهذه صفةٌ يجوزُ أن تُبدلَ بغيرها

من الصفات . كما قال تعالى في موضع آخر ﴿ إِنَّكَ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ  
وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ (١) .

فجاء بصفة غير تلك الصفة . ولما قال : « إن الذين يستأذنونك أولئك  
الذين يؤمنون بالله ورسوله » وجب تخصيصهم بذلك الوصف دون غيره ،  
وهذا موضع حسن في تكرير المعاني .

ومما يعثمن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ \* لَا أَعْبُدُ  
مَا تَعْبُدُونَ \* وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ \* وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ \*  
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ \* لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (٢) .

وقد ظن قوم أن هذه الآية تكريرٌ لا فائدة فيه ، وليس الأمر كذلك ،  
فإن معنى قوله « لا أعبد » يعنى في المستقبل بين عبادة آلهتكم ، ولا أنتم  
تاعلون فيه ما أطلبه منكم من عبادة إلهي ، « ولا أنا عابدٌ ما عبدتم » .  
أى : وما كنتُ عابداً تدافعاً فيما سلف ما عبدتم ، يعنى أنه لم يمتد بيني  
عبادة صنم في الجاهلية في وقت ما ، فكيف يرجى ذلك مني في الإسلام ؟  
« ولا أنتم عابدون » في الماضي في وقت ما ما أنا على عبادته الآن .

ومما يجزى هذا الجزى قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* الْحَمْدُ  
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (٣) .

(١) سورة الحجرات : الآية ١٥ .

(٢) سورة الكافرون .

(٣) سورة فاتحة الكتاب : الآيات ١ و٢ و٣ .

فكرر « الرحمن الرحيم » مرتين ، والفائدة في ذلك أن الأول يتعلق  
بأمر الدنيا ، والثاني بأمر الآخرة .

فما يتعلق بأمر الدنيا يرجع إلى خلق المالكين في كونه خلق كلاً منهم  
على أكمال صفة ، وأعطاه جميع ما يحتاج إليه حتى البقرة والذباب . وقد يرجع  
إلى غير الخلق كإدراك الأرزاق وغيرها .

وأما ما يتعلق بأمر الآخرة فهو إشارة إلى الرحمة الثانية في يوم القيامة .  
ذى ذو يوم الدين .

وبالجملة فاعلم أنه ليس في القرآن مكرراً لا فائدة في تكرره ،  
فإن رأيت شيئاً منه تكرر من حيث الظاهر فأنتم نظرك فيه فانظر إلى سوابقه  
وتوابعه ، لتكشف لك الفائدة منه .

ومما ورد في القرآن الكريم مكرراً قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ  
الْمُرْسَلِينَ • إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ • إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ  
أَمِينٌ • فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا • وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ  
إِلَّا عَلَى رَبِّ الْمَالِكِينَ • فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا <sup>(١)</sup> ﴾ .

فكرر قوله : « فاتقوا الله وأطيعوا <sup>(٢)</sup> » ، إيؤكداه عندهم ، ويقرره  
في نفوسهم ، مع تعليق كل واحد منهما بملء ، فجعل علة الأول كونه أميناً  
فيما بينهم ، وجعل علة الثاني حسن طمعه فيهم ، وخلوه من الأغراض  
فيما يدعوهم إليه .

(١) سورة الشعراء : الآيات ١٠٥ - ١١٠ .

(٢) زيادة عن الأصل يقتضيهما السياق .



ومن هذا الحق قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ . وَثَمُودٌ وَقَوْمٌ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ . إِنْ كُنَّ إِلَّا كَذِبَ الرُّسُلِ فَحَقَّ عِقَابٌ <sup>(١)</sup> ﴾

وإنما كرر تكذيبهم هاهنا لأنه لم يأت على أسلوب واحد ، بل تنوع فيه بضروب من الصنعة ، فذكره أولاً في الجملة الخبرية على وجه الإهام ، ثم جاء بالجملة الاستثنائية ، فأوضحه بأن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل ، لأنهم إذا كذبوا واحداً منهم فقد كذبوا جميعهم . وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إهامه ، والتنوع في تكريره بالجملة الخبرية أولاً ، وبالاستثنائية ثانياً ، وما في الاستثناء من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص لليلة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العذاب وأبلغه .

وهذا باب من تكرير اللفظ والمعنى حسن غامض ، وبه تعرف مواقع التكرير ، والفرق بينه وبين غيره ، فأنه إن شاء الله تعالى .

الفرع الثاني من الضرب الأول <sup>(٢)</sup> :

إذا كان التكرير في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد ، والمزاد به غرض واحد ، كقوله تعالى : ﴿ قَتِيلٌ كَيْفَ قَدَرَهُ . ثُمَّ قَتِيلٌ كَيْفَ قَدَرَهُ <sup>(٣)</sup> ﴾ .

والتكرير دلالة التعجب من تقديره ، وإصابته الفرض ، وهذا كما يقال : ﴿ قَتَلَهُ اللهُ مَا أَشْجَمَهُ أَوْ مَا أَشْعَرَهُ . ا . ﴾

(١) سورة ص : الآيات ١٢ و ١٣ و ١٤ .

(٢) أى التكرير المفيد .

(٣) سورة المدثر : الآيات ١٩ و ٢٠ .

وعليه وَرَدَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

« أَلَا يَا اسْمِي نُمُّ اسْمِي نُمَّتْ اسْمِي <sup>(١)</sup> »

وهذا مبالغة في الدعاء لها بالتسمية ، وكل هذا يُجَاهُ بِهِ لتقرير المعنى المراد إثباته .

وعليه ورد الحديث النبوي ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

« إِنَّ بَنِي هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُونِي أَنْ يُنْفَكِحُوا ابْنَتَهُمْ عَلِيًّا ،  
فَلَا آذَنُ ، ثُمَّ لَا آذَنُ ، ثُمَّ لَا آذَنُ ، إِلَّا أَنْ يُطَلَّقَ عَلِيٌّ ابْنَتِي وَيُنْفَكِحَ  
ابْنَتَهُمْ »

فقوله « لَا آذَنُ ثُمَّ لَا آذَنُ ، ثُمَّ لَا آذَنُ » من التكرير الذي هو أشدُّ  
موقفاً من الإيجاز ، لأنصبايب العناية إلى تأكيد القول في منع عليٍّ - رضي الله  
عنه - من التزويج بابتنة أبي جهل بن هشام .

وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

ومن أجل ذلك نقول : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ » لأن قولنا  
« لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » مثل قولنا « وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ » وهما في المعنى سواء ،  
وإما كبرنا القول فيه لتقرير المعنى وإثباته ، وذلك لأن من الناس من يخالف  
فيه كالتصاريق والتشويبة .

(١) صدر بيت وعجره \* ثلاث تحيات وإن لم تكلمني \* والبيت في ديوان الحماسة ٢/٦٣٧

والبيت ثلاث ثلاثة أبيات رواها أبو تمام ، ولم ينسبها لصاحبها ، والأبيات هي :

ولا غرو إلا ما يخبر سالم      بأن بني أشباهها نذروا دى  
ومالى من ذنب لايهم علمته      سوى أنني قد قلت يا سرحة اسمي  
نم فاسمى تم اسمى نمت اسمى      ثلاث تحيات وإن لم تكلمى

(٢) سورة القيامة : الآيات ٣٤ و٣٥

والتكريرُ في مثلِ هذا المقامِ أبلغُ من الإيجازِ ، وأحسنُ وأشدُّ موقفاً  
ومما جاء في مثلِ هذا قوله تعالى : ﴿ اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُبَثِّرُ سَحَابًا  
فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ، وَيَجْعَلُهُ كَيْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ،  
فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۗ وَإِن كَانُوا مِنْ قَبْلِ  
أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ كَافِرِينَ ۝ (١) ۙ

قوله : « مِنْ قَبْلِهِ » بعد قوله : « مِنْ قَبْلِ » فيه دلالةٌ على أن عهدَهُم  
بالمطرِ قد بُدئ وتناول ، فاستحكم بأسمهم ، وتمادى إبلانهم (٢) ، فكان  
الاستبشارُ على قدرِ اغتنامهم بذلك .

وعلى ذلك وردَ قوله تعالى : ﴿ قَالُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ  
الْآخِرِ ، وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ ۝ (٣) ۙ

فقوله : « لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ » يقومُ مقامَ قوله  
« وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ » ، لأنَّ من لا يؤمنُ باللَّهِ ولا باليومِ الآخرِ لا يدينُ  
دينَ الحقِّ ، وإنما كرَّرَ هاهنا للخطبِ على الأمورِ بقتلهم ، والتسجيلِ عليهم  
بالدِّمِّ ، ورتبهم بالعظائمِ ، ليكونَ ذلكَ أدعى لوجوبِ قتالهم وحرمانهم .

وقد قلنا : إن التكريرَ إنما يأتي لما أهمُّ من الأمرِ ، بصرفِ العنايةِ إليه  
ليثبت ويتقرر .

وكذلك وردَ قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعَجَّبْتَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أُذُنًا كُنَّا

(١) سورة الروم : الآيتان ٤٨ و ٤٩

(٢) الإبلان اليأس ، يقال : أبلس إذا يئس .

(٣) سورة التوبة الآية ٢٩ .

تُرَابًا أُنْبُثًا لَنَفِي خَلَقِ جَدِيدٍ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ، وَأُولَئِكَ  
الْأَغْلَالُ فِي أَعْقَابِهِمْ ، وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ <sup>(١)</sup> ﴿

فتكريرُ لفظَةِ « أُولَئِكَ » من هذا البابِ الذي أشرنا إليه ، لمكان  
شدة النكير ، وإغلاظ العقاب بسبب إنكارهم البعث .

وعلى هذا وردَ قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ  
هُمْ الْأَخْسَرُونَ <sup>(٢)</sup> ﴾ .

فإنه إنما تكررت لفظَةُ « هُمْ » للإيذانِ بتحقيقِ التلصاق ، والأصلُ فيها  
وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ الْأَخْسَرُونَ ، لكن لما أريدَ تأكيدُ ذلكَ جيءَ بتكريرِ  
هذه اللفظةِ المُشارِ إليها .

وكذلكَ قوله تعالى : ﴿ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا <sup>(٣)</sup> ﴾ .  
وأمثالُ هذا في القرآنِ كثيرٌ .

وكذلكَ وردَ قوله تعالى في سورةِ القصصِ :

﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ، فَإِذَا الَّذِي ائْتَنَصَرَهُ بِالْأَمْسِ  
بَسْتَضَرِّخُ قَالَ ، أَيْهَ مُوسَى إِنَّكَ أَنْعَمَى مُبِينٌ • فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي  
هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ <sup>(٤)</sup> ﴾ .

(١) سورة الرعد : الآية ٥ .

(٢) سورة النمل : الآية ٥ .

(٣) سورة الحشر : الآية ١٧ .

(٤) سورة القصص : الآيتان ١٨ و ١٩ .

فقوله تعالى « فلما أن أراد أن يبطش » بتكرير « أن » مرتين دليل  
على أن مؤمنى - عليه السلام - لم تكن مسارعته إلى قتل الثانى كما كانت  
مسارعته إلى قتل الأول ، بل كان عنه إبطاء في بسط يده إليه ، فعبّر القرآن  
عن ذلك في قوله تعالى « فلما أن أراد أن يبطش » .

وجرت بيى وبين رجل من النعمانيين مفاوضة في هذه الآية ، فقال : إن  
( أن ) الأولى زائدة ، ولو حذفت فليل : فلما أراد أن يبطش ، لكان المعنى  
سواء ، ألا ترى إلى قوله تعالى « فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه » (١)  
وقد اتفق النحاة على أن « أن » الواردة بعد « لما » وقبل الفعل زائدة .

فقلت له : النحاة لافتياً لهم في مواقع الفصاحة والبلاغة ، ولأغندهم معرفة  
بأسرارها من حيث إنهم نحاة ، ولاشك أنهم وجدوا « أن » ترد بعد « لما »  
وقبل الفعل في القرآن الكريم وفي كلام فصحاء العرب ، فظنوا أن المعنى  
بوجودها كالمعنى إذا سقطت ، فقالوا : هذه زائدة . وليس الأمر كذلك ،  
بل إذا وردت « لما » وورد الفعل بعدها بإسقاط « أن » دل ذلك على الفور ،  
وإذا لم تستطع لم يدلنا ذلك على أن الفعل كان على الفور ، وإنما كان فيه  
تراخ وإبطاء .

وبيان ذلك من وجهين :

أحدهما : أتى أقول : فائدة وضع الألفاظ أن تكون أدلة على المعانى ،  
فإذا وردت لفظة من الألفاظ في كلام مشهور له بالفصاحة والبلاغة ، فالأولى

أن تُحْمَلَ تلك اللفظة على معنى ، فإن لم يوجد معنى بعد التنقيب والتفتير  
والبحث الطويل قيل : هذه زائدة ، دُخِلَها في الكلام كزوجها منه .

ولما نظرتُ أنا في هذه الآية وجدتُ لفظاً « أن » الواردة بعد « لما »  
وقبل الفعل دالة على معنى ، وإذا كانت دالة على معنى فكيف يسوغ  
أن يُقال إنها زائدة ؟ .

فإن قيل : إنها إذا كانت دالة على معنى فيجوز أن تكون دالة على  
غير ما أشرت أنت إليه .

قلتُ في الجواب : إذا ثبت أنها دالة على معنى فالذي أشرت إليه معنى  
مناسب واقع في موقعه ، وإذا كان مناسباً واقعاً في موقعه فقد حصل المرادُ منه ،  
ودلّ الدليلُ حينئذٍ أنها ليست بزائدة .

الوجهُ الآخر : أن هذه اللفظة لو كانت زائدة لكان ذلك قد حان في كلام  
الله تعالى ، وذلك أنه يكون قد نطقَ بزيادة في كلامه لا حاجةَ إليها ، والمعنى  
يتمُّ بدونها ، وحينئذٍ لا يكون كلامه مُنجزاً ، إذ من شرط الإعجاز عدمُ  
التطويل الذي لا حاجةَ إليه ، وإن التطويل عيبٌ في الكلام ، فكيف  
يكون ما هو عيبٌ في الكلام من باب الإعجاز ؟ هذا محال .

وأما قوله تعالى : « فلما أن جاء البشيرُ ألقاهُ على وجهه » فإنه إذا نظِرَ  
في قصة يوسف عليه السلام مع إخوته منذ القوة في الجُبِّ إلى أن جاء  
البشير إلى أبيه عليه السلام وجدَّ أنه كان نائمًا باطلاً بعيداً ، وقد اختلَبَ المفسرونُ  
في طول تلك المدة ، ولو لم يكن ثمَّ مدةٌ بعيدةٌ وأمدٌ متطاولٌ لما جرىء بأن بعدَ  
« لما » وقبلَ الفعل ، بل كانت تكون الآية : فلما جاء البشيرُ ألقاهُ على وجهه .

وهذه دقائق ورموز لا تُؤخذ من النحاة ، لأنها ليست من شأنهم .  
واعلم أن من هذا النوع قسماً يكون المعنى فيه مضافاً إلى نفسه مع  
اختلاف اللفظ ، وذلك يأتي في الألفاظ المترادفة .

وقد ورد في القرآن الكريم واستعمل في فصيح الكلام ، فمنه  
قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ  
الْأَلِيمِ ﴾ (١) والرجز هو العذاب .

وعليه ورد قول أبي تمام (٢)

سَوْسٌ يَثْقِلُ الْعَيْبُ مَضْطَلَعٌ بِهِ وَإِنْ عَظُمَتْ فِيهِ الْخَطُوبُ وَجَلَّتْ  
وَالثَّقَلُ هُوَ الْعَيْبُ ، وَالْعَيْبُ هُوَ الثَّقَلُ .

وكذلك ورد قول البحري (٣)

وَيَوْمَ تَمَثَّلَ لَلْوَدَاعِ وَسَلَّمَتْ بَعَيْنَيْنِ مَوْصُولًا بِلِحْظِهِمَا السَّخْرُ  
تَوَهَّنَتْهَا الْوَى رَأَجَفَانِهَا الْكَرَى

كَرَى النَّوْمِ أَوْ مَاتَ بِأَعْيَانِهَا الْخَمْرُ

فإن الكرَى هو النوم .

(١) سورة سبأ : الآية ٥ .

(٢) ديوان أبي تمام . من قصيدة له يمدح فيها حبيش بن العاق ، ومطلعها .

نسائلها أي المواطن حلت وأي بلاد أوطنتها وأيت

(٣) ديوان البحري ١/٥٤ من قصيدة له في مدح المتوكل مطلعها :

مضى لاج برق أوبدا طلل قفر جرى مستهل لا بكى ولا نزر

ورُبِّمَا أَشْكَلَ هَذَا الْمَوْضِعُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ مَتَاعِلَى هَذِهِ الصَّنَاعَةِ ، وَظَنُّوهُ  
تَمَّ لَا فَائِدَةَ فِيهِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، بَلِ الْفَائِدَةُ فِيهِ هِيَ التَّأْكِيدُ لِلْعَنَى الْمَقْصُودِ  
وَالْمِبَالَغَةُ فِيهِ .

أَمَّا الْآيَةُ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : « عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ » أَيْ : عَذَابٌ مُضَاعَفٌ  
مِنْ عَذَابٍ . وَأَمَّا بَيْتُ أَبِي تَمَّامٍ فَإِنَّهُ يَتَضَمَّنُ الْمِبَالَغَةَ فِي وَصْفِ الْمَدْرُوحِ  
تَحْمَلُهُ الْأَنْفَالُ .

وَأَمَّا بَيْتُ الْبَحْتَرِيِّ فَإِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَشْبَهَهُ طَرَفًا فَمَهَا لِفُتُورِهِ بِالنَّائِمِ ، فَكَرَّرَ  
الْمَعْنَى عَلَى طَرِيقِ الْمَضَافِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ تَأْكِيدًا لَهُ ، وَزِيَادَةً فِي بَيَانِهِ .

وَهَذَا الْمَوْضِعُ لَمْ يُذَكِّرْ عَلَيْهِ أَحَدٌ سِوَايَ .

وَلَرَبِّمَا أُذْخِلَ فِي التَّسْكِينِ مِنْ هَذَا النُّوعِ مَا لَيْسَ مِنْهُ وَهُوَ مَوْضِعٌ لَمْ يَذْكُرْهُ  
عَلَيْهِ أَيْضًا أَحَدٌ سِوَايَ .

فَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ  
بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَنَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup> فَلَمَّا تَكَرَّرَ  
« إِنَّ رَبَّكَ » مَرَّتَيْنِ عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ أَذَلُّ عَلَى الْمَغْفِرَةِ .

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا  
ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَنَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾<sup>(٢)</sup>

وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ

(١) سورة النحل : الآية ١١٩ .

(٢) سورة النحل : الآية ١١٠ .



أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يُفَعِّلُوا فَلَاحْتَسِبْتَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ (١) ﴿

وهذه الآيات يُظَنُّ أنَّها من باب التكرير، وليست كذلك .

وقد أتممت نظري فيها فرأيتها خارجة عن حكم التكرير ، وذلك أنه أطال الفصل من الكلام ، وكان أوله ينتقل إلى تمام إلا يفهم إلا به ، فالأولى في باب الفصاحة أن يعاد لفظ الأول مرة ثانية ، ليكون مقارناً لتمام الفصل ، كمن لا يجي ، الكلام منشوراً لا سيما في « إن وأخواتها » .

فإذا وردت « إن » وكان بين اسميها وخبرها فُسحة طويلة من الكلام فإعادة « إن » أحسن في حكم البلاغة والفصاحة ، كالذي تقدم من هذه الآيات .

وعليه ورد قول بعضهم من شعراء الحماسة (٢) .

أُسْحِنًا وَقَفِيدًا وَاشْتِيَاقًا وَعُزْبَةً      وَنَأَى حَيْبٍ إِنْ ذَا لِعَظِيمٍ  
وَإِنْ امْرَأً دَامَتْ مَوَائِقُ عَمْدِهِ      عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ إِيَّاهُ لِكَرِيمٍ (٣)

فإنه لما أطال الكلام بين اسم « إن » وخبرها أعيدت « إن » مرة ثانية ، لأن تقدير الكلام : وإن امرأة دامت موائيق عمده على مثل هذا الكريم ،

(١) سورة آل عمران : الآية ١٨٨ .

(٢) ديوان الحماسة ١٠٥/٢ ولم ينسبها أبو تمام .

(٣) رواية البيت الثاني في ديوان الحماسة :

وإن امرأة دامت موائيق عمده على مثل ما قاسيته لكريم  
وعلى هذه الرواية لا يكون البيت موضعاً للاستشهاد ، لأنه لا تكرار فيه .

لكن بين الأسماء الخبر مدى طويل ، فإذا لم تعد « إن » مرة ثانية لم يأت على السلام سهبة ولا روتق .

وهذا لا يتنبه لاستعماله إلا الفصحاء إما طبعا وإما علما .

\*\*\*

وكذلك يجرى الأمر إذا كان خير « إن » عاملا في معمول يطول ذكره ، فإن إعادة الخبر ثانية هو الأحسن .

وعلى هذا جاء قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ هَشْرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ <sup>(١)</sup> ﴾ .

فلما قال : « إِنِّي رَأَيْتُ » ثم طال الفصل كان الأحسن أن يعيد لفظ الرؤية فيقول « رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ » .

وكذلك جاءت الآية المذكورة هاهنا مثل هذه وهي قوله تعالى : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا <sup>(٢)</sup> ﴾ فإنه لما طال الفصل أعاد قوله ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّاهُمْ بِمُفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ فاعلم ذلك وضع يدك عليه .

وكذلك الآية التي قبلها وهي قوله تعالى « ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمَلُوا الشُّرُوءَ بِعَهْمِكُمْ <sup>(٣)</sup> » .

---

(١) سورة يوسف : الآية ٤ .  
(٢) سورة آل عمران : الآية ١٨٨ .  
(٣) سورة النحل : الآية ١١٩ .

وكذلك الآية الأخرى هي : « ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ  
مَا فُتِنُوا .

ومن باب التكرير في اللفظ والمعنى الدال على معنى واحد قوله عز وجل :  
﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ أَتَبُوءُونَ أَهْدِيكُمُ سَبِيلَ الرَّشَادِ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ  
الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ <sup>(١)</sup> ﴾

فإنه إنما كرر نداء قومه هاهنا لزيادة التنبيه لهم والإيقاظ من سفة  
العفلة ، ولأنهم قومه وعشيرته ، وهم فيما يوجبهم من الضلال ، وهو يعلم  
وجه خلاصهم ، ونصيحتهم عليه واجبه ، فهو يتحزن لهم ، ويتألف بهم ،  
ويستدعي بذلك الأيتام ، فإن مرورهم مروره ، وغمهم غمه ، وأن  
ينزلوا على نصيحته لهم .

وهذا من التكرير الذي هو أبلغ من الإيجاز ، وأشد مؤقفاً من الاختصار ،  
طعنه إن شاء الله تعالى .

وعلى نحو منه جاء قوله تعالى في سورة القمر : ﴿ فَذُقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ •  
وَأَقْدَمَ بَسْرَتَنَا الْقُرْآنَ لِلَّذِي قَبِلَ مِن مَّدْ كَر <sup>(٢)</sup> ﴾ .

فإنه قد تكرر ذلك في السورة كثيراً ، وقائده أن يجددوا عند استماع  
كل نبي من أنباء الأولين أذكراً وإيقاظاً ، وأن يستأنفوا تنبهاً واستيقاظاً ،  
إذا سمعوا الحديث على ذلك والبعث إليه ، وأن تفرغ لهم النصا مرات ،  
لئلا يغلبهم السهو ، وتشتتوا عليهم العفلة .

(١) سورة المؤمن : الآيتان ٣٨ و ٣٩ .

(٢) سورة القمر : الآيتان ٣٩ و ٤٠ .

وهكذا حُكِمُ التَّكْرِيرِ فِي قَوْلِهِ تَمَالَى فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

وَذَلِكَ عِنْدَ كُلِّ نِعْمَةٍ عَدَّدَهَا عَلَى عِبَادِهِ .  
وَأَمْثَالُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَثِيرٌ .

وَمَا وَرَدَ مِنْ هَذَا النَّوعِ شِعْراً قَوْلُ بَعْضِ شُعْرَاءِ الْحِمَاسَةِ (١) :

إِلَى مَعْدِنِ الْعِزِّ الْمَوْثَلِ وَالنَّدَى هُنَاكَ هُنَاكَ الْفَضْلُ وَالْخُفَى الْجَزَلُ (٢)

فقوله « هُنَاكَ هُنَاكَ » مِنَ التَّكْرِيرِ الَّذِي هُوَ أْبْلَغُ مِنَ الْإِيجَازِ ، لِأَنَّهُ مَعْرُضٌ مَذْحٌ ، فَهُوَ يَقَرَّرُ فِي نَفْسِ السَّامِعِ مَاعِنْدَ الْمَدْحِ مِنْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ الْمَذْكُورَةِ مُشْبِهاً لِبِهَا ، كَأَنَّهُ قَالَ أَدْلُكُمْ عَلَى مَعْدِنِ كَذَا وَكَذَا وَمَقَرِّهِ وَمُقَادِرِهِ .

وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُ الْمَسَاوِرِ بْنِ هِنْدٍ (٣) :

جَزَى اللَّهُ عَنِّي غَالِباً مِنْ عَشِيرَةٍ إِذَا حَدَّثَكَانَ الدَّهْرُ نَابَتْ نَوَائِبُهُ (٤)

(١) نسبه أبو تمام إلى خلف بن خليفة مولى قيس بن ثعلبة ، وهو شاعر إسلامي مجيد مقل : ناصر جريراً والفرزدق ، ويعرف بالأقطع ، لأنه قطعت يده بسرقة أتهم بها .  
(٢) رواية ديوان الحماسة ٣٣٦/٢ « المؤيد » موضع « المؤئل » والبيت من جملة أبيات أولها :

عدلت إلى فخر المشيرة والمهوى للبيهم وفي تعداد مجدم شغل  
(٣) هو ابن قيس بن زهير بن حذيفة بن خزاعة بن رواحة ، هكذا قال التبريزي ، وقال غيره : هو شاعر إسلامي مقل .

(٤) بعد هذين البيتين بيتان ، وهما :  
إذا قلت عودوا عاد كل شمردل أتم من الفتيان جزل مواهبه  
إذا أخذت بزل الخناس سلاحها تجرد فيها مثاب المال كاسبه  
راجع ديوان الحماسة ٢٩١/٢ . ولم ينسب أبو تمام هذه الأبيات للمساور ، ولكنه رواها بعد أبيات للمساور أولها :

فدأ لبني هند غداة دعوتهم بجو وبال النفس والأبواب  
ثم روى بعد هذه الأبيات الأربعة ، ونسبها لآخر . ورواية الحماسة في البيت الأول « جزى الله خيراً غالباً .. » .

فَكَمْ دَأْفَمُوا مِنْ كُرْبَةٍ قَدْ تَلَاَحَتْ عَلَى وَمَوْجٍ قَدْ عَلَتْنِي غَوَارِبُهُ<sup>(١)</sup>

فصدر البيت الثاني وعجزه يدلان على معنى واحد ، لأن تلاحم الكرب  
عليه كفعالي الموج من فوقه . وإنما سوغ ذلك لأنه مقام مدح وإطراء ،  
ألا ترى أنه يصف إحصان هؤلاء القوم عند حدثان دهره في التكرير ،  
وفي قبائله لو كان القائل هاجياً ، فإن الهجاء في هذا كالمدح ، والتكرير  
إنما يحنن في كلا الطرفين لا في الوسط .

واعلم أنه إذا وردت « إن » المكسورة المضممة قبل « ما » كانت  
بمعناها سواء .

ألا ترى إلى قوله تعالى : « إن لهم إلا كالأنعام » فـ « إن » و « ما »  
بمعنى واحد ، وإذا أوردت من بعد « ما » كانت من باب التكرير كقولنا :  
« ما إن كذا وكذا » ، أي : ما يكون كذا وكذا ، وإذا وردت في الكلام  
فإنما ترد في مثل ما أشرنا إليه من التكرير ، فإن استعملت في غير ما يكون  
منها لفائدة يفتجها تكريرها كان استعمالها لغواً لافائدة فيه .

وقد زعم قوم من مدعي هذه الصناعة أن أبا الطيب الممتنبي أتى في هذا  
البيت بتكرير لا حاجة به إليه ، وهو قوله<sup>(٢)</sup> :

العَارِضُ التَّهْنُ ابْنُ العَارِضِ التَّهْنِ ابْنِ  
العَارِضِ التَّهْنِ ابْنُ العَارِضِ التَّهْنِ ابْنِ العَارِضِ التَّهْنِ

(١) الغوارب أعلى الموج وأعلى الظهر .

(٢) ديوان المتنبي ٢٠٩/٤ من قصيدة له في مدح أبي عبيد الله محمد بن عبد الله القاضي

الأنطاكي ، ومطلعها :

أفاض الناس أعراس لنا الزمن يخلو من المم أخلام من الفطن

وليس في هذا البيت من تكرير ، فإنه كقولك « الموصوف بكذا وكذا  
ابن الموصوف بكذا وكذا » أي : أنه عريق النسب في هذا الوصف .

وقد ورد في الحديث النبوي مثل ذلك ، كقول النبي صلى الله عليه وسلم  
في وصف يوسف الصديق عليه السلام « الكريم ابن الكريم يوسف بن  
يهوب بن إسماعيل بن إبراهيم » .

ولقد فأوضي في هذا البيت المشار إليه بمض علماء الأدب ، وأخذ يظعن  
من جهة تكراره ، فوقفته على مواضع الصواب فيه ، وعرفته أنه كالخبر  
النبوي من جهة المعنى سواء بسواء ، لكن لفظه ليس بمرضي على هذا  
الوجه الذي قد استعمل فيه ، فإن الألفاظ إذا كانت حسناً في حال انفرداها  
فإن استعمالها في حال التزكيب يزيدا حسناً على حسنها ، أو يذهب  
الحسن عنها .

وقد تقدم الكلام على ذلك في المقالة الأولى من الصنعة اللفظية<sup>(١)</sup> .

ولو تهياً لأبي الطيب المتنبى أن يبدل لفظه « العارض<sup>(٢)</sup> » بلفظة  
« السحاب » أو ما يجري مجراها لكان أحسن .

وكذلك لفظه « الهين<sup>(٣)</sup> » فإنها ليست بمرضية في هذا الموضع  
على هذا الوجه . ولفظه « العارض » وإن كانت قد وردت في القرآن ،

(١) انظر صفحة ( ٢١١ ) من القسم الأول من هذه الطبعة .

(٢) العارض السحاب يطرش في الأفق ، ومنه قوله تعالى « عارض ممطرنا » .

(٣) حفت السماء تهين هتنا وهتونا وهتنا وهتنا ، وتهتنا ، وتهنتت : انصبت ، أو هو فوق  
المطل ، أو الضيف الدائم ، أو مطر ساعة ثم يفر ثم يعود ، وسحاب هائن وهتون .

وَهِيَ لَفْظَةٌ حَسَنَةٌ ، فَالْفَرْقُ بَيْنَ وُرُودِهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَوُرُودِهَا فِي هَذَا الْبَيْتِ الشَّرْعِيِّ ظَاهِرٌ .

وقد تقدم الكلام على مثلها من آية وبيت لأبي الطيب أيضاً ، وهو في لُقَاةِ الْفِطْيَةِ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى الْأَقَاظِ الْمُفْرَدَةِ فَلْيُؤْخَذْ مِنْ هُنَاكَ (١) .

وكثيراً ما يقع الجهال في مثل هذه المواضع ، وهم الذين قيلَ فيهم :

وَكَذًا كُلُّ أَخِي حَذَاقَةٌ مَا مَشَى فِي بَابِ إِلَّا زَلِقَ

فَتَرَى أَحَدَهُمْ قَدْ جَمَعَ نَفْسَهُ ، وَظَنَّ عَلَى جَهْلِهِ أَنَّهُ هَالِمٌ ، فَيُسْرِعُ فِي وَصْفِ كَلَامٍ بِالِإِيجَازِ ، وَكَلَامٍ بِالتَّطْوِيلِ ، أَوْ بِالتَّكْرِيرِ ، وَإِذَا طَوَّلَ بَانَ يُبْدَى سَبَبًا لِمَا ذَكَرَهُ لَمْ يَوْجَدْ عِنْدَهُ مِنَ الْقَوْلِ شَيْئاً ، إِلَّا تَحَكُّمًا تَخَضُّعًا صَادِرًا عَنِ جَهْلٍ تَخَضُّعٍ .

الضرب الثاني من التكرير في اللفظ والمعنى :

وهو غير المفيد ، فمن ذلك قولُ مروان الأصغر (٢) :

سَقَى اللَّهُ نَجْدًا وَالسَّلَامُ عَلَى نَجْدٍ      وَيَا حَبِذَا نَجْدٌ عَلَى النَّأْيِ وَالْبُعْدِ  
نَظَرْتُ إِلَى نَجْدٍ وَبَعْدَادُ دُونَهَا      أَعْلَى أَرَى نَجْدًا وَهَيْهَاتَ مِنْ نَجْدٍ

وهذا من العيِّ الضعيف ، فإنه كرَّرَ ذِكْرَ « نَجْدٍ » فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ ثَلَاثًا ،

(١) انظر صفحة (٢١٣) من القسم الأول من هذه الطبعة، وقد وازن فيها بين استعمال كلمتي « العسل » و « الشهد » في شعر للأعرج ولأبي الطيب وآية من القرآن الكريم .  
(٢) هو أبو السمت مروان بن أبي الجنوب بن مروان بن أبي حفصة ، وهو مروان الأصغر ، ويقال لجدّه مروان بن أبي حفصة مروان الأكبر . كان شاعراً ساقط الشعر ، حاصر الوائقي والمتوكل ، وله قصائد عدة في المتوكل وأحمد بن أبي دؤد .

وفي البيت الثاني ثلاثاً ، ومُرادُه في الأول الثناء على نجدٍ ، وفي الثاني أنه تَلَفَّت إليها نَاطِرًا مِنْ بَنَدَادٍ ، وَذَلِكَ مَرَّتِي بَعِيدًا .

وهذا المعنى لا يحتاجُ إلى مثلِ هذا التكرير .

أما البيتُ الأولُ فيجُمَلُ على الجائزِ من التكرير ، لأنه مقامُ تشويقٍ وتحزُّنٍ ومَوْجِدَةٍ بَيَّرَاقِ نَجْدٍ . ولما كان كذلك أُجِيزَ فيه التكريرُ ، على أنه قد كان يُمكنُه أن يصوغَ هذا المعنى الوارد في البيئتين معاً من غيرِ أن يأتي بهذا التكرير المتتابعِ سِتِّ مَرَّاتٍ .

وعلى هذا الأسلوبِ وردَ قولُ أبي نُوَاسٍ (١) :

أَقَمْنَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَلَاثًا وَيَوْمًا لَهُ الْتَرَحُّلُ خَامِسٌ (٢)

ومُرادُه من ذلك أنهم أقاموا بها أربعة أيام ، ويا عَجَبًا له يأتي بمثلِ هذا البيتِ السَّخِيفِ الدَّالِّ على العيِّ الفلَحِشِ في ضِمْنِ تلك الأبياتِ المَعْجِيبَةِ لِخُتَنِ التي تقدِّمُ ذَكرَها في بابِ الإيجازِ (٣) ، وهي :

وَدَارِ نَدَامَى عَطَّلُوهَا وَأَدْلَجُوا ... ..

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَيْضًا مَا أوردناه في صدرِ هذا النوع ، وهو قولُ  
أبي الطَّيِّبِ :

---

(١) ديوان أبي نواس (٢٩٥) من جملة أبيات من خرباته أولها .  
وَدَارِ نَدَامَى عَطَّلُوهَا وَأَدْلَجُوا      بها أثر منهم جديد ودارس  
(٢) رواية الديوان في هذا البيت :  
أَقَمْنَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمَيْنِ بَعْدَهُ      ويومًا له يوم الترحل خامس  
(٣) راجع صفحة (٣٤٦) من القسم الثاني من هذه الطبعة .



وَلَمْ أَرْ مِثْلَ جِيرَانِي وَمِثْلِي لِمِثْلِي عِنْدَ مِثْلِهِمْ مَقَامٌ<sup>(١)</sup>  
فهذا هو التكريرُ الفاحشُ الذي يؤثرُ في الكلامِ نقصاً .  
الآ تَرَى أَنَّهُ يَقُولُ : لَمْ أَرْ مِثْلَ جِيرَانِي فِي سُوءِ الْجَوَارِ ، وَلَا مِثْلِي فِي  
مُصَابَرَتِهِمْ وَمُقَامِي عِنْدَهُمْ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَرَّرَ هَذَا الْمَعْنَى فِي الْبَيْتِ مَرَّتَيْنِ .  
وعلى نحوٍ من ذلك جاء قولُ أيضاً :  
وَقَلَعْتُ بِأَنْفِهِمُ الَّذِي قَلَعَلَ الْحَشَا قَلَا قَلَّ عَيْسُ كَلْمُنْ قَلَا قَلُّ

\* \* \*

### ( التكرير في المعنى دون اللفظ )

وَأما القسمُ الثاني من التكرير ، وهو الذي يوجد في المعنى دون اللفظ .  
فذلك ضربان : مُفيدٌ وغيرُ مُفيدٍ .

#### الضرب الأول : المفيد

وهو نوعان :

الأول إذا طرأ التكرير في المعنى برل على معنيين مختلفين :

وهو موضعٌ من التكرير مشكل ، لأنه يسبقُ إلى الوم أنه تكرر يدلُّ  
على معنى واحدٍ .

فيماء جاء منه حديثُ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ<sup>(٢)</sup> فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ ، وَذَلِكَ

(١) من قصيدته التي أولها :

فؤاد ما تسايه المدام وعمر مثل ماتهب اللتام  
وقد سبق في صفحة (٣) من هذا القسم الثالث .

(٢) هو حاطب بن أبي بلتعة اللخمي ، حليف قريش ، ويقال إنه من مذحج وقيل هو حليف الزبير بن العوام . شهد بدر والحديبية ، ومات سنة ثلاثين بالمدينة ، وهو ابن خمس وستين سنة . وصلى عليه عثمان ، وقد شهد افة لحاطب بالإيمان في قوله تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ... » . وانظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ٣١٢/١ .

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَالزُّبَيْرَ<sup>(١)</sup> وَالْمُقَدَّادَ<sup>(٢)</sup> - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - فَقَالَ : « اذْهَبُوا إِلَى رَوْضَةِ خَاحٍ<sup>(٣)</sup> ، فَإِنَّ بِهَا ظَمِيمَةً مَعَهَا كِتَابٌ ، فَأَتُونِي بِهِ » قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَنَزَجْنَا تَعَمَّادِي بِنَا خَيْلُنَا ، حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ ، وَإِذَا فِيهَا الظَّمِيمَةُ ، فَأَخَذْنَا الْكِتَابَ مِنْ عِقَابِهَا<sup>(٤)</sup> ، وَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِذَا هُوَ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ شَأْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ لَهُ : مَا هَذَا يَا حَاطِبُ ؟ فَقَالَ : « يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَسْجَلْ عَلَيَّ ، إِنِّي كُنْتُ إِسْرَاءَ مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَقْسَمِهِمْ ، وَكَانَ مِنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَمْ يَمْ قَرَابَةٌ يَخْمُونَ بِهَا أَمْوَالَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ بِمَكَّةَ ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ قَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَخْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي ، وَمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا عَنِ دِينِي ، وَلَا رِضًا بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ » . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ » .

(١) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي ، أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم . أسلم الزبير . وهو ابن خمس عشرة سنة ، ولم يتخلف عن غزوة غزاهما رسول الله ، وهو من المشركين بالجنة ، ومن الستة الذين هم أهل الشورى ، ومات مقتولا في فتنة الجمل يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى سنة ست وثلاثين .

(٢) هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن زبيمة البهراوى ، من بهراء من قضاة ، وقيل هو كندى من كندة ، شهد بدرًا والمشاهد كلها ، وكان من الفضلاء النجباء الكبار الحيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد فتح مصر ، ودفن في أرضة بالجرف ، فحل إلى المدينة ، ودفن بها ، وصلى عليه عثمان بن عفان سنة ثلاث وثلاثين .

(٣) خاخ : موضع بين الحنين ، به روضة خاخ ، بقرب حمراء الأسد من المدينة ، قال الأحرص .

ليست لياليك من خاخ بمائة كما عهدت ولا أيام ذى سلم

(٤) القيصة : الضفيرة ، وعقم الشعر ضفره على الرأس .

قوله « ما فعلت ذلك كُفراً ، ولا ارتداداً عن ديني ، ولا رِضاً بالكُفر بعدَ الإسلام » من التكرير الحسن .

وبعضُ الجهالِ يظنُّه تكرريراً لا فائدةَ فيه ، فإن الكُفرَ والارتدادَ عن الدينِ سواء ، وكذلك الرِّضاً بالكُفرِ بعدَ الإسلامِ ، وليس كذلك . والذي يدلُّ عليه اللفظُ هوَ أنّي لم أفعلْ ذلك وأنا كافرٌ ، أي : باقٍ على الكُفر ، ولا مُرتدّاً ، أي : أني كُفرتُ بعدَ إسلامي ، ولا رِضاً بالكُفرِ بعدَ الإسلام ، أي : ولا إظهاراً للجانبِ الكُفاريِّ على جانبِ المسلمين . وهذا حسنٌ في مكانه ، واقعٌ في موقعِهِ .

وقد يُحملُ التكريرُ فيه على غيرِ هذا الفرعِ الذي نحنُ بصددِ ذكره هاهنا ، وهوَ الذي يكونُ التكريرُ فيه بـدَلٍّ على معنى واحد ، وسيأتي بيانهُ في الفرعِ الثاني الذي يلي هذا الفرعِ الأوَّل .

والذي يجوزُهُ أن هذا المقامُ هو مقامُ اعتذارٍ وتنصُّلٍ مما رُمِيَ به من تلكِ القارعةِ العظيمةِ التي هيَ نفاقٌ وكُفْرٌ ، فكَرَّرَ المعنى في اعتذارِهِ قصداً لئلا كيدٌ ولتتقررَ بما ينبغي عنه ما رُمِيَ به .

ومما ينتظمُ بهذا السُّلكِ أنه إذا كانَ التكريرُ في المعنى بـدَلٍّ على معنيين : أحدهما خاصٌّ ، والآخِرُ عامٌ كقوله تعالى : ﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (١) .

فإنَّ الأمرَ بالمعروفِ خيرٌ ، وليسَ كلُّ خيرٍ أمراً بالمعروفِ ، وذلكَ أنَّ التَّخْيِرَ أنواعٌ كثيرةٌ من جملتها الأمرُ بالمعروفِ .

تفائدة التكرير ها هنا أنه ذكر الخالص بعد العام للتنبيه على فضله ،  
كقوله تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ ﴾ (١) .

وكقوله تعالى : ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ ﴾ (٢) .

وكقوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ  
فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا ﴾ (٣) .

فإن الجبال داخلة في جُملَة الأرض ، لكن لفظ الأرض عام ، والجبال  
خاص . وقادته ها هنا تعظيم شأن الأمانة المشار إليها وتفخيم أمرها .

وقد وردَ هذا في القرآن الكريم كثيراً .

ومما وردَ منه شعراً قول [ المفتح الكِنْدِيُّ (٤) ] من أبيات الحماسة (٥) :

وَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي      وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لِمُخْتَلِفٌ جِدًّا

إِذَا أَكَلُوا الْحَمِي وَفَرَّتْ لِحُومِهِمْ      وَإِنْ هَدَمُوا نَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ نَجْدًا (٦)

(١) سورة البقرة : الآية ٢٣٨

(٢) سورة الرحمن . الآية ٦٨

(٣) سورة الأحزاب . الآية ٧٢

(٤) بياض في الأصل موضع اسم الشاعر ، وهو محمد بن ظافر بن عمير ينتهي نسبه إلى  
كندة بن عفيرة ، وإنما لقب بالفتح لأنه كان أجمل الناس وجهاً ، وكان إذا حسر اللثام من  
وجهه أصابته العين ويلعقه هنت ومشقة ، فسكان لا يعشى إلا مقنعا ، هكذا ذكر التبريزي .  
وهو شاعر مقل من شعراء الإسلام في عهد بني أمية ، وكان له محل وشرف ومروءة  
في هشيرته ، وكان متخرفا في عطاياه ، سمح اليد بماله ، لا يرد سائلا عن شيء سأله إياه .  
(٥) ديوان الحماسة ٣٣/٢ من جملة أبيات أولها .

يعاتبني في الدين قومي وإنما      ديونني في أشياء تكسبهم حدا

وانظر أمالي القائل ١/٢٨٠ وفيها ثلاثة أبيات ليست في رواية أبي تمام .

(٦) رواية الحماسة « فإن أكلوا .. » ورواية الأمالي « فإن يأكلوا .. »

وَإِنْ ضَيَّعُوا عَيْنِي حَفِظْتُ عُيُوبَهُمْ وَإِنْ هُمْ هَوُوا غَيْبِي هَوَيْتُمْ لَمْ رُشِدُوا  
فهذا من الخاصِّ والعامِّ ، فإنَّ كلَّ لحمٍ يؤكل للإنسانِ فهو تضبيعٌ لغيبه ،  
وليس كلُّ تضبيعٍ لغيبه أكلًا للحمهِ .

ألا ترى أن أكل اللحم هو كفايةٌ عن الاغتيابِ ؟ وأمَّا تضبيعُ الغيبِ ،  
فمِنهُ الاغتيابِ ، ومنه التخلُّ عن النصرةِ والإعانة ، ومِنهُ إهمالُ السَّمِيِّ في كلِّ  
ما يعود بالنفعِ كأننا ما كان .

وعلى هذا فإنَّ هذين البيتين من الخاصِّ والعامِّ المُشَارِكِ إِلَيْهِ في الآيةِ المقدمِ  
ذِكْرُهَا ، وهو موضعٌ يردُّ في الكلامِ البليغِ ، ويظنُّ أنه لا فائدةَ فيه .

• • •

الفرع الثاني : إذا طاب التكرير في المعنى برل على معنى واحد لا غير

وقد سبقَ مثالُ ذلكِ في أوَّلِ هذا البابِ ، كقولك : « أَطِئْنِي وَلَا تَمَعْنِي »  
فإنَّ الأمرَ بالطاعةِ نَهَى عن المعصيةِ ، والفائدةُ في ذلكِ تثبيتُ الطاعةِ في  
نفسِ المخاطبِ .

والكلامُ في هذا الموضعِ كالكلامِ في الموضعِ الذي قبله من تكريرِ اللفظِ  
والمعنى إذا كانَ الغرضُ به شيئًا واحدًا ، ولا نجدُ شيئًا من ذلكِ يأتي في الكلامِ  
إلا لنا كيدَ الغرضِ المنصُودِ به ، كقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ،  
وَإِنْ تَمَفُّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَعَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١)

فإنه إنما كرّر العفوَّ والصَّفْحَ والمَغْفِرَةَ - والجميعُ بمعنى واحدٍ -  
للزيادة في تحسين عفو الوالد عن ولده ، والزَّوْجِ عَنْ زَوْجَتِهِ .

وهذا وأمثاله يُنظَرُ في النُّرُضِ المقصودِ به ، وهو موضِعُ يكونُ التكريرُ  
فيه أَوْجِزَ من لِحَةِ الإيجازِ ، وأولى بالاستعمالِ . وقد ورد في القرآن كثيراً  
كقوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام :

﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

فإنَّ البَثَّ والحزنَ بمعنى واحدٍ ، وإنما كرّره هاهنا لشِدَّةِ الخُطْبِ النازلِ  
به ، وتكاثرِ مسأله التَّفادُةِ في قلبه ، وهذا المعنى كالذي قبله .

وكذلك ورد قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ (٢) بعد ثلاثة وسبعة  
تنوبٍ مناسبٍ لقوله ثلاثة وسبعة مرتين ، لأنَّ « عشرة » هي ثلاثة وسبعة ،  
ثم قال « كَامِلَةٌ » ، وذلك توكيدٌ ثالثٌ ، والمرادُ به إيجابُ صَوْمِ الأيامِ  
السبعة عند الرجوع في الطريق على الفوز ، لا عند الوصول إلى البلد ، كما ذهب  
إليه بعضُ الفقهاء .

وبيانه أني أقول : إذا صدر الأمرُ من الأمر على الأمور بلفظ التكرير  
مجرداً من قرينة تُخْرِجُه عَنْ وَصْفِهِ ، ولم يكن موقفاً بوقتٍ معينٍ ، كان  
ذلك حتماً على المبادرة إلى امتثال الأمر على الفوز ، فإنك إذا قلت  
لمن تأمره بالقيام : « قُمْ قُمْ قُمْ » ، فإنما تريد بهذا اللفظ المسكر أن يبادر  
إلى القيام في تلك الحال الحاضرة .

(١) سورة يوسف . الآية ٨٦

(٢) سورة البقرة . الآية ١٩٦ وقبل هذه الجملة « فن لم يجد فصيام ثلاثة أيام

في الحج وسبعة إذا رجعت » .

فَإِنْ قُلْتَ : الْفَرْضُ بِتَكَرُّرِ الْأَمْرِ أَنْ يَتَكَرَّرَ فِي نَفْسِ الْأُمُورِ أَنَّهُ مُرَادٌ مِنْهُ ، وَلَيْسَ الْفَرْضُ الْحُثُّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى امْتِنَالِ الْأَمْرِ ؟

قُلْتُ فِي الْجَوَابِ : إِنَّ الْمَرَّةَ الْوَاحِدَةَ كَافِيَةٌ فِي مَعْرِفَةِ الْأُمُورِ أَنَّ الْقَدَى أَمِيرٌ بِهِ مُرَادٌ مِنْهُ ، وَالزِّيَادَةُ عَلَى الْمَرَّةِ الْوَاحِدَةِ لَا تَحْتَمِلُ إِمَّا أَنْ تَكُونَ دَالَّةً عَلَى مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ ، أَوْ دَالَّةً عَلَى زِيَادَةِ مَعْنَى لَمْ نَكُنْ فِي الْمَرَّةِ الْوَاحِدَةِ .  
فَإِنْ كَانَتْ دَالَّةً عَلَيْهِ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ كَانَ ذَلِكَ تَطْوِيلًا فِي الْكَلَامِ ، لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ .

وَقَدْ وَرَدَ مِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، كَهَذِهِ آيَةِ الْمَشَارِكِ إِلَيْهَا وَغَيْرِهَا مِنْ آيَاتِ ، وَالتَّطْوِيلُ فِي الْكَلَامِ عَيْبٌ فَاحِشٌ عِنْدَ الْبُلَغَاءِ وَالْفَصَحَاءِ ، وَالْقُرْآنُ مُمَجَّزٌ بِبِلَاغَتِهِ وَفَصَاحَتِهِ ، فَكَيْفَ يَكُونُ فِيهِ تَطْوِيلٌ لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ ؟ فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الزِّيَادَةُ دَالَّةً عَلَى مَعْنَى زَائِدٍ عَلَى مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ . وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا فَتِلْكَ الزِّيَادَةُ هِيَ الْحُثُّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى امْتِنَالِ الْأَمْرِ .

فَإِنْ سَأَلْتَنِي لِذَلِكَ ، وَإِلَّا فَيُبَيِّنُ مَعْنَى تِلْكَ الزِّيَادَةِ بَيَانًا غَيْرَ مَا ذَكَرْتَهُ أَنَا ، وَلَا أَرَاكَ تَسْتَطِيعَ ذَلِكَ ! فَإِنْ قُلْتَ : إِنْ الْوَاوُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى « وَسَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ » لَوْ لَا أَنَّ نُؤُودَ كَدَّ بِقَوْلِهِ : « تِلْكَ عَشْرَةٌ » لَطُنَّ أَنَّهَا وَرَدَتْ بِمَعْنَى « أَوْ » أَيْ : ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ أَوْ سَبْعَةَ إِذَا رَجَعْتُمْ ، فَلَمَّا قِيلَ « تِلْكَ عَشْرَةٌ » زَالَ هَذَا اللَّطْنُ ، وَتَحَقَّقَتِ الْوَاوُ أَنَّهَا عَاطِفَةٌ ، وَلَيْسَتْ بِمَعْنَى « أَوْ » .

قُلْتُ فِي الْجَوَابِ : هَذَا بَاطِلٌ مِنْ أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ :

الْوَجْهُ لِأَوَّلِ : أَنَّ الْوَاوَ الْعَاطِفَةَ لَا تُجْعَلُ بِمَعْنَى « أَوْ » أَيْنَ وَرَدَتْ مِنْ

الكلام ، ولما تجعل بمعنى « أَوْ » حالَ ضرورةٍ ترجيحِ جانبها على جانبِ  
جانبها عاطفةً ، لأنَّ الأصلَ منها أن تكونَ عاطفةً ، فإذا عُدِلَ بها عن أصلها  
احتاجَ إلى ترجيحٍ ، ولا ترجيحَ لها هنا .

الوجهُ الثاني : بلاغِيٌّ ، وذلكَ أنَّ القرآنَ الكريمَ مُنتَهَى البلاغَةِ  
والفصاحةِ لمكانِ إعجازِهِ ، فلو كانَ مَعْنَى الواوِ في هذه الآيةِ بمعنى « أَوْ »  
اقبل : فتلاثةُ أيامٍ في الحجِّ وسبعةٌ إذا رَجَعْتُمْ ، ولم يُخْتَجِجْ إلى هذا التَّطويلِ  
في قوله : فتلاثةُ أيامٍ في الحجِّ وسبعةٌ إذا رَجَعْتُمْ تلكَ عَشْرَةٌ كاملةٌ .

الوجهُ الثالثُ : أنَّ هذا الصَّوْمَ حُكْمٌ من أحكامِ العباداتِ ، والعباداتُ  
يُحِبُّ فيها الاحتياطُ ، وأنَّ تُؤدَّى على أكلِ صَوْرَةٍ ، لِئلا يدخلها النقصُ ،  
وإذا كانَ الأمرُ على ذلكَ فكيفَ يُظنُّ أنَّ الواوِ في هذه الآيةِ بمعنى « أَوْ » ؟

الوجهُ الرابعُ : أنَّ السبعةَ ليستْ مماثلةً للثلاثةِ حتى تُجعلَ في قبالتها ، لأنَّ  
معنى الآيةِ إذا كانتِ الواوُ فيها بمعنى « أَوْ » إما أنْ تصوموا ثلاثةَ أيامٍ  
في الحجِّ أو سبعةً إذا رَجَعْتُمْ .

فإنَّ قلتَ : هذا تعبدٌ لا يُعقلُ معناهُ كغيرِهِ مِنَ التَّعْبُدَاتِ التي لا يُعقلُ  
معناها ؟ قلتُ في الجوابِ : إنَّ لنا من التَّعْبُدَاتِ ما لا يُعقلُ معناهُ ، كعددِ  
رَكَعَاتِ الصَّلَوَاتِ ، وعددِ الطَّوْافِ والسَّمِيِّ ، وأشباهِ ذلكَ ، ولنا ما يُعقلُ  
معناهُ كهذهِ الآيةِ ، فإنَّا نقولُ التفاوتَ بَيْنَ الصَّوْمِ فِي الحَصْرِ والسَّفَرِ ، ونقولُ  
التفاوتَ بَيْنَ العددِ الكَثِيرِ والعددِ القَلِيلِ .

وعلى هذا فلا يخلو إما أن يكونَ صومُ الأيامِ السبعةِ عندَ الرُّجوعِ في



الطريق أو عند الوصول إلى البلد ، فإن كان في الطريق فإنه أشق من الصوم بمكة ، لأن الصوم في السفر أشق من الصوم في الحضر ، فكيف يُجعل صوم سبعة أيام في السفر في مُقابلة صوم ثلاثة أيام بمكة ؟ وإن كان الصوم عند الوصول إلى البلد فلا فرق بين الصوم بمكة والصوم عند الوصول إلى البلد ، لأن كليهما صوم في المقام ببلد من البلاد ، لا تفاوت بينهما حتى يُجعل صوم ثلاثة أيام في مُقابلة سبعة أيام ، على غير مثال ولا نسأل .

فعلَى كَلَا التَّقْدِيرَيْنِ لَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْوَاوُ فِي « سَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ » بِمَعْنَى « أَوْ » فَتَحَقَّقَ أَنَّهَا إِذَا لَمَعَطَ خَاصَّةً .

وإذا كانت للمعطف خاصة فتأكيدها بشمسة كاملة دليل على أن المراد وجوب صوم الأيام السبعة في الطريق قبل الوصول إلى البلد .

فإن قلت : إن الصوم بمكة أشق من الصوم في الطريق ، لأن الواجب عليه الصوم بمكة في نصب وتعب بتصرف زمانه في السعي والطواف والصلاة والعمرة وغير ذلك ، قلت في الجواب : هذا لا يلزم ، إذ الواجب عليه سعي واحد وطواف واحد ، وما عدا ذلك نافلة لا يلزم ، ونحن في هذا المقام ناظرون إلى ما يجب لا إلى النافلة ، والذي يجب أدائه بمكة يُفرغ منه في ساعة واحدة ، فكيف تجعل الزيادة على ذلك دليلاً يورد في هذا المقام ؟ هذا غير وارد ، وهذا ورد في قوله تعالى : ﴿ إِذَا نَقَرْتُمْ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ عَسِيرٍ ﴾<sup>(١)</sup> فقوله ( غير عسير ) بعد قوله ( عسير ) من هذا النوع المشار إليه ، وإلا فقد علم أن العسير لا يكون يسيراً ، وإنما ذكرها هنا على هذا الوجه لتعظيم

(١) المدثر

شأن ذلك اليوم في عسره وشده على الكافرين .  
وكذلك ورد قوله تعالى : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه  
إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم وعلتكم يدون من دون الله ، كفرنا بكم ، وبدا بيننا  
وبينكم المداوة والبنضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾<sup>(١)</sup> فإن البنضاء والمداوة بمعنى  
واحد ، وإنما حسن إيرادها معاً في معرض واحد ، لتأكيد البراءة بين إبراهيم  
صلوات الله عليه والذين آمنوا به ، وبين الكفار من قومهم حيث لم يؤمنوا بالله وحده .  
والمبالغة في إظهار القطعية والمصادفة ورد مثل ذلك في مثل هذا الموضع  
كالإيجاز في موضعه ، ولن ترى شيئاً يرد في القرآن الكريم من هذا القبيل  
إلا وهو لأمر اقتضاء ، وإن خفي عنك موضع المر فيه فاسأل عنه أهل العارفين .  
ومما ورد منه شعراً قول بعضهم في أبيات الحماسة<sup>(٢)</sup> :

نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَاتِيَاً بَعِيداً عَنِ الْأَوْطَانِ فِي زَمَنِ الْمَحَلِ  
فَمَا زَالَ بِي إِكْرَامُهُمْ وَاقْتَادِمُ وَإِحْسَانُهُمْ حَتَّى حَسِبْتَهُمْ أَهْلِي  
فَإِنَّ الْإِكْرَامَ وَالْاِقْتَادِمَ دَاخِلَانِ تَحْتَ الْإِحْسَانِ ، وَإِنَّمَا كَرَّرَ ذَلِكَ لِلتَّنْوِيهِ  
بِذِكْرِ الصَّنِيعِ وَالْإِيجَابِ لِحَقِّهِ . وَهَلِي هَذَا وَرَدَ قَوْلُ الْأَعْمَشِيِّ فِي قَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ  
الَّتِي يَمْدَحُهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مِنْهَا<sup>(٣)</sup> :

(١) المتحفة ٤ .

(٢) هو بكبير بن الأخنس كما في البيان والتبيين ( ٢٣٣/٣ ) على أن المقطوعة ليست  
منسوبة إلى أحد في شرح الحماسة لتبريزي والمرزوقي ولا في عيون الأخبار ( ٣٤١/١ )  
ولا في وفيات الأعيان في ترجمة المهلب بن أبي صفرة . وفي البيان والتبيين ( فقيراً بعيد الدار  
بدلاً من ( بعيداً عن الأوطان ) والبيت الثاني في البيان .

فما زال بي لإطانيهم واقترادهم وإكرامهم حتى حسبتهم أهلي  
وفي شرح الحماسة للمرزوقي « في زمن محل » بدلاً من ( في زمن المحل )  
(٣) البيت من قصيدته التي مطلعها :

ألم تقمض عينك ليلة أرمداً وعادك ما عاد السليم مسهداً

وفي الديوان ( ولا من حتى ) شرح الديوان ١٣٥ .

فَالَيْتُ لَا أَرْتِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ وَلَا مِنْ وَجَى حَتَّى تَلْفَاقَ مَعْدَاً  
فَإِنَّ الرَّجْبِيَّ وَالْمَكَلَالََةَ مَعْنَاهَا سَوَاءٌ ، وَإِنَّمَا حَسَنَ تَكَرُّرِهِ هَاهُنَا لِإِشْعَارِ  
بِيعْدِ الْمَسَافَةِ .

الضرب الثاني منه القسم الثاني في تكرير المعنى دوره اللفظ :

وهو غير المفيد ، فمن ذلك قول أبي تمام :

قَسَمَ الزَّمَانَ رُبُوعَهَا بَيْنَ الصَّبَا وَقَبُولِهَا وَدَبُورِهَا أَثْلَاثًا<sup>(١)</sup>  
فَإِنَّ الصَّبَا هِيَ الْقَبُولُ .

وليس ذلك مثل التكرير في قوله تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ  
الْوَسْطَى ﴾<sup>(٢)</sup> فيما يرجع إلى تكرير اللفظ والمعنى ، ولا مثل التكرير في قوله تعالى :  
﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾<sup>(٣)</sup> فيما يرجع إلى تكرير  
المعنى دون اللفظ ، وقول أبي تمام : الصبا والقبول لا يشتمل إلا على معنى واحد لا غير .  
وهذا الضرب من التكرير قد خبط فيه علماء البيان خبطاً كثيراً ،  
والأكثر منهم أجازوه ، فقالوا : إن كانت الألفاظ متغايرة والمعنى المعبر  
عنه واحداً فليس استعمال ذلك بمعييب ، وهذا القول فيه نظر ، والقى عندي

(١) البيت من قصيدته في مدح مالك بن طوق ومطلعها :

قف بالطول الدارسات علانا أمست حبال قطينهن رنانا

(ديوان أبي تمام ٣١٤/١) . وفي الفاموس المحيط : القبول ربيع الصبا لأنها تقابل  
الدبور أو لأنها تقابل باب الحكمة أو لأن النفس تقبلها (مادة قبل)  
وفي شرح الحماسة للرزوقي : قيل في القبول إنها الصبا ، وقال النصر بن شميل :  
القبول ربيع بين الصبا والجنوب .

وقال ابن الأعرابي : القبول كل ربيع لبنة طيبة المنس تقبلها النفس ، فليس لارد على أبي  
تمام وجه . وقال ابن المستوفى : الصحيح أن الصبا هي القبول ، وما الذي منم أبا تمام أن يجعل  
موضع (قبولها) (جنوبها) فسكان يسلم من التشنيع عليه (ديوان أبي تمام ٣١٥/١) وقد  
ذكر الحفاحي نقد البيت (مر الفصاحة ٢٢٥) . وكذلك أبو هلال ذكره (الصناعتين ١٢١) .

(٣) آل عمران ١٠٤

(٢) البقرة ٣٨

فيه أن الفائز يعاب على استعماله مطلقاً إذا أتى لغير فائدة ، أما الناظم فإنه يعاب عليه في موضع دون موضع .

أما الموضع الذي يعاب استعماله فيه فهو صدور الأبيات الشعرية وما والاها ، وأما الموضع الذي لا يعاب فيه فهو الأهجاز من الأبيات ، لمكان القافية ، وإنما جاز ذلك وإن لم يكن عيباً ، لأنه قافية ، والشاعر مضطر إليها ، والمضطر يحل له ما حرم عليه ، كقول امرئ القيس في قصيدته اللامية التي مطلعها :

(ألا انمّ صباحاً أيها الطلل البالي)

فقال :

وهل ينعمن إلا سعيدٌ محلّدٌ قليلُ الموم لا يبيت بأوْجال<sup>(١)</sup>  
وإذا كان قليل الموم فإنه لا يبيت بأوْجال ، وهذا تكرير المعنى ، إلا أنه ليس بعيب ، لأنه قافية .

وكذلك قال الخطيئة : -

قالت أمامة لا تمزغ فقلت لها إن العزاء وإن الصبر قد غلبا  
هلا التمسنا لنا إن كنتِ صادقةً مالا نعيش به في الناس أو نشباً<sup>(٢)</sup>  
فأبيت الأول معيب ، لأنه كرر العزاء والصبر ، إذ معناه واحد ، ولم يرد

(١) ديوان امرئ القيس ٢٧ والمطلع في الديوان :

(ألا انم صباحاً) والبيت الثاني :

وهل يعمن إلا سعيد محلّد قليل الموم ما يبيت بأرجال  
الأوْجال : جمع وجل وهو المزج .

(٢) البيتان من قصيدته في مدح بفض ، ومطلعها :

مافت أمامة بالركبان آونة يا حسنه من قوام ما ومنتقبا  
وف الديوان ( في المزج ) بدلا من ( الناس ) ديوان الخطيئة ١٢١ .

حافية ، لأن الحافية هي الباء ، وأما البيت الثاني فليس به عيب ، لأن التكرير جاء في النسب ، وهو حافية .

وبما يجري هذا الجرى قول المنفل اليشكري :

وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى الْفَتَاةِ الْخِيَّاطَةِ فِي الْيَوْمِ الْمَطْمِينِ  
السَّكَّابِ الْمَسْنَاءِ تَرْتِيبًا فِي الدَّمَقْسِ وَفِي الْحَرِيرِ (١)

فإن الدمقس والحريير سواء ، وقد ورد حافية فلا بأس به من أجل ذلك ، فإن قيل إن الحريير هو الإبريسم للنسوج بدليل قوله تعالى : ﴿ وَجِزَامٌ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةٌ وَحَرِيرٌ ﴾ (٢) فإنه لم يرد خيوط إبريسم ، وإنما أراد أثواباً من الإبريسم ، وأما الدمقس فإنه خيوط الإبريسم مخلوطة ، بدليل قول امرئ القيس :

وَشَحْمٌ كَمَهْدَابِ الدَّمَقْسِ الْمُفْتَلِ (٣)

فإنه لم يرد إبريسماً منسوجاً ، وإنما أراد خيوط الإبريسم ، فالجواب عن ذلك أنه لو حمل بيت المنفل على ذلك لفسد معناه ، لأن المرأة لا ترتفل في خيوط من الإبريسم ، وإنما ترتفل في الأثواب منه ، وأما قول امرئ القيس ( كهداب الدمقس ) فإنه لو كان الدمقس هو الخيوط المخلوطة من الإبريسم لما

(١) البيتان من قصيدته التي مطلعها .

إن كنت عاذلي فسيرى نحو العراق ولا تهوري

(الأصمعيات ٥٢)

(٢) الإنسان ١٢ .

(٣) الفطر من البيت :

فظل المسدري برعين بلحمها  
والبيت من المطلقة التي مطلعها :

قفا نيك من ذكرى حبيب ونزل  
بسقط الوري بين الدخول وحومل

(الديوان ١١)

احتاج أن يقول كهذاب ، فإن الهداب جمع هُذب ، ثم قال ( المَثَل ) ، فدل  
بذلك على أن الدمقس يطلق على الإبريسم سواء كان منسوجاً أو غير منسوج ،  
وكذلك الحرير أيضاً ، وعند الاستعمال يفهم المراد منه بالقرينة ، ألا ترى أنه لما  
قال للنخل ( ترفل في الدمقس وفي الحرير ) ففهم من ذلك أنه أراد أثواباً من  
الدمقس ومن الحرير ، لأن الرفول لا يكون في خيوط من الإبريسم ، وإنما  
يكون في أثوابه .

وعما يجري على هذا المنهج قول الآخر من شعراء الحماسة<sup>(١)</sup> :

إني وإن كان ابن عمي غائباً له قاذِفٌ من خَلْفِهِ وورائه  
فإن خلفاً ووراء بمعنى واحد ، وإنما جاز تكرارهما لأهمها قافية ، وعلى هذا  
ورد قول أبي تمام .

دَمِنٌ كَانَ الْبَيْنَ أَصْبَحَ طَالِباً دَمِنًا لَدَى آثَارِنَا وَحُقُودًا<sup>(٢)</sup>

فإن الدمنة هي الحقد . وكذلك قول أبي الطيب المتنبي :

بَحْرٌ تَعْوَدُ أَنْ يُذِمَّ لِأَهْلِهِ مِنْ دَهْرِهِ وَطَوَارِقِ الْجُدَثَانِ

---

(١) هو الهذيل بن مشجعة البولاني . المعنى أنه يقاثل دونه إذا كان هو هادياً له ،  
وقد تخلف عنه ابن عمه ، ويقاثل ورائه إذا تقدمه ابن عمه ، فقوله ( من ورائه ) من البين  
الظاهر أنه بمعنى القدام ( شرح ديوان الحماسة للرزوقي ٤/١٦٨ )

(٢) البيت من قصيدته في مدح خالد بن يزيد الشيباني ومطلعها :

طلل الجسيم لقد عفوت حميداً - وكفى على رزئي بذاك شهيداً

وفي الديوان ( لدى آرامها ) بدلا من ( لدى آثارنا )

الدمن الأول جمع دمنة وهي آثار القوم في الديار ، ثم يسمى المنزل دمنة لأن الدمنة فيه .  
والدمن الثاني جمع دمنة ، وهي الحقد وبقيته في القلب ، وعنى بالآرام النساء شبهها بالظباء  
البيضاء ، يقول إن الفراق طلب عند ظباء هذه الدمن آثارنا ( ديوان أبي تمام ٢/٤١١ ) .

فتركتُهُ وإذا أَدَمَ من الوَرَى راعاك واستثنى بنى حمدان<sup>(١)</sup>  
فإن الدهر وطوارق الحدنان سواء ، وإنما جاز استعمال ذلك لأنه قافية .  
وأما ما ورد في أثناء الأبيات الشعرية فكقول عنقرة :

حُيِّتَ من طللٍ تقادمَ عَمُدُهُ أَقْوَى وَأَقْفَرٌ بعدَ أمِّ الهَيْمِمْ<sup>(٢)</sup>  
فقوله أقوى وأقفر من المعب ، لأنهما لفظان وردا بمعنى واحد غير ضرورة ؛  
إذ الضرورة لا تكون إلا في القافية كما أرىك .

وأما ما ورد من صدور الأبيات فكقول البحترى :

أَمَّتْ وِهلِ إلمامها بك نافعٌ وِزارَتْ خَيْالا والعميونُ هَواجِمُ<sup>(٣)</sup>

فإن قول ( أمت ) وقوله ( زارت خيالا ) سواء ، فلا فرق إذا بين صدر  
البيت ومحجزه ، فإن قيل إنه أراد بالإلمام زيارة اليقظة ، ثم قال ( وزارت خيالا )  
فالجواب عن ذلك أنه لم يرد إلا زيارة المنام في الحالتين ، لأنه قال : ( أمت وهل

---

(١) البطان من قصيدته في مدح سيف الدولة عند انصرافه من بلد الروم سنة ٣٤٥ ،  
وأشده إيماها بآمد ، ومطلمها :

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول وهل المجل الثاني

( شرح ديوان المتنبي ٣/٣٩٥ ) .

بحر هنا خبر لمبتدأ محذوف ، أى النهر الذى عبره سيف الدولة بحر . يذم لأهله :  
يجيرهم . الحدنان : نوابب الدهر . بنو حمدان : عشيرة سيف الدولة ، أى أن هذا النهر الذى  
عبره سيف الدولة بحر تنوود أن يجير أصحابه من حوادث الدهر بأن يمنح المدو من العبور  
إليهم ، لكن لما هرته أبت تركته يجير أهله من كل أحد إلا من بنى حمدان ، يعنى أن غيرك  
لا يقدر على عبوره .

(٢) من معلقته التى مطلمها :

هل غادر البهراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد تومم؟

(٣) من قصيدته في مدح الفتح بن خاقان ، ( الديوان ٢/٧٦ ) وفى الديوان

لك نافع :

إلمامها بك نافع) ولو كان في اليقظة لما قل وهل إلمامها بك نافع ، فإنه لا نفع  
أبغ من زيارة المحبوب في اليقظة ، وهذا غير خاف لا يحتاج إلى السؤال عنه .  
فإن قيل لم أجزت ذلك لناظم وحظرتة على الناثر ؟

قلت في الجواب : أما الناثر فإنه إذا سجع كلامه فالغالب أن يأتي به مزدوجا  
على فقرتين من الفقر ، ويمكنه إبدال تلك الفقرتين بغيرها ، فيسلم منه ، وأما الشاعر  
فإنه يصوغ قصيدا ذا أبيات متعددة على قافية من التوافي ، فإذا تكرر لديه شيء  
من الكلام في آخر بيت من الأبيات عسر إبداله من أجل القافية ، وهذا غير خاف  
والسؤال عنه غير وارد .

وهذا الذي ذكرته إذا ورد في غير القافية سمي إخلاء ، ويقال إن البحترى  
كان يُنخل كثيرا في شعره ، وهو لعمرى كذلك ، إلا أن حسن سبكه ، ورونق  
ديباجته يفقر له ذلك . ويروى عنه أنه كان إذا أمثل بين يدي الفتح بن خافان  
وزير المتوكل مادحا له اختال بين يديه محجبا بنفسه ، فقدم خطوات ؛ ثم تأخر ،  
وقال أي شيء تسمعون ؟ فقم عليه ذلك بعض حركاته ، وحمل الفتح بن خافان  
عليه ، فقال له الفتح : لو رمانا بالحجارة لكان ذلك مدفورا له فيما يقوله .

### النوع الثامن عشر

### في الاعتراض

وبعضهم يسميه المشو ، وحدثه كل كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب  
لو سقط لبقى الأول على حاله .

مثال ذلك أن نقول زيد قائم ، فهذا كلام مفيد وهو مبتدأ وخبر ،  
فإذا أدخلنا فيه لفظا مفردا قلنا زيد والله قائم ، ولو أزلنا القسم منه بقي  
على حاله ، وإذا أدخلنا في هذا الكلام لفظا مركبا قلنا : زيد على ما به من المرض



تاتم ، فأدخلنا بين المبتدأ والخبر لفظاً مركباً وهو قولنا على ما به من المرض ، فهذا هو الاعتراض ، وهذا حده .

واعلم أن الجائز عنه وغير الجائز يؤخذ من كتب العربية ، فإنه يكون مُستقصى فيها ، كاعتراض بين القسم وجوابه ، وبين الصفة والوصف ، وبين المظوف والمظوف عليه ، وأشبه ذلك مما يحسن استعماله ، وكاعتراض بين المضاف والمضاف إليه ، وبين إن وإسما ، وبين الجار والجرور ، وأمثال ذلك مما يقيح استعماله ، وليس هذا مكانه ، لأن كتابنا هذا موضوع لمن استكمل معرفة ذلك وغيره مما أشرنا إليه في صدر الكتاب .

وليس المراد هنا من الاعتراض إلا ما يُفترق به بين الجيد والردى ، لا ما يُعلم به الجائز وغير الجائز ، لأن كتابنا هذا موضوع لقد ذكر ما يتضمنه الكلام على اختلاف أنواعه من وصفى البلاغة والفصاحة ، فالقى أذكره في باب الاعتراض إنما هو ما اشتمل على شيء من هذين الوصفين المشار إليهما .

[ قسما الاعتراض ]

واعلم أن الاعتراض ينقسم إلى قسمين :

أحدهما لا يأتي في الكلام إلا لفائدة ، وهو جار مجزى التوكيد .

والآخر أن يأتي في الكلام لغير فائدة ، فإما أن يكون دخوله فيه كحز وجهه ، وإما أن يؤثر في تأليفه تقصاً وفي معناه فساداً .

[ القسم الأول ]

وهو الذى يأتي في الكلام لفائدة كقوله تعالى : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم - وإنه لقسمة لو تعلمون عظيم - إنه لقرآن كريم <sup>(١)</sup> ﴾ ، وذلك اعتراض بين القسم

الذى هو فلا أقسم بمواقع النجوم ، و بين جوابه الذى هو ﴿ إنه لقرآن كريم ﴾  
وفى نفس هذا الاعتراض اعتراض آخر بين الموصوف الذى هو قسم و بين  
صفته التى هى عظيم ، وهو قوله ﴿ تعلمون ﴾ فذالك اعتراض كما ترى .

و فائدة هذا الاعتراض بين القسم و جوابه إنما هى تمظيم شأن المقسم به فى نفس  
السامع ، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿ لو تعلمون ﴾ اعتراضاً بين الصفة والموصوف ،  
و ذلك الأمر بحيث لو علم و فى حقه من العظيم ،

و هذا مثل قولنا : إن هذا الأمر لعظيم ، بحيث لو تعلم يا فلان عظمة قدرته  
حق قدره . فإن ذلك يكبره فى نفس الخاطب ، و يظل مُتطلماً إلى معرفة عظمة .  
و كذلك ورد قوله تعالى ﴿ ويجعلون لله البنات - سبحانه - ولهم ما يشتهون ﴾<sup>(١)</sup> .  
و تقديره و يجعلون لله البنات و لهم ما يشتهون ، فاعتراض بين الموصوفين بسبحانه ،  
و هو مصدر يدل على التنزيه ، فكأنه قال و يجعلون لله البنات وهو منزه عن  
ذلك ، و لهم ما يشتهون ، و فائدة هذا هنا ظاهرة .

و كذلك ورد قوله تعالى فى سورة يوسف عليه السلام ﴿ قالوا لنفقِدُ صُواعَ الملكِ  
وَأَمِنَ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾ قالوا تالله - لقد علمتم - ما جئنا لنفد في الأرض  
وما كنا سارقين ﴿<sup>(٢)</sup> فقوله ( لقد علمتم ) اعتراض بين القسم و جوابه ، و فائدته  
تقرير إثبات البراءة من الفساد ، و النزاهة من تهمة السرقة ، أى أنه قد علمتم هذا  
منا ، و نحن مع علمكم به نقسم بالله على صدقه .

و قد ورد الاعتراض فى القرآن كثيراً ، و ذلك فى كل موضوع يتعلق بنوع من  
خصوصيته المبالغة فى المعنى المقصود .

و من هذا القسم قوله تعالى ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية - والله أعلم بما ينزل -

(٢) يوسف ٧٢ .

(١) النحل ٥٧ .

(٣) النحل ١٠١ .

قالوا إنما أنت مفتري بل أكثرهم لا يعلمون ﴿٣﴾ فهذا الاعتراض بين إذا وجوابها ، لأن تقدير الكلام وإذا بدلنا آية مكان آية قالوا إنما أنت مفتر ، فاعتراض بينهما بقوله تعالى ﴿ والله أعلم بما ينزل ﴾ وهو مبند وخبره ، وفائدته إعلام القائلين أنه مفتر أن ذلك من الله وليس منه ، وأنه أعلم بذلك منهم .

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ ووَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ - حَلَّتْهُ أُمَةٌ وَهَذَا عَلَى عَلِيٍّ وَهَنٌ - وَفِصَالَهُ فِي طَائِفِينَ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ (١)

الآثرى إلى هذا الاعتراض الذى قد طبق بفضيل البلاغة ، وفائدته أنه لما أوصى بالوالدين ذكر ما تكابده الأم من المشاق في حمل الولد وفضاله ، إيماءاً بالتوصية بها وتذكيراً بحقوقها ، وإنما خصها بالذكر دون الأب ، لأنها تتكلف من أمر الولد ما لا يتكلفه ، ومن ثم قول النبي صلى الله عليه وسلم لمن قال له من أرب؟ قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك .

ومما جاء على هذا الأسلوب قوله عز وجل ﴿ وإذا قتلتُم نفساً فادارأتم فيها - والله مخرج ما كنتم تكتمون - فقلنا اضربوه ببعضها ، كذلك يحيى الله الموتى ويربكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ (٢)

فقوله ﴿ والله مخرج ما كنتم تكتمون ﴾ اعتراض بين العطف والمطوف عليه ، وفائدته أن يقرر في نفوس مخاطبين وقلوب السامعين أن تدارأتم بنى إسرائيل في قتل تلك النفس لم يكن نافعاً لهم في إخفائه وكتابه ، لأن الله تعالى مظهر ذلك ، ولو جاء الكلام غير معترض فيه لكان : وإذا قتلتُم نفساً فادارأتم فيها ، فقلنا اضربوه ببعضها . ولا يخفى على البليغ الفرق بين ذلك وبين كونه معترضاً فيه .

ومما ورد من ذلك شعراً قول امرئ القيس .

ولو أن ما أسمى لأذنى معيشة كفاى - ولم أطلب - قليل من المال

ولكننا أسَمَى لمجدٍ مؤنثٍ وقد يُدْرِكُ الجَدَّ المؤنثَ أمثالي<sup>(١)</sup>  
تقديره كفاً قليل من اللال ، فاعترض بين الفعل والفاعل بقوله (ولم أطلب)  
وقائده تحقير المعيشة ، وأنها تحصل بتغير طلب وعناء ، وإنما الذي يحتاج إلى  
الطلب هو الجَدُّ المؤنثُ .  
وكذلك قول جرير :

واقْدُ أَرَأَى - والجديدُ إلى بلي - في مَوْكِبٍ طُرْفِ الحديثِ كرام<sup>(٢)</sup>  
تقديره في موكب طرف الحديث ، فاعترض بين المفعولين ، وإنما جاء بهذا  
الاعتراض تعريضاً عما مضى من الذة وذلك التنعيم الذي فاز به من عشرة أولئك  
الأحباب ، ( فكأنه قال )<sup>(٣)</sup> : ولقد أهدنى في كذا وكذا من الذة ، وذلك قد  
مضى وسلف وبلى جديده ، وكذلك كل جديد فإنه إلى بلي .

والاعتراض إذا كان هكذا كسا الحديث لطفاً إن كان غزلاً ، وكساه أبهة  
وجلالاً إن كان مديحاً . أما ما يجري مجراه من أساليب الكلام ، وإن كان  
هجاء كساه تأكيداً وإثباتاً كقول كثير عزة :

لو ان الباخلين - وأنت منهم - رأوك تعلموا منك المطاللا<sup>(٤)</sup>

(١) من قصيدته التي مطلعها :

ألا عم صياحاً أيها الطلل البالي وهل يمين من كان في العصر الخالي  
(الديوان ٣٩) للؤنث الذي يثمر وبفيد ، وهو أيضاً الكثير .

(٢) من قصيدته في الرد على الفرزدق ، ومطلعها :

سرت الموم فبت غير نيام وأخو الموم يروم كل مرام  
والبيت في الديوان هكذا :

ولقد أرائني والجديد إلى بلي في فتية طرف الحديث كرام  
(الديوان ٥٥١) .

(٣) ما بين قوسين زيادة رأينا أنها توضح المراد .

(٤) ديوان كثير ١٠١/١ .

قوله وأنت منهم من محمود الاعتراض ونادره ، وفائدته هاهنا التصريح بما هو المراد ، وتقدير هذا الكلام قبل الاعتراض : لو أن الباخرين رأوك ، فاعترض بين اسم أن وهو الباخرين ، وبين خبرها وهو رأوك بالمبتدأ ، أو الخبر القى هو « وأنت منهم » .

ومن محاسن ما جاء في هذا الباب قول سوار بن للضرب السعدي :

فلو سألت سراة الحمى سألني على أن قد تلون بي زمانى  
تخبرها ذوو أحساب قومي وأعدائي فكلُّ قد بلّاني<sup>(١)</sup>

وهذا اعتراض بين لو وجوامها ، وهو من فائق الاعتراض ونادره ، وتقديره .  
فلو سألت سراة الحمى سلمى تخبرها ذوو أحساب قومي وأعدائي ، وفائدة « على أن قد تلون بي زمانى » أى أنهم يخبرون عنى على تلون الزمان ، يريد تنقل حالاته من خير وشر ، وليس من عجمه الزمان وأبان عن جوهره كغيره ممن لم يعجمه ولا أبان عنه .

ومن ذلك قول أبي تمام :

وإن النقي لى إن لحظت مطالبى من الشعر إلا فى مديحك أطوع<sup>(٢)</sup>

(١) فى الأصل نسبة الشعر للضرب السعدي ، والصواب نسبتها إلى ابنه سوار (شرح التبريرى للعجاسة ١/١٢٥) .

(٢) من قصيدته فى مدح أبى سعيد محمد بن يوسف النفرى ، ومطالعها :

ألا إنه لولا الخبط المودع وربيع هفا منه مصيف ومرج

الديوان ٢/٣٣٣) قال أبو الفتح عثمان بن جنى : الفصل بين المضاف والمضاف إليه كثير ، وقد جاء الطائي الكبير بالتقديم والتأخير فقال : ( البيت ) وتقديره أن النقي - لو لحظت مطالبى - أطوع لى من الشعر ، إلا فى مديحك ، أى فإنه يطعنى فى مديحك ويسارع لى . وهذا كقوله أيضاً معنى ولفظاً :

تفاير الشعر فيه إذ سهرت له حتى ظننت قوافيه ستقتل

وهذا البيت فيه اعتراض :

الأول : بين إسم إن وخبرها ، تقديره ، وإن النفي أطوع لي من الشعر ،  
فاعترض بين الاسم والخبر بقوله « إن لحظت مطالبي » .  
أما الاعتراض الثاني : فقوله « إلا في مديحك » فجاء بالجملة الاستثنائية مقدمة ،  
وموضعها التأخير ، فاعترض بها بين الجملة التي هي خبر إن .

وتقدير البيت بجملة « وإن النفي أطوع لي من الشعر إن لحظت مطالبي إلا  
في مديحك » وفائدة قوله إلا في مديحك من الاعتراض الذي اكتسب به الكلام  
رقة وفائدة حسنة ، والمراد به وصف جود المدوح بالإسراع ، ووصف خاطر  
شعره بالإسراع إذا كان في مدحه خاصة دون غيره ، فهذا الاعتراض يتضمن  
مدح المدوح والملاح معاً ، وهو من محاسن ما يجيء في هذا اللوضع .

وكذلك ورد قوله :

رَدَدْتَ رَوْنِقَ وَجْهِ فِي صَحيفته      رَدَّ الصَّقَالِ بِيَاءَ الصَّارِمِ اتَّخِذِمِ  
وما أبالي - وخير القول أصدقه -      حَقَنْتَ لِي مَاءَ وَجْهِ أَمْ حَقَنْتَ دَمِي (١)

فقوله « وخير القول أصدقه » اعتراض بين المفعول والفعل ، لأن موضع  
حقنت نصب ، إذ هو مفعول أبالي ، وفائدته إثبات ما مائل به بين ماء الوجه  
والدم ، أي أن هذا القول صدق ليس بكذب .

[ القسم الثاني ] :

وأما القسم الثاني وهو والذي يأتي في الكلام لغير فائدة فهو ضربان :

(١) من قصيدته في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف والبيتان في الديوان هكذا :

رَدَدْتَ رَوْنِقَ وَجْهِ فِي صَحيفته      رَدَّ الصَّقَالِ بُوْجَه الصَّارِمِ اتَّخِذِمِ  
وما أبالي وخير القول أصدقه      حَقَنْتَ لِي مَاءَ وَجْهِ أَوْ حَقَنْتَ دَمِي

(الديوان ٢١٨/٣) الصقال : الاسم من الصقل . الخدم : السريع القطع .

الضرب الأول : يكون دخوله في الكلام كخروجه منه لا يكتسب به قبحا ولا حسناً ، فمن ذلك قول النابغة :

يقول رجال مجهولون خليفتي لعل زيادا - لا أبأ لك - غافل<sup>(١)</sup>  
فقوله لا أبأ لك من الاعتراض الذي لا فائدة فيه ، وليس مؤثراً في البيت حسناً ولا قبحاً .

ومثله جاء قول زهير :

سَبَّحْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَبِيشُ ثَمَانِينَ حَوْلًا - لا أبأ لك - بسأم<sup>(٢)</sup>

وقد وردت هذه اللفظة وهي « أبأ لك » في موضع آخر ، فكان للاعتراض بها فائدة حسنة ، كقول أبي تمام :

« عتابك عني - لا أبأ لك - واقصدي »<sup>(٣)</sup>

فإنه لما كره عتابها اعترض بين الأمر والمعطوف عليه بهذه اللفظة على طريق الذم .

الضرب الثاني : وهو الذي يؤثر في الكلام نقصاً وفي المعنى فساداً ، وقد تقدم ذكر أمثاله وأنظاره في باب التقديم والتأخير ، وإنما جيء به ذكره هنا مكرراً لإتمام التقسيم الاعتراضي فيما أفاد وفيما لا يفيد ، وقد ذكرت من ذلك مثالا واحداً أو مثالين ، فما ورد منه قول بعضهم :

(١) من قصيدة في رثاء النعمان بن المنذر ، مظهرها :

دعك الهوى واستجهنك المنازل وكيف تصابى المرء والشيب شامل  
(٢) من معلقته التي مظهرها .

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بمجوانة الدراح فالتنم  
(٣) لم نتمر على النس في ديوانه .

فَقَدَّ وَالشُّكَّ بَيْنَ لِي عَنَاءَ بَوْشَكِ فِرَاقِهِمْ صُرْدٌ يَصِيحُ (١)

فإن في هذا البيت من ردى الاعتراض ما أذكركه لك ، وهو الفصل بين  
قد والفعل القدى هو بَيْنَ ، وذلك قبيح لقوة اتصال قد بما تدخل عليه من الأفعال  
الأتراها تعد مع الفعل كالجزم منه ، ولذلك أدخلت عليه اللام المراد بها تأكيد  
الفعل كقوله تعالى ﴿ ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك ﴾ (٢) وكقوله  
﴿ واقد علوا لمن اشتراه ﴾ (٣) وقول الشاعر :

ولقد أنجم رجلى بها حذر الموت وإني لقرور (٤)

إلا إن فصل بين قد والفعل بالقسم ، فإن ذلك لا بأس به نحو قولك :  
قد والله كان ذلك ، وقد فصل في هذا البيت أيضاً بين المبتدأ الذى هو الشك وبين  
الخبر الذى هو عناء بقوله « بَيْنَ لِي » وفصل بين الفعل الذى هو « بَيْنَ » وبين  
فاعله الذى هو « صرد » بخبر المبتدأ الذى هو عناء ، فجاء معنى البيت كما تراه ،  
كأنه صورة مشوهة قد نقلت أعضاؤها بعضها إلى مكان بعض .  
ومن هذا الضرب . قول الآخر :

نظرت وشخى - مطلع الشمس - ظله إلى الغرب حتى ظله الشمس قد عقل  
أراد : نظرت مطلع الشمس وشخى ظله إلى الغرب حتى عقل الشمس أى  
حاذها ، وعلى هذا التقرير فقد فصل بمطلع الشمس بين المبتدأ الذى هو  
« شخص » وبين خبره الجملة وهو قوله ظله إلى الغرب ، وأغظ من ذلك أنه

(١) أصل التركيب فقد بين صرد يصيح بوشك فراقهم ، والشك لى عناء .

(٢) الزمر ٦٥ . (٣) البقرة ١٠٢ .

(٤) من مقطوعة عمرو بن معديكرب (شرح ديوان الحماسة للموزونى ١٨١/٣)

الضمير في قوله بها للفرس . والمعنى : أركضها وأستدر جريها ، ذهاباً في الفرار ، واحترازاً  
من الموت ، وإني لكثير الحرب إذا كان الحرب أغنى ، وإلى مراغمة العدو أدمى .



فصل بين الفعل وفاعله بالأجنبي ، وهذا وأمثاله مما يفسد المعاني ويورثها اختلالاً .  
واعلم أن الفائز في استعمال ذلك أكثر ملاممة من الفاظم ، وذلك أن الناظم  
مضطر إلى إقامة ميزان الشعر ، وربما كان مجال الكلام عليه ضيقاً فيلقيه طلب  
الوزن في مثل هذه الورطات ، وأما الناثر فلا يضطر إلى إقامة الميزان الشعري ،  
بل يكون مجال الكلام عليه واسعاً ، ولهذا إذا اعترض في كلامه اعتراضاً يفسده  
توجه عليه الإنكار ، وحق عليه الذم .

### النوع التاسع عشر

## في السكناية والتعريض

وهذا النوع مقصور على الميل مع المعنى وترك اللفظ جانباً . وقد تكلم علماء  
البيان فوجدتهم قد خلطوا السكناية بالتعريض ، ولم يفرقوا بينهما ، ولا حدوا كلا  
منهما محد يفصله عن صاحبه ، بل أوردوا لها أمثلة من النظم والنثر ، وأدخلوا  
أحدهما في الآخر ، فذكروا للسكناية أمثلة من التعريض ، وللتعريض أمثلة من  
السكناية . فمن فعل ذلك الغامبي<sup>(١)</sup> وابن سنان الخفاجي<sup>(٢)</sup> والمسكري<sup>(٣)</sup> .  
فأما ابن سنان فإنه ذكر في السكناية قول امرئ القيس :

فصرنا إلى الحسنى ورقّ كلامها ورُضتْ فذاتُ صعبةٍ أئى إدلال<sup>(٤)</sup>

(١) هو أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغامبي . كان من فضلاء مصره ، وله شعر  
مشهور ، وهو من شعراء نظام الملك ( الباب لابن الأثير ١٦٦/٣ ) .

(٢) الأمير أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي المتوفى سنة ٤٦٦ هـ  
مؤلف سر الفساحة .

(٣) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل المسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ مؤلف كتاب  
الصناعاتين .

(٤) البيت من قصيدته التي مطلعها :

ألا عم صبأحا أيها الطال البالي وهل يمين من كان في العصر الحالي

( الديوان ٢٢ ) .

صرنا إلى الحسنى : إلى ما نحب من الأمور . رضت : ابتنتها بالكلام والمداواة كما يروض  
الدمر أو الحصان بالسير .

وهذا مثال ضربه للكناية كَلَى المباشرة ، وهو مثال للتعريض<sup>(١)</sup> .

ووجدت في كتاب الذكوة لابن حمدون البغدادي ، وكان مشار إليه عندهم بفضيلة ومعرفة لا سيما في فن الكتابة ، فوجدت في كتابه ذلك بابا مقصوراً على ذكر الكناية والتعريض وما قيل فيهما نظماً ونثراً ، وهو محشوٌّ بالمخاطب بين هذين القسمين من غير فصل بينهما ، وقد أورد أيضاً في بعضه أمثلة غثة باردة .

وسأذكر ما عندي في الفرق بينهما ، وأميز أحدهما عن الآخر ، ليُعرف كل منهما على انفراده فأقول :

[ الكناية ] :

أما الكناية فقد حُدَّتْ بحدٍّ ، فقيل هي اللفظ الدال على الشيء ، على غير الوضع الحقيقي ، بوصف جامع بين الكناية والمكْنَى عنه ، كاللحم والجماع ، فإن الجماع اسم موضوع حقيقي ، واللحم كناية عنه ، وبينهما الوصف الجامع ، إذ الجماع لحم وزيادة ، فكان دالاً عليه بالوضع المجازي .

وهذا الحد فاسد ، لأنه يجوز أن يكون حدًّا للتشبيه ، فإن التشبيه هو اللفظ الدال على غير الوضع الحقيقي لجامع بين المشبه والمشبه به وصفة من الأوصاف ، ألا ترى أنا إذا قلنا : زيد أسد ، كان ذلك لفظاً دالاً على غير الوضع الحقيقي بوصف جامع بين زيد والأسد ، وذلك الوصف هو الشجاعة ، ومن ها هنا وقع الخلط لمن أشرت إليه في الذي ذكره في حد الكناية .

---

(١) قال ابن سنان الحفاجي : ومن هذا الجنس حسن الكناية مما يجب أن يكنى عنه في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح ، وذلك أصل من أصول الفصاحة ، وشروط من شروط البلغة ، إلى أن قال . ومما يستحسن من الكنایات قول امرئ القيس ( البيت ) لأنه كنى عن المباشرة بأحسن ما يكون من العبارة ( سر الفصاحة ١٥٦ ) .

وأما علماء أصول الفقه فإنهم قالوا في حد الكناية إنها اللفظ المحتمل ،  
يريدون بذلك أنها اللفظ الذي يحتمل الدلالة على المعنى وعلى خلافه . وهذا قاسد  
أيضا ، فإنه ليس كل لفظ يدل على المعنى وعلى خلافه بكناية .

دليل ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا لم تستح فافعل ما شئت »  
فإن هذا اللفظ يدل على المعنى وعلى خلافه ، وبيان ذلك أنه يقول في أحد  
معنييه : إنك إذا لم يكن لك وازع يزعك عن الحياء فافعل ما شئت ، أما معناه  
الآخر فإنه يقول : إذا لم تفعل فعلا يُستَحَى منه فافعل ما شئت ، وهذا ليس  
من الكناية في شيء ، فبطل إذا هذا الحد .

ومثال الفقيه في قوله إن الكناية هي اللفظ المحتمل مثال من أراد أن  
يُحَدِّدَ الإنسان فأتى بِحَدِّ الحيوان ، فمير بالأعم عن الأخص ، فإنه يقال كل إنسان  
حيوان ، وليس كل حيوان إنسانا ، وكذلك يقال ها هنا ، فإن كل كناية لفظ  
محتمل ، وليس كل لفظ محتمل كناية .

والذي عندي في ذلك أن الكناية إذا وردت تجاذبها جانبا حقيقة ومجاز ،  
ووجاز حملها على الجانبين معا ، ألا ترى أن اللبس في قوله تعالى : ﴿ أَوْلَا مَسْتَمِّمَاتُ  
النِّسَاءِ ﴾ يجوز حمله على الحقيقة والمجاز ، وكل منهما يصح به المعنى ولا يختل ،  
ولهذا ذهب الشافعي رحمه الله إلى أن اللبس هو مصاحفة الجسد الجسد ، فأوجب  
الوضوء على الرجل إذا لمس المرأة ، وذلك هو الحقيقة في اللبس ، وذهب غيره  
إلى أن المراد باللبس هو الجماع ، وذلك مجاز فيه ، وهو الكناية . وكل موضع  
ترد فيه الكناية فإنه يتجاذبه جانبا حقيقة ومجاز ، ويجوز حمله على كليهما معا ،  
وأما التشبيه فليس كذلك ولا غيره من أقسام المجاز ، لأنه لا يجوز حمله إلا على  
جانب المجاز خاصة ، ولو حمل على جانب الحقيقة لاستحال المعنى ، ألا ترى أنا  
إذا قلنا : ( زيد أسد ) لا يصح إلا على المجاز خاصة ، وذلك أنا شبهنا زيدا  
بالأسد في شجاعته ، ولو حملناه على جانب الحقيقة لاستحال المعنى ، لأن

زيداً ليس بالحيوان ذا الأربع والذئب والوبر والأنياب والخالب .

وإذا كان الأمر كذلك فعدُّ الكناية الجامع لها هو أنها كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز . والدليل على ذلك أن الكناية في أصل الوضع أن تتكلم بشيء وتريد غيره ، يقال كئيت بكذا عن كذا ، فهي تدل على ما تكلمت به ، وعلى ما أردته في غيره ، وعلى هذا فلا تخلو إما أن تكون في لفظ تجاذبه جانباً حقيقة ومجاز ، أو في لفظ تجاذبه جانباً مجاز ومجاز ، أو في لفظ تجاذبه جانباً حقيقة وحقيقة ، وليس لنا قسم رابع ، ولا يصح أن تكون في لفظ تجاذبه جانباً حقيقة وحقيقة ، لأن ذلك هو اللفظ المشترك ، وإذا أطلق من غير قرينه مخصوصه كان مُشهماً غير مفهوم ، وإذا أضيف إليه القرينة صار مختصاً بشيء بعينه ، والكناية أن تتكلم بشيء وتريد غيره ، وذلك مخالف لفظ المشترك إذا أضيف إليه القرينة ، لأنه يختص بشيء واحد بعينه لا يتعداه إلى غيره ، وكذلك لا يصح أن تكون الكناية في لفظ تجاذبه جانباً مجاز ومجاز ، لأن المجاز لا بد له من حقيقة نُقِلَ عنها ، لأنه فرع عليها .

وذلك اللفظ الدال على المجازين إما أن يكون للحقيقة شركة في الدلالة عليه أو لا يكون لها شركة ، فإن كان لها شركة في الدلالة فيكون اللفظ الواحد قد دل على ثلاثة أشياء : أحدها الحقيقة ، وهذا مخالف لأصل الوضع ، لأن أصل الوضع أن تتكلم بشيء وأنت تريد غيره ، وها هنا تكون قد تكلمت بشيء وأنت تريد شيئين غيره ، وإن لم يكن للحقيقة شركة في الدلالة كان ذلك مخالفاً للوضع أيضاً ، لأن أصل الوضع أن تتكلم بشيء وأنت تريد غيره ، فيكون الذي تكلمت به دالاً على ما تكلمت به وعلى غيره ، وإذا أُخْرِجَتِ الحقيقة عن أن يكون لها شركة في الدلالة لم يكن الذي تكلمت به دالاً على ما تكلمت به ، وهذا محال ، فتحقق حينئذ أن الكناية أن تتكلم بالحقيقة ، وأنت تريد المجاز ، وهذا الكلام

في حقيقة الدليل على تحقيق أمر الكناية لم يكن لأحد فيه قول سابق .

واعلم بأن الكناية مشتقة من السر ، يقال كسيتُ الشيء إذا سترته ، وأجرى هذا الحكم في الألفاظ التي بُسِّرَتْ فيها المجاز بالحقيقة ، فمكون دالة على السأر وعلى المستور معا ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ سَتَرْنَا عَنْ أَبْصَارِكُمْ ﴾ فإنه إن حل على الجامع كان كناية ، لأنه سَتَرَ الجاع بلفظ الامس الذي حقيقته مصاحفة الجسد الجسد ، وإن حل على الملامسة التي هي مصاحفة الجسد الجسد كان حقوة ، ولم يكن كناية ، وكلاهما يتم به المعنى .

وقد تأولت الكناية بغير هذا ، وهي أنها مأخوذة من الكنية التي يقال فيها أبو فلان ، فإننا إذا نادينا رجلا اسمه عبد الله وله وفد اسمه محمد فقلنا يا أبا محمد ، كان ذلك مثل قولنا يا عبد الله ، فإن شئنا نادينا بهذا أو شئنا نادينا بهذا ، فكلاهما واقم عليه ، وكذلك يجري الحكم في الكناية ، فإننا إذا شئنا حملناها على جانب المجاز ، وإذا شئنا حملناها على الحقيقة ، إلا أنه لا بد من الوصف الجامع بينهما لئلا يلحق بالكناية ما ليس منها ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا أَسْمَىٰ لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَمِجَةً وَوَلِي نَمِجَةً وَاحِدَةً ﴾<sup>(١)</sup> فكفى بذلك عن النساء ، والوصف الجامع بينهما هو التأنيث ، ولولا ذلك لقبل في مثل هذا الموضع إن أسمى له تسع وتسعون كبشا وولي كبش واحد ، وقيل هذه كناية عن النساء ، ومن أجل ذلك لم يُلتفت إلى تأويل من تأول قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابُكَ فَطَهِّرْ ﴾<sup>(٢)</sup> أنه أراد بالثياب القلب على حكم الكناية ، لأنه ليس بين الثياب والقلب وصف جامع ، ولو كان بينهما وصف جامع لكان التأويل صحيحا .

فإن قيل فما الدليل على اشتقاق الكناية من كنية الشيء إذا سترته ،  
ومن الكنية ؟

قلت في الجواب : أما اشتقاقها من كنية الشيء إذا سترته ، فإن المستور  
فيها هو المجاز ، لأن الحقيقة تفهم أولا ويتسارع إليها الفهم قبل المجاز ، لأن  
دلالة اللفظ عليها دلالة وضعية ، وأما المجاز فإنه يُفهم بعد فهم الحقيقة ، وإنما  
يفهم بالنظر والفكرة ، ولهذا يحتاج الى دليل ، لأنه عدول عن ظاهر اللفظ ،  
فالحقيقة أظهر والمجاز أخفى ، وهو مهتور بالحقيقة ، ألا ترى الى قوله تعالى :  
{ أو لاستم النساء } فالفهم يتسارع فيه إلى الحقيقة التي هي ملاسة الجسد الجسد ،  
وأما المجاز القوي هو الجماع ، فإنه يفهم بالنظر والفكر ، ويحتاج القاهب إليه  
الى دليل ، لأنه عدول عن ظاهر اللفظ .

وأما اشتقاقها من الكنية فلأن عبد الله في هذه الصورة المذكورة هو حقيقة  
هذا الرجل ، أى الاسم الموضوع بإزائه أولا ، وأما أبو محمد فإنه طارىء عليه  
بعد عبد الله<sup>(١)</sup> لأنه لم يكن له إلا بعد أن صار له ولد اسمه محمد ، وكذلك الكناية  
فإن الحقيقة لها هو الاسم للوضع أولا فى أصل الوضع ، وأما المجاز فإنه طارىء  
عليها بعد ذلك ، لأنه فرع ، والفرع إنما يكون بعد الأصل ، وإنما يُعمد الى  
ذلك الفرع المناسبة الجامعة بينه وبين الأصل على ما تقدم الكلام فيه ، وهذا  
التقدير كاف فى الدلالة على اشتقاق الكناية من ذينك المعنيين المشار إليهما .

فإن قيل إنك قد ذكرت أقسام المجاز فى باب الاستعارة التى قدمت ذكرها  
فى كتابك هذا ، وحصرتها فى أقسام ثلاثة ، وهى التوسم فى الكلام ، والاستعارة ،  
والتشبيه ، ونراك قد ذكرت الكناية فى المجاز أيضا ، فهل هى قسم رابع لتلك

(١) كان فى الأصل قاب بين الاسمين محمد وعبدالله ، فصححناها هكذا ليتلاءم الكلام  
هنا مع سابقه عند قوله إنها مأخوذة من الكنية .

الأقسام الثلاثة أم هي من جملتها ؟ فإن كانت قدما رابعا فذلك نقض للحصر الذي حصرته ، وإن كانت من جملتها فإنك أعدت ذكرها ها هنا مرة ثانية ، وهذا المكرر لا حاجة إليه .

فالجواب عن ذلك أني أقول : أما الحصر الذي ذكرته في باب الاستعارة فهو ذاك ، ولا زيادة عليه ، وأما الكناية فهي جزء من الاستعارة ، وكذلك الكناية فانها لا تكون إلا بحيث يُطَوَّى المسكتى عنه ، ونسبتها إلى الاستعارة نسبة خاص إلى عام ، فيقال كل كناية استعارة ، وليس كل استعارة كناية ، ويُفترق بينهما من وجه آخر ، وهو أن الاستعارة لفظها صريح ، والعريخ هو ما دل عليه ظاهر لفظه ، والكناية ضد الصريح ، لأنها عدول عن ظاهر اللفظ ، وهذه ثلاثة فروق أحدها الخصوص والعموم ، والآخر الصريح ، والآخر المحل على جانب الحقيقة والمجاز . وقد تقدم القول في باب الاستعارة أنها جزء من المجاز ، وعلى ذلك تكون نسبة الكناية إلى المجاز نسبة جزء الجزء وخاص الخاص .

وكان ينبغي أن تذكر الكناية عند ذكر الاستعارة في النوع الأول من هذه الأنواع المذكورة في المقالة الثانية ، وإنما أفردتها بالذكر هنا من أجل التعمير ؛ لأن من العادة أن يذكر جميعا في مكان واحد .

وقد يأتي في الكلام ما يجوز أن يكون كناية ، ويجوز أن يكون استعارة ، وذلك يختلف باختلاف النظر إليه بمفرده والنظر إلى ما بعده ، كقول نصر بن سيار في أبياته المشهورة التي يحرض بها بني أمية عند خروج أبي مسلم :

أرى خال الرماد وميضَ بَجْرٍ      ويوشض أن يكون له ضرامُ  
فإن النار بالزندان توري      وإن الحرب أولها الكلامُ

أقول من التعجب : ليت شعري أليفاظ أم نيام ؟  
فإن هَبُّوا فذاك بقاءه مُلكٌ وإن رَقَدُوا فإني لأنام<sup>(١)</sup>

فألبت الأول لوروده بمفرده كان كناية ، لأنه لا يجوز عمله على جانب الحقيقة وحمله على جانب المجاز ، أما الحقيقة فإنه أخبر أنه رأى وميض جمر في خلل الرماد ، وأنه سيضطرم ، وأما المجاز فإنه أراد أن هناك ابتداء شرٍّ كامن ، ومثله بوميض جمر من خلل الرماد ، وإذا نظرنا إلى الأبيات في جعلتها اختص للبيت الأول منها بالاستمارة دون الكناية ، وكثيراً ما يردُّ مثل ذلك وبشكل لتجاذبه بين الكناية والاستمارة ، على أنه لا بشكل إلا على غير العارف .

[ التعريفهم ]

وأما التعريض : فهو اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم بالوضع الحقيقي والمجازي ، فإنك إذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب : والله إنى لاحتاج ، وليس في يدي شيء ، وأنا عريان والبرد قد آذاني ، فإن هذا وأشباهه تعريض بالطلب ، وليس هذا اللفظ موضوعاً في مقابلة الطلب لا حقيقة ولا مجازاً ، إنما دل عليه من طريق المفهوم ، بخلاف دلالة اللمس على الجماع . وعليه ورد التعريض في

(١) كان نصر بن سيار واليا على خراسان لهشام بن عبد الملك ، وقد بعت إليه بهذه الأبيات يمدده فيها ذبوع السخط على بني أمية هناك ، وانتشار الدعوة لبني العباس .  
والأبيات في الأهالي ١٥ / ١٢٦ ومروج الذهب ٢ / ٢٥٢ والمقد الفريد ١ / ٢٤٠  
مكنّا :

أرى خلل الرماد وميض نار	ويوشيك أن يكون لها ضرام
فإن النار بالمودين تمدكي	وإن الحرب أولها السلام
فإن لم تطفئوها تحين حرباً	مشمرة يشيب لها الفلام
أقول من التعجب ليت شعري	أليفاظ أم نيام ؟
فإن يك قومنا أضعوا نياماً	فقل قوموا فقد حان القيام
شعري من رحالك ثم قولي	على الإسلام والحرب السلام



خطبة النكاح ، كقولك للمرأة : إنك نخلية وإني أعرب ، فإن مثل هذا لا يدل على طلب النكاح حقيقة ولا مجازا .

والتعريض أخفى من الكناية ، لأن دلالة الكناية لفظية وضعية من جهة المجاز ، ودلالة التعريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي ، وإنما سمي التعريض تعريضا لأن المعنى فيه يفهم من عُرْضه أى من جانبه ، وعُرْض كل شيء جانبه .

واعلم أن الكناية تشمل اللفظ المفرد والمركب معاً ، فتأتى على هذا تارة ، وعلى هذا أخرى ، وأما التعريض فإنه يختص باللفظ المركب ، ولا يأتى في اللفظ المفرد البتة .

والدليل على ذلك أنه لا يُفَسِّمُ المعنى فيه من جهة الحقيقة ولا من جهة المجاز ، وإنما يُفَسِّمُ من جهة التلويح والإشارة ، وذلك لا يستقل به اللفظ المفرد ، ولكنه يحتاج في الدلالة عليه إلى اللفظ المركب ، وعلى هذا فإن بيت امرئ القيس الذي ذكره ابن سنان مثالا للكناية هو مثال للتعريض ، فإن غرض امرئ القيس من ذلك أن يذكر الجماع ، غير أنه لم يذكره ، بل ذكر كلاما آخر يُفَسِّمُ الجماع من عُرْضه ، لأن المصير إلى الحسنى ورقة الكلام لا يفهم منهما ما أراده امرؤ القيس من المعنى لا حقيقة ولا مجازا ، وهذا لا يخاف به ، فاعرفه .

وحيث فرقنا بين الكناية والتعريض ، وميزنا أحدهما عن الآخر ، فلنفصلهما ونذكر أقسامهما ، ونبدأ أولا بالكناية فنقول :

## الكناية

اعلم أن الكناية تنقسم قسمين : أحدهما ما يحسن استعماله ، والآخر ما لا يحسن استعماله ، وهو عيب في الكلام فاحش ، وقد ذهب قوم إلى أن الكناية تنقسم أقساماً ثلاثة . تمثيلاً : وإزدافاً ، ومجاورة .

### فأما التمثيل :

فهو أن تراد الإشارة إلى معنى ، فيوضع لفظاً لمعنى آخر ، ويكون ذلك مثلاً للمعنى الذي أريدت الإشارة إليه ، كقولهم فلان نقي الثوب ، أى منزه من العيوب .

### وأما الإزداف :

فهو أن تراد الإشارة إلى معنى ، فيوضع لفظاً لمعنى آخر ، ويكون ذلك إزدافاً للمعنى الذي أريدت الإشارة إليه ولازمًا له ، كقولهم فلان طويل النجاد ، أى طويل القامة ، فطول النجاد إزداف لطول القامة ولازم له ، بخلاف نقاء الثوب في الكناية عن النزاهة من العيوب ، لأن نقاء الثوب لا يلزم منه النزاهة من العيوب ، كما يلزم من طول النجاد طول القامة .

### وأما المجاورة :

فهى أن يزيد ذكر الشيء فتتركه إلى ما جاوره كقول عنترة :  
بزجاجة صفراء ذات أميرة قرنت بأزهر في الشمال مقدم<sup>(١)</sup>  
يريد بالزجاجة الخمر ، فذكر الزجاجة وكنى بها عن الخمر ، لأنها مجاورة لها .

(١) من معلقته . الأسرة : جمع سر وسرور وهما الخط من خطوط اليد والجنبهة وغيرها وتجمع أيضاً على أسرار ، والأسرار تجتمع على أسرارير .  
أزهر : لبريق مشرق . مقدم : مسدود الرأس بالقدم وهو هنا المصفاة .

وهذا التقسيم ليس صحيح ، لأن من شرط التقسيم أن يكون كل قسم منه مختصا بصفة خاصة تفصله عن عموم الأصل ، كقولنا : الحيوان ينقسم أقساما منها الإنسان ، وحقيقته كذا وكذا ، ومنها الأسد ، وحقيقته كذا وكذا ، ومنها الفرس ، وحقيقته كذا وكذا ، ومنها غير ذلك ، وهاهنا لم يكن التقسيم كذلك ، فإن التمثيل على ما ذكر عبارة عن مجموع الكناية ، لأن الكناية إنما هي أن تراد الإشارة الى معنى ، فيوضع لفظا لمعنى آخر ، ويكون ذلك اللفظ مثلا المعنى الذى أريدت الإشارة إليه .

الآتى الى قوله تعالى : ﴿ إن هذا أخى له نسع وتسعون نعمة ولى نعمة واحدة ﴾<sup>(١)</sup> فإنه أراد الإشارة الى النساء فوضع لفظا لمعنى آخر وهو النماج ، ثم مثل به النساء ، وهكذا يجرى الحكم فى جميع ما يأتى من الكنايات ، لكن منها ما يتضح التمثيل فيه ، وتكون الشبهة بين الكناية والمكنى عنه شديدة المناسبة ، ومنه ما يكون دون ذلك فى الشبهة . وقد تأملت ذلك وحققت النظر فيه ، فوجدت للكناية إذا وردت على طريق اللفظ المركب كانت شديدة المناسبة واضحة الشبهة ، وإذا وردت على طريق اللفظ المفرد لم تكن بتلك الدرجة فى قوة المناسبة والمشابهة ، الآتى الى قولهم « فلان نقى الثوب » وقولهم « المس » كناية عن الجماع ، فإن نقاء الثوب أشد مناسبة وأوضح شها ، لأننا اذا قلنا : نقاء الثوب من الدنس كمنزاهة العرض من العيوب اتضحت المشابهة ، ووجدت المناسبة بين الكناية والمكنى عنه شديدة الملاءمة ، وإذا قلنا « المس كالجماع » لم يكن بتلك الدرجة فى قوة المشابهة ، وهذا الذى ذكر فى أن من الكناية تمثيلا وهو كذا وكذا ، غير سائغ ولا وارد ، بل الكناية كلها هى ذاك ، والذى قدمته من القول هو الحاصر لها ولم يأت به أحد غيرى كذلك .

### وأما الإرداف :

فإنه ضرب من اللفظ المركب ، إلا أنه اختص بصفة تخصه وهي أن تكون  
الكتابة دليلا على للسكنى عنه ولازمة له ، بخلاف غيرها من الكتابات ، ألا  
ترى أن طول النجاء دليل على طول القامة ولازم له ، وكذلك يقال فلان عظيم  
الرماد ، أي كثير إطعام الطعام ، وعليه ورد قول الأعرابية في حديث أم زرع  
في وصف زوجها « له إبل قليلات المسارح ، كثيرات للبارك ، إذا سمعت صوت  
المزهر أيقن أنهم هوالك »<sup>(١)</sup>

وغرض الأعرابية من هذا القول أن تصف زوجها بالجود والكرم ، إلا أنها  
لم تذكر ذلك باللفظ الصريح ، وإنما ذكرته من طريق الكتابة على وجه  
الإرداف الذي هو لازم له .

وكذلك ورد في الأخبار النبوية أيضا ، وذلك أن امرأة جاءت إلى النبي  
صلى الله عليه وسلم فسأته عن غسلها من الحيض ، فأمر أن تغتسل ، ثم قال :  
« خذي فرصة من مسك فتطهري بها »<sup>(٢)</sup> قالت : كيف أنظف بها ؟ فقال :  
تطهري بها . قالت : كيف أنظف بها ؟ قال سبحان الله ، تطهري بها . فاجتذبتها  
عائشة رضي الله تعالى عنها إليها ، وقالت : تدبعي بها أثر الدم ، فقولها « أثر الدم »  
كناية عن الفرج على طريق الإرداف ، لأن أثر الدم في الحيض لا يكون إلا في  
الفرج ، فهو رادف له .

وما ورد في ذلك شعرا قول عمر بن أبي ربيعة :

بعيدة مهوى القُوطِ إما لنوفل أبوها وإما عيدُ شمسٍ وهائم<sup>(٣)</sup>

(١) من وصف الزوجة الماشرة لزوجها ، والنس في البخاري « له إبل كثيرات  
البارك ، قليلات للمسارح ، إذا سمعت صوت المزهر أيقن أنهم هوالك » .  
(صحيح البخاري ٣/٦٨٤) .

(٢) صحيح البخاري ١/٤٩ . . الفرصة بكسر الفاء خرقفة أو قطنة تمشح بها المرأة  
من الحيض .

(٣) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ٢٠٠ .

فإن بمد مهوى القرط دليل على طول العنق .

ومن لطيف هذا الموضع وحسنه ما يأتي بالفتحة **مِثْل** ، كقول الرجل إذا نفى عن نفسه الفبيح « مثل لا يفعل هذا » أى أنا لا أفعله ، فنفي ذلك عن مثله ، ويريد نفيه عن نفسه ، لأنه إذا نفاه عن يمانه وبشابهه فقد نفاه عن نفسه لا عمالة ، إذ هو بنفى ذلك عنه أجدر . وكذلك يقال « **مِثْلُكَ** إذا سئلت أعطى » أى أنت إذا سئلت أعطيت ، وسبب ورود هذه اللفظة في هذا الموضع أنه يحمل من جماعة هذه أوصافهم وتثبيتاً للأمر وتوكيداً ، ولو كان فيه وحده لقلق منه موضعه ولم يرأس فيه قدمه .

وهذا مثل قول القائل إذا كان في مدح إنسان « أنت من القوم الكرام » أى لك في هذا الفعل سابقة ، وأنت حقيق به ، ولست دخيلاً فيه .

وقد ورد هذا في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** » وهو السميع البصير <sup>(١)</sup> ، والفرق بين قوله ليس كمثل شيء ، وبين قوله ليس كالله شيء ، هو ما أشرت إليه ، وإن كان الله سبحانه وتعالى لا **مِثْل** له حتى يكون لمثله مثل ، وإنما ذكر ذلك على طريق المجاز قصداً للمبالغة .

وقد يأتي هذا اللوضع بنهد لفتحة **مِثْل** وهي مقصودة ، كقولك للعربي « العرب لا **تُخْفِرُ** القدم » أى أنت لا تخفر القدم ، وهذا أبلغ من قولك : أنت لا تخفر القدم ، لما أشرت إليه . وعلى نحو من هذا جاء قول أبي الطيب المتنبي :

أست من القوم الذى من رماحهم نَدَاهُمْ ومن قَتْلَاهُمْ مَهْجَةُ الْبُخْلِ <sup>(٢)</sup>

(١) الشورى ١١ .

(٢) من قصيدة في رثاء أبي الميجاء عبد الله بن سيف الدولة وقد توفى سنة ٣٣٨ ، والبيت في الديوان :

أست من القوم الألى من رماحهم ندام ومن قتلهم مهجة البخل  
(ديوان المتنبي ٣/٢١١)

وإذا فرغت من ذكر الأصول التي قَدِّمْتُ ذكرها ، فإني أتبعها بضرب الأمثلة نثراً ونظماً ، حتى يزداد ما ذكرته وضوحاً .  
فمن ذلك ما ورد في القرآن الكريم ، نحو قوله تعالى : ﴿ أَيَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ (١) ، فإنه كَتَبَ عن الغيبة بأكل الإنسان لحماً إنسان آخر مثله ، ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله مَيْتًا ، ثم جعل ماهو في الغاية من الكراهة موصولاً بالهبة ، فهذه أربع دلالات واقعة على ما قُصِدَتْ له مطابِقةً للمعنى الذي وردت من أجله .

فأما جعل الغيبة كأكل الإنسان لحماً إنسان آخر مثله فشديد للمناسبة جداً ، لأن الغيبة إنما هي ذكر مثالب الناس وتمزيق أعراضهم ، وتمزيق العرض مماثل لأكل لحماً الإنسان لحماً من يفتابه ، لأن أكل اللحم تمزيق على الحقيقة ، وأما جعله كلعن الأئمة فلما في الغيبة من الكراهة ، لأن العقول والشرع مجتمعان على استكراهها ، أمران بتركها والبعد عنها ، ولما كانت كذلك جعلت بمنزلة لحم الأئمة في كراهته . ومن المعلوم أن لحماً الإنسان مستكراه عند إنسان آخر ، إلا أنه لا يكون مثل كراهته لحم أخيه ، وهذا القول مبالغة في استكراه الغيبة . وأما جعل اللحم مَيْتًا فمن أجل أن المقتاب لا يشعر بغيته ولا يحس بها . وأما جعله ماهو في الغاية من الكراهة موصولاً بالهبة ، فلما جُبِلَتْ عليه النفوس من الميل إلى الغيبة والشهوة لها مع العلم بقبحها .

فانظر أيها المتأمل إلى هذه الكفاية تجدها من أشد الكفايات شَبَهاً ، لأنك إذا نظرت إلى كل واحدة من تلك الدلالات الأربع التي أشرنا إليها وجدتها مناسبة لما قُصِدَتْ له .

وكذلك ورد قوله تعالى : ﴿ وَأَوْزَنَكُمْ أَرْضَهُمْ وِدْيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ

وأرضاً لم تطأوها ﴿١﴾ ، والأرض التي لم يطأوها كفاية عن منا كح النساء ،  
وذلك من حَسَن الكناية ونادره .

وكذلك ورد قوله تعالى : ﴿ أنزل من السماء ماء فسالت أوديةً بقدرها  
فاحتمل السيلُ زبداً رابياً ﴾ (٢) فكفى بالماء عن العلم ، وبالأودية عن القلوب ،  
وبالزبد عن الضلال ، وهذه الآية قد ذكرها أبو حامد الغزالي رحمه الله في كتابه  
للوسوم بإحياء علوم الدين ، وفي كتابه الموسوم بالجواهر ، والأربعين ، فأشار بها  
إلى أن في القرآن الكريم إشارات وإيماءات لا تنكشف إلا بعد الموت ، وهذا  
يدل على أن الغزالي رحمه الله تعالى لم يعلم أن هذه الآية من باب الكنايات التي  
لفظها يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز . وقد رأيت جماعة من أئمة الفقه لا يحقون  
أمر الكناية ، وإذا سئلوا عنها عبروا عنها بالمجاز ، وليس الأمر كذلك ، وبينهما  
وصف جامع ، كهذه الآية وما جرى مجراها ، فإنه يجوز حمل الماء على المطر النازل  
من السماء وعلى العلم ، وكذلك حمل الأودية على مهابط الأرض وعلى القلوب ،  
وهكذا يجوز حمل الزبد على الغناء الرابي الذي تقذنه السيول ، وعلى الضلال ،  
وليس في أقسام المجاز شيء يجوز حمله على الطرفين معاً سوى الكناية .

وبلغنى عن الفراء النحوى أنه ذكر في تفسير آية وزعم أنها كناية ، وهي  
قوله تعالى : ﴿ وقد مَكَرُوا مَكْرَهُمْ ، وعند الله مَكْرَهُمْ ، وإن كَانَ مَكْرَهُمْ  
لَيَنْزُولَ مِنْهُ الْجِبَالِ ﴾ (٣) فقال إن الجبال كفاية عن أمر رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وما جاء به من الآيات .

وهذه الآية من باب الاستعارة لا من باب الكناية ، لأن الكناية لا تسكون  
إلا فيما جاز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز ، والجبال هنا لا يصح بها المعنى  
إلا إذا حمت على جانب المجاز خاصة ، لأن مكر أولئك لم يكن أنزول منه  
جبال الأرض ، فإن ذلك محال .

(٢) الرعد ١٧ .

(١) الأحزاب ٢٧ .

(٣) إبراهيم ٤٦ .

وأما ما ورد في الأخبار النبوية فقول النبي صلى الله عليه وسلم : « إنه كانت امرأة فيمن كان من قبلنا ، وكان لها ابن عم يحبها ، فراودها عن نفسها ، فامتنعت عليه ، حتى إذا أصابتها شدة فجاءت إليه تسأله ، فراودها ، فسكنته من نفسها ، فلما قدم منها مقعد الرجل من المرأة قالت له : لا يحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه ، فقام عنها وتركها . وهذه كناية واقعة في موقعها .

ومن ذلك أيضاً قول النبي صلى الله عليه وسلم : « رُوَيْدُكَ سَوَّوْكَ بِالْقَوَارِيرِ »<sup>(١)</sup> يريد بذلك النساء ، فكسب عنهن بالقوارير ، وذلك أنه في بعض أسفاره وغللام أسود اسمه أَنْجَشَةُ يَحْدُو ، فقال له يا أَنْجَشَةُ رُوَيْدُكَ سَوَّوْكَ بِالْقَوَارِيرِ ، وهذه كناية لطيفة .

وكذلك ورد حديث الحديبية ، وذلك أنه لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرِّكَيَّةِ<sup>(٢)</sup> ، جاءه بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَانَ الْخِزَامِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ أَهْلِ نِهَامَةَ ، فقال : « تَرَكْتَ كَسْبَ بِنِ أُوَيْيَ وَعَامِرِ بْنِ أُوَيْيَ زَلُّوا عِدَادَ مِيَاهِ الْحَدْيِيَّةِ ، مَعَهُمُ الْعُوْذُ الْمَطَافِيلُ وَمِمَّ مَقَانِلُوكَ وَصَادُوكَ عَنِ الْبَيْتِ »<sup>(٣)</sup> وهذه كناية عن النساء والصبيان ، والموذ جمع هائذ وهي الناقة التي وضعت وقوى ولدها ، وهذا يجوز جملة

---

(١) كان أنجشة يحدو بالنساء ركابهن . ويرتجز بنسب الشعر والرجز وراءهن ، فلم يؤمن أن يصيبهن ما يسمعن من رقيق الشعر فيهن ، أو يقيم في قلوبهن حداؤه ، فأمر أنجشة بالكف عن نشيده وحدائه حذار صبوتهن إلى غير الجميل . وقيل إن الإبل إذا سمعت الحداء أسرعت في الشئ واشتدت فأزججت الراكب فأنتهت فيها من ذلك ، لأن النساء يضعفن عن شدة الحركة . « لسان العرب مادة قرر والنهاية لابن الأثير ٣/ ٢٤٠ .

(٢) الركية : البئر .

(٣) العوذ : جم هائذ وهي من الإبل الحديثة النتاج . المطافيل : التي معها أولادها ، يريد أنهم خرجوا ومعهم النساء والصبيان .

وفي سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري أن الذي أتى النبي صلى الله عليه وسلم بشر بن صفيان الكعبي أوبسر ، وأنه لقيه بصفان ، وهو منهل بين الجحفة ومكة أو بين المسجدين ، أو غير ذلك . فقال : يا رسول الله هذه قریش قد سمعوا بيسرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النمر ، وقد نزلوا بنى طوى يخلفون بالله لا تدخاها عليهم أبداً .

( سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠٩ وتاريخ الطبري ٣/ ٧٢ )



على طريق الحقيقة ، كما جاز حمله على طريق المجاز ، أى معهم الأموال من الإبل ،  
ومى كانت جل أموال العرب ، أى أنهم قد أحضروا أموالهم ليقاتلوا دونها ،  
ولما جاز حل العوذ للطفيل على النساء والمصبيان وعلى الأموال كان من  
باب الكناية .

ومن ذلك ما ورد فى إقامة الحد على الزانى ، وهو أن يشهد عليه برؤية العيل  
فى المَكْحُولَةِ ، وذلك كناية عن رؤية الفرج فى الفرج .

ومن لطيف الكنايات أن امرأة جاءت لعائشة رضى الله عنها فقالت لها :  
« أُقَيِّدُ بَعْلِي ؟ » فقالت عائشة رضى الله عنها « لا » . أرادت المرأة أن تضع لزوجها  
شيئاً يمنعه عن غيرها ، أى تربطه أن يأتى غيرها ، فظاهر هذا اللفظ هو تقييد  
الجل ، وباطنه ما أرادت المرأة وفهمته عائشة منها .

وكذلك يروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وذلك أنه جاء إلى النبي  
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : « هلكت ، قال : وما أهلكك ؟ قال :  
حَوَاتُ زَحْلِي الْبَارِحَةِ » . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَقْبِلْ وَأَذْبِرْ وَأَتَقِ  
الدُّبْرَ وَالْحَيْضَةَ » .

ويروى أن عمرو بن العاص زوج ولده عبد الله رضى الله عنه فمكثت المرأة  
عنده ثلاث ليال لم يَدْنُ منها ، وإنما كان ملتفتاً إلى صلاته ، فدخل  
عمرو بعد ثلاث ، فقال : كيف ترين بَعْلَكَ ؟ فقالت : نعم البَعْلُ إلا أنه  
لم يُفَتِّشْ لَنَا كَفْتًا ، ولا قَرُبَ لَنَا مَضْجَعًا . فقولها لم يفتش لنا كفتاً ولا قرب  
لنا مضجعاً من الكناية العراء الظاهرة .

ومن أطف ما بلغنى فى هذا قول عبد الله بن سلام ، فإنه رأى على رجل  
ثوباً مصفراً ، فقال : « لو أن ثوبك فى تنور أهلك أو تحت قدرم كان خيراً » .  
فذهب الرجل وأحرقه نظراً إلى حقيقة قول عبد الله ، وظاهر مفهومه ، وإنما أراد

المجاز منه ، وهو لو صرفت تمنه إلى دقيق تمجزه أو حطب تطبخ به كان خيراً ، والمعنى متجاذب بين هذين الوجهين ، فالرجل فهم منه الظاهر الحقيقي فمضى وأحرق ثوبه ، ومراد عبد الله غيره .

ومن هذا القسم ما ورد من أمثال العرب ، كقولهم إياك وعقيلة الملح . وذلك كناية عن المرأة الحسنة في منبت السوء ، فإن عقيلة الملح هي اللؤلؤة تكون في البحر ، فهي حسنة وموضعها ملح .

وكذلك قولهم : ليس له جلد النمر ، كناية عن العداوة . وقد يقاس على هذا أن يقال لبس له جلد الأسد ، ولبس له جلد الذئب ، وليس له جلد الأرقم ، لأن هذا كله مثل قولهم لبس له جلد النمر ، إذ العداوة محتملة في الجميع ، وكذلك قولهم : « قلب له ظهر الميخن » كناية عن تغيير المودة . وما ورد في ذلك شعراً قول أبي نواس :

لا أذود الطير عن شجره قد بلوت الدُّ من تمره (١)

وهذا له حكاية ، وهو أنه كان لأبي نواس صديقة تنشاه ، فقيل له إنها تختلف إلى آخر من أهل الرِّيب ، فلم يصدق ذلك حتى تبعها يوماً من الأيام ، فرآها تدخل منزل ذلك الرجل ، ثم إن ذلك الرجل جاءه وكان صديقاً له فكلمه ، فصرف وجهه عنه ، ثم نظم قصيدته المشهورة التي مطلعها « أيها المنتاب عن عفره » وهذا البيت من جملة أبياتها .

وكذلك ورد قوله أيضاً :

---

(١) من قصيدته في مدح العباس بن عبيد الله ، التي مطلعها :  
أيها المنتاب عن عفره لست من ليل ولا من سمرة

(الديوان ٤٢٧)

المنتاب : المتردد مرة بعد مرة . العفر : يسكون الفاء من ليالي الشهر السابعة والثامنة والثاسعة . وحرك الفاء لضرورة الشعر ، يقول : أيها الزائر للسير والحديث لست مني ولست منك ، لأن ليل لا يشبه ليلك ، وسمري بيمد من سمرك ، لأنني وني وأنت غادر .

وناظرة إلى من الثَّاقِبِ تلاحظى بظرفٍ مُتَرَابٍ  
كشفتُ قِناعها فإذا عجوزٌ مُمَوَّهةٌ القِمارِ بالخِضابِ  
فما زالت تُحَمِّسُنِي طويلاً وتأخذ في أحاديث التَّصَابِي  
تُحاول أن يقوم أبو زياد ودون قيامه شَيْبُ العَرَابِ  
أنتِ بجرابها تكتمال فيه فقامت وهي قارعةُ الجِرابِ (١)

فقوله : أنتِ بجرابها تكتمال فيه كناية ، إذ الجراب يجوز حملُه على الحقيقة  
والمجاز ، وكذلك الكيل أيضاً .

ومما جاء من هذا الباب أيضاً قول أبي تمام في قصيدته التي يستعطف بها  
مالك بن طوق على قومه التي مطلعها :

« أرضٌ مُصَرَّدةٌ وأرضٌ مَنجَمٌ »

مالي رأيت ترابكم يَبِيسُ الثَّرَى مالي أرى أطوادكم تَقْدِمُ (٢)

فيبس الثرى كناية عن تَنَكُّر دات البين ، تقول يبس الثرى يبى وبين  
خلان إذا تنكر الود الذي بينك وبينه ، وكذلك تهدم الأطواد ، فإنه كناية عن  
خفة الحلوم وطيش العقول .

(١) ليست في الديوان .

(٢) مطلع القصيدة في الديوان : أرض مصردة وأخرى تتجم .

مصردة : قليلة الرى والمطر . تتجم : يدوم عليها المطر .

والبيت في الديوان هكذا :

مالي رأيت ترابكم يبساً له مالي أرى أطوادكم تهدم

الضمير في (له) يعود على شخص المذكور في القصيدة من قبل اسمه مالك ، أغضبه هؤلاء  
وهو عظيم جليل النفع . ( الديوان ١٩٩ )

ومن الكناية الحسنة قول أبي الطيب المتنبي في قصيدته التي يعاتب فيها  
سيف الدولة بن حمدان التي مطلعها :

« وا حرّ قلباه بمن قلبه شميمٌ »

وشرٌّ ما فنصتُهُ راحتي قدصٌ شهبُ البزاةِ سواهُ فيه والرخمُ (١)

بشير بذلك إلى أن سيف الدولة يستوى في المثال منه هو وغيره ، هو  
اللبازي وغيره الرخمة ، وإن حل المعنى على جانب الحقيقة كان جائزاً .

وعلى هذا ورد قول الأقيشير الأسيدي ، وكان عتيبا لا يأتي النساء ، وكان  
كثيراً ما يصف ذلك من نفسه ، فجلس إليه يوماً رجل من قيس فأشدد الأقيشير :

ولقد أروح بمشرفِ ذى ميعة عَمِيرِ المَكْرَةِ ماؤهُ يَتَفَصَّدُ  
مَرِحٍ يطير من المِراحِ كُأباهُ ويكاد جلدُ إهابه يَتَقَدُّدُ (٢)

(١) الديوان ١١٦/٤ مطلع القصيدة :

وا حر قلباه بمن قلبه شميمٌ ومن مجسمى وحال عنده سقم

شمم : بارد . الشهب : جم أشهب وهو ما فيه بياض يخالطه سواد ، الرخم : جم رخمة  
وهي طائر من الجوارح الكبيرة الجسم الوحشية الطباع ، قالوا إنه موصوف بالقدر والقدر .  
البزاة : جم باز وهو ضرب من الصقور .

(٢) الميعة : المراد بها القوة والنشاط ، من ماع الشيء يميم إذا جرى على وجه الأرض  
منبسطة ، وماع الفرس إذا جرى .

يتفصد : يسيل ويجري على الأرض .

والبيتان في الأغاني ( ٨٣/١٠ ) هكذا

ولقد أروح بمشرف ذى شمرة عسر المكرة ماؤه يتفصد

مرح يطير من المراح كُأباهه ويكاد جلدته به تتقدد

والصواب الأقيشير كما في الأغاني لا الأقيس كما في الأصل . ويتفصد بالفاء لا بالالف كما

كانت بالأصل .

ثم قال له : أتبصر الشعر ؟ قال : نعم ، قال : فما وصفتُ ، قال : فرسا .  
قال : أفكنت تركبه لو رأيته ؟ قال : إى والله وأنتي عطفه ، فكشف له عن  
أبره ، وقال : هذا وصفتُ فقم واركبه ، فوثب الرجل عن مكانه ، وقال : قبحك  
الله من جلس سائر اليوم .

وكذلك أيضا يحكى أنه وفد سعيد بن عبد الرحمن على هشام بن عبد الملك ،  
وكان جميل الوجه ، فاختلف إلى عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدب الوليد بن يزيد ،  
فراوده عن نفسه ، فوثب من عنده ، ودخل على هشام وهو يقول :

إنه والله لولا أنت لم ينبج منى سالما عبد الصمد

فقال هشام : ولم ذلك ؟ قال :

إنه قد رام منى خبطة لم ير منها قبله منى أخذ

قال : ما هي ، قال :

راح جهلاى وجهلا بأبى يدخيل الأفعى على حبس الأسد<sup>(١)</sup>

قال : فضحك هشام . وقال : لو فعلت به شيئا لم أنكره عليك .

ومن أطف ما سمعته في هذا الباب قول أبى نواس في الهجاء :

إذا ما كنت جار أبى حسين فتم ويداك في طرف السلاج

فإن له نساء سارقات إذا ما بين أطراف الرياح

مرقن وقد نزلت عليه أبرى فلم أظفر به حتى الصباح

(١) حبس الأسد : المراد غيله ، لأن الحبس الجبل العظيم ونطاق المودج وثوب بطرح  
على الفراش للتوم عليه .

فجاء وقد تمدّش جانباه **بَيْنَ إِلَى** من ألم الجراح<sup>(١)</sup>  
تعبهه عن العضو المشار إليه بأطراف الرماح تعبير في غاية اللطافة والحسن .  
وقد أُدْخِلَ في باب الكناية ما ليس منه كقول نُصَيْب :

فماجُوا فَأَثَمُوا بِالْقَى أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَثَمْتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ<sup>(٢)</sup>

فهذا يروى من الجاحظ ، وما أعلم كيف ذهب عليه مع شهرته بالمعرفة بفن  
النصاحة والبلاغة ، فإن الكناية هو ما جاز حمله على جانب الحقيقة ، كما يجوز  
حمله على جانب المجاز ، وهاهنا لا يصح ذلك ولا يستقيم ، لأن الثناء للحقائب  
لا يكون إلا مجازاً ، وهذا من باب التشبيه للضمير الأداة الخارج عن الكناية ،  
والمراد به أن في الحقائب من عطايك ما يعرب عن الثناء ، لو سكت أمحائها عنه .

ما يقبح ذكره من الكناية :

وأما القسم المختص بما يقبح ذكره من الكناية فإنه لا يحسن استعماله ،  
لأنه عيب في الكلام فاحش ، وذلك لعدم الفائدة المرادة من الكناية فيه .

فما جاء منه قول الشريف الرضي يربى امرأة :

« إن لم تكن نَصلاً فَعَمْدُ نِصَالٍ »<sup>(٣)</sup>

---

(١) ليست الأبيات في ديوان أبي نواس المطبوع .  
(٢) الصناعتين ٢١٤ وحيون الأخبار ٢٩٩/١ والأغانى ١٣٠/١ من مقطوعة في  
مدح سليمان بن عبد الملك .  
(٣) البيت في الديوان هكذا .

إلا يكن نَصلاً فَعَمْدُ نِصُولٍ      غالته أحداث الزمان بقول  
أولا يكن بأبي شبول ضيغم      ندى أخلافه فأم شبول  
في تمزية أبي سعيد طى بن محمد بن أبي خلف عن أخت له توفيت .  
(ديوان الشريف الرضى ٦٧٧/٢)

وفي هذا من سوء الكناية مالا يخفاء به ، فإن الوم يسبق في هذا الموضع إلى ما يبيح ذكره ، وهذا المعنى أخذه من قول الفرزدق ، فمسخه وشوه صورته ، فإن الفرزدق رثى امرأته فقال :

وَجَفَنُ سِلَاحٍ قَدْ رَزَزْتُ فَلَمْ أُنْخِ عَلَيْهِ وَلَمْ أُبَيِّثْ إِلَيْهِ الْبَوَاكِيَا  
وفي جوفه من دَارِمٍ ذُو حَفِيظَةٍ لَوْ أَنَّ الْمَنِيَا أُمُهَلَّتْ— إِيَالِيَا<sup>(١)</sup>  
وهذا حسن بديع في معناه ، وما كُنِيَ عن امرأة ماتت بِجُمُوع<sup>(٢)</sup> أحسن من هذه الكناية ، وَلَا أَفْخَمَ شَأْنًا ، فجاء الشريف الرضى فأخذ معناها وفعل به ما ترى ، وليس كل من تصرف في المعاني أحسن في تصريفها ، وأبقى هذه الرموز في تأليفها .

وقد عكس هذه القصة مع أبي الطيب المتنبى فأحسن فيما أساء به أبو الطيب طريق الكناية ، فأخطأ حيث قال :

أَبَى عَلَى شَخَفِي بِمَا فِي حُجْرِهَا لِأَعِيفَ عَمَّا فِي سَرَائِلَاتِهَا<sup>(٣)</sup>  
وهذه كناية عن الزهارة والعمفة إلا أن الفجور أحسن منها .

وقد أخذ الشريف الرضى هذا المعنى فأبرزه في أحسن صورة حيث قال :

---

(١) البيطان في الديوان هكذا .

وعند سلاح قد رزئت فلم أنخ عليه ولم أبث عليه البواكيا  
وفي جوفه من دارم ذو حفيظة لو ان المنيالى أنسأته لياليا  
( الديوان ٢ / ٨٩٤ )

(٢) ماتت المرأة بجموع : مثقلة أى هنراء أو حاملاً أو مثقلة والمراد هنا أنها حامل .  
(٣) من قصيدته في مدح أبي أيوب أحمد بن عمران ( الديوان ١ / ٢٥٥ ) وقد ذكره أبو هلال في الصناعتين وعابه ٣٧٥ . قال صاحب بن عباد : كان الشعراء يصفون المآزر تزيئاً لألفاظها عما يستشتم ، حتى تخطى هذا الشاعر المطبوع إلى التصريح ، وكثير من الدهر أحسن عندي من هذا العفاف . واعتذر بعضهم عن المتنبى بأنه قال : سراييلاتها ، جمع سرايل وهو القميص ، وكذا رواه الخوارزمي ، يريد أنه مع حبه لوجههن يعف عن أبدانهن .

أَحْنُ إِلَى مَا تَضَمَّنَ الْخُمْزُ وَالْحَلَى وَأَصْدِفُ عَمَا فِي ضَمَانِ الْمَآزِرِ<sup>(١)</sup>  
وَأَمْثَالِ هَذَا كَثِيرٌ ، وَفِيهَا ذِكْرُ نَاهٍ مِنْ هَذِينَ الْمَثَالِينَ مَتَّبِعٌ .

وأما التعريفه فقد سبق الإعلام به ، وعرفناك الفرق بينه وبين الكناية ،  
فما جاء منه قوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَأَنْتَ فَطَلْتَ هَذَا بَالِهْتَنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ؟ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ  
كَبِيرٌ مِنْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وغرض إبراهيم عليه السلام من  
هذا الكلام إقامة الحجة عليهم ، لأنه قال : فاسألوهم إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ، وذلك  
على سبيل الاستهزاء ، وهذا من رموز الكلام ، والتول فيه أن قصد إبراهيم  
عليه السلام لم يرد به نسبة الفعل الصادر عنه إلى الصنم ، وإنما قصد تقديره لنفسه  
وإثباته على أسلوب تعريض يبلغ فيه غرضه من إزام الحجة عليهم والاستهزاء بهم ،  
وقد يقال في هذا غير ما أشرت إليه ، وهو أن كبير الأصنام غضب أن تعبد معه  
هذه الأصنام الصغار فكسرها ، وغرض إبراهيم من ذلك أنه لا يجوز أن يعبد  
مع الله تعالى من هو دونه فإن من هو دونه مخلوق من مخلوقاته ، فجعل إحاطة  
القول إلى كبير الأصنام مثالا لما أراد .

ومن هذا التقسيم أيضا قوله تعالى : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ  
مَا تَرَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَكَ تَبَّكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا لَنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا رَى  
لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> ، وقوله ما تَرَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا  
تعريض بأنهم أحق منه بالنبوة ، وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر  
لجعلها فيهم ، فقالوا هب أنك واحد من الملأ ومواز لهم في المنزلة ، فاجعلك أحق  
منهم بها ؟ ألا ترى إلى قولهم وما ترى لكم علينا من فضل .

(٤) من قصيدته في مدح أبي سعيد بن خلف التي مطلعها :

بغير شفيع نال عفو المقادر أخو الجدل مستنصرًا بالماذر

وفي الديوان (يحن) بدلا من (أحن) ويصدق بدلا من أصدق (الديوان ٣٤٣)

(٦) هو د ٢٧ .

(٥) الأنبياء ٦٣ .



وكان مروان بن الحكم واليا على المدينة من قبل معاوية ، فعزله ، فلما قدم إليه قال له : عزائك ثلاث لو لم تكن إلا واحدة ممنن لأوجبت عزلك : إسداهن أنى أمرتك على عبد الله بن عامر وبينكما ما بينكما فلم تستطع أن تشتفى منه ، والثانية كراهتك أمر زياد ، والثالثة أن ابنتى رَمَلَةٌ استعدتكَ على زوجها عمر بن عثمان فلم تُبَدِّها .

فقال له مروان : أما عبد الله بن عامر فإنى لا أنتصر منه فى ساطانى ، ولكن إذا تساوت الأقدام عَهِمَ أين موضعه ، وأما كراهتى أمر زياد فإن سائر بنى أمية كرهوه ، وأما استعداء رَمَلَةٍ على عمر بن عثمان فوالله إنه لتأتى على سنة وأكثر . وعندى بنت عثمان فمأأ كشف لها ثوبها . يريد ذلك أن رَمَلَةٌ بنت معاوية إنما استعدت لطلب الجماع فقال له معاوية : يا ابن الوزغ<sup>(١)</sup> لست هناك ، فقال مروان : هو ذاك . وهذا من التعريضات اللطيفة .

ومثله فى اللطافة ما يروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وذلك أنه كان يخطب يوم الجمعة ، فدخل عليه عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فقال له عمر : أية ساعة هذه ؟ فقال عثمان : يا أمير المؤمنين انقلبتُ من أمر السوق فسمعت النداء ، فما زدت على أن توحضأت . فقال عمر : والوضوء أيضا ، وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا بالنُسل<sup>(٢)</sup> .

فقلوه «أية ساعة هذه» تعريض بالإنكار عليه ، لتأخره عن الحجى ، إلى الصلاة ، وترك السَّبْقِ إليها ، وهو من التعريض العربى عن الأدب .

ووقفت فى كتاب العقدة<sup>(٣)</sup> على حكاية تعريضية حسنة للموقع ، هى أن

(١) الوزغ : الرجل الفاسد المريض الفسل . والوزغة عرصة سام أبرص جهها وزغ .

(٢) فى الصناعتين ١٦ ذكر لهذا الحوار موجز ، وفى نهايته : أما سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال . « من أتى الجمعة فليغتسل » .

(٣) العقدة الفريد لابن عبد ربه .

امرأة وقفت على قيس بن عبادة فقالت : « أشكو إليك قلة الفأر في بيتي » فقال :  
ما أحسن ما ورتت عن حاجتها ، املأوا بيئتها خبزاً وسمناً ولحماً .

ومن خفي التعريض وضمضه ما ورد في الحديث الشريف ، وهو أن النبي  
صلى الله عليه وسلم خرج وهو محتضن أحد ابنتي بنته ، وهو يقول : « والله إنكم  
لتُجَبِّون وتُجَبَّلون وتُجَمَّلون ، وإنكم من ربحان الله ، وإن آخر وطأة وطئها  
الله بوجج » (١) .

اعلم أن وججاً بالطائف ، والمراد به غزاة حنين ، وحنين واد قبيل  
وجج ، لأن غزاة حنين آخر غزاة أوقع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع  
المشركين ، وأما غزوات الطائف ونهوك اللتان كانتا بعد حنين فلم يكن فيها وطأة  
أى قتال ، وإنما كانتا مجرد خروج إلى الفزو من غير ملاقاته عدو ولا قتال .

ووجه عطف هذا الكلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « وإن آخر وطأة  
وطئها الله بوجج » على ما قبله من الحديث هو التأسف على مفارقة أولاده لقرب وفاته ،  
لأن غزوة حنين كانت في شوال سنة ثمان ، ووفاته صلى الله عليه وسلم كانت في ربيع  
الأول من سنة إحدى عشرة ، وبينهما سنتان ونصف ، فكأنه قال : وإنكم من  
ربحان الله أى من رزقه ، وأنا مفارقكم عن قريب ، إلا أنه صانع عن قوله :  
وأنا مفارقكم عن قريب بقوله : وإن آخر وطأة وطئها الله بوجج ، وكان ذلك  
تعريضاً بما أراده وقصده من قرب وفاته صلى الله عليه وسلم .

وعما ورد في هذا الباب شعراً قول الشَّمَيْذِرِ الحَارَنِيِّ :

بِئْسَ عَمَلًا تَدْكُرُوا الشَّعْرَ بَعْدَمَا دَفَنْتُمْ بِصَحْرَاءِ النَّبِيِّ الْقَوَافِيَا (٢)

(١) اسم واد بالطائف لا بلد به ومنه ، « آخر وطأة وطئها الله بوجج » يريد غزوة  
حنين لا الطائف ( القاموس المحيط مادة وجج ) .

(٢) الصواب الشَّمَيْذِرِ وكانت بالأصل الشميد . ورد الشعر في شرح ديوان الحماسة  
للرزيقي ( ١٤٤/١ ) وللتبريزي ٦١/١ .

الضمير على وزن زبير موضع قرب ذات عرق وموضع بديار بني كلاب .

وليس قصده ها هنا الشعر بل قصده ما جرى لهم في هذا الموضع من الظهور عليهم والقلبة ، الا أنه لم يذكر ذلك ، بل ذكر الشعر ، وجعله تعريضا لما قصده ، أى لا تفتخروا بعد تلك الواقعة التى جرت لكم ولنا بذلك المكان .

ومن أحسن التمریضات ما كتبه عمرو بن مسعدة الكاتب إلى المأمون في أمر بعض أصحابه وهو : « أما بعد فقد استشفع بي فلان إلى أمير المؤمنين ، ليتطول في إلحاقه بنظرائه من الخالص ، فأعلته أن أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفعين ، وفي ابتدائه بذلك تَعَدَّى طاعته » .

وقوع للمأمون في ظهر كتابه : « قد عرفت تمريرك وتبريضك لنفسك ، وقد أجبناك إليها » (١) .

واعلم أن هذين القسمين من الكناية والتمرير قد وردا في غير اللغة العربية ، ووجدتهما في اللغة السريانية ، فإن الإنجيل الذى في أيدي النصارى قد أتى منهما بالكثير .

ومما وجدته من الكناية في لغة الفرس : أنه كان رجل من أساورة (٢) كسرى وخواصه ، فقيل له إن الملك يختلف إلى امرأتك ، فهجرها لذلك ، وترك فراشها ، فأخبرت كسرى ، فدعاه وقال له : قد بلغني أن لك عينا عذبة وأنت لا تشرب منها ، فما سبب ذلك ؟ قال : أيها الملك ، بلغني أن الأسد يردّها نخفته ، فاستحسن كسرى منه هذا الكلام ، وأسنى عظامه .

(١) في الصناعتين نفس هذه الرسالة مع تغيير ٣٦٨ .  
(٢) الأساورة : جمع أسوار بضم الهمزة وكسرهما وهو القائد من الفرس أو هو الفارس .

## النوع المشرون

### في المغالطات المعنوية

وهذا النوع من أحلى ما استعمل في الكلام وألطفه ، لما فيه من التورية ،  
وحقيقته أن يذكر معنى من المعاني له مثل في شيء آخر ونقيض ، والنقيض أحسن  
موقفاً وألطف مأخذاً ، فالأول الذي يكون له مثل يقع في الألفاظ المشتركة ،  
من ذلك قول أبي الطيب المتنبي :

يَشَاهُمُ بِكُلِّ أَقْبٍ نَهْدٍ لِقَارِسِهِ عَلَى الخِيلِ الخِيَارِ  
وَكُلِّ أَصْمٍ يَعْسِلُ جَابِيَاهُ عَلَى الكَعْبَيْنِ مِنْهُ دَمٌّ جُمَارُ  
يَغَادِرُ كُلَّ مَلْتَفَةٍ إِلَيْهِ وَلِبَتُهُ لِقَمَلَيْهِ وَجَارُ<sup>(١)</sup>

فالقملب هو هذا الحيوان المعروف ، والوجار اسم بيته ، والقملب أيضاً هو  
طرف سنان الرمح ، فلما اتفق الاسمان بين الثعلبين حسن ذكر الوجار في طرف  
السنان ، وهذا نقل المعنى من مثله إلى مثله .

وعليه ورد قول المتنبي :

بِرَعْمِ شَيْبٍ فَارَقَ السَيْفَ كَفَّهُ وَكَانَا عَلَى العِلَاتِ يصطاحبان

---

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة لما أوقف ببنى عقيل وقشير وبنى العجلان وبنى  
كلاب حين هانوا وخالفوا عليه ( الديوان ٢/٢٤٣ ) .  
يشاهم : يطردم . الأقب : الضامر البطن . نهدي : مرتقم . يقول لأنه يطردم بكل فرس  
ضامر نهدي لفارسه الخيار ، إن شاء لحق وإن شاء سبق . أصم : رمح صلب ليس بأجوف .  
يعسل : يضطرب . ميار : مسال مهرق . يغادر : يترك والضمير للرمح . اللبة : أعلى الصدر .  
الثعلب . المراد هنا ما دخل من الرمح في السنان . الوجار : بيت الوحش من ضميم وتغلب  
ونحوهما يقول : إن هذا الرمح يترك من يلتفت إليه من الأعداء ونحوه مطعون يدخل ثعلبه  
في نحره .

كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَاتٌ لِسَيْفِهِ رَفِيقَكَ قَيْسِيٌّ وَأَنْتَ يَمَانِيٌّ (١)  
فَإِنْ شَبَّيْنَا الْخَارِجِيَّ الَّذِي خَرَجَ عَلَى كَافُورِ الْإِخْشِيدِيِّ وَقَصَدَ دِمَشْقَ  
وَحَاصَرَهَا وَقَتَلَ عَلَى حِصَارِهَا كَانَ مِنْ قَيْسٍ ، وَلَمْ تَزَلْ بَيْنَ قَيْسٍ وَالْبَيْنِ عِدَاوَاتٍ  
وَحُرُوبٍ ، وَأَخْبَارَ ذَلِكَ مَشْهُورَةٌ .

والسيف يقال له يمانى فى نسبه إلى البين ، ومراد المقبى من هذا البيت  
أن شببنا لما قتل وفارق السيف كفه فكان الناس قالوا لسيفه أنت يمانى  
وصاحبك قيسى ، ولهذا جانبه السيف وفارقه ، وهذه مغالطة حسنة ، وهى كالأولى  
إلا أنها أدق وأعمض .

وكذلك ورد قول بعضهم من أبيات يهجو بها شاعراً فجاء من جملتها قوله :  
وَخَاطَطْتُمْ بِمِضِّ الْقُرْآنِ بِيَمِضِهِ فُجِئْتُمْ الشُّعْرَاءَ فِي الْأَنْعَامِ  
ومعنى هذا أن الشعراء اسم سورة من القرآن الكريم ، والأنعام اسم  
سورة أيضاً ، والشعراء جمع شاعر ، والأنعام ما كان من الإبل والبقر .  
وكذلك ورد بعض قول العراقيين يهجو رجلاً كان على مذهب أحمد بن حنبل  
رضى الله عنه ، ثم انتقل إلى مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه ، ثم انتقل إلى مذهب  
الشافعى رضى الله عنه :

مَنْ مَبْلَغَ عَنِ الْوَجِيهَةِ رِسَالَةٌ وَإِنْ كَانَ لَا تُجِدُنِي لَدَيْهِ الرِّسَالَةُ

(١) من قصيدته فى مدح كافور الإخشيدى بعد قتل شبيب المقبلى بدمشق سنة ٣٤٨  
لما خرج عليه . (الديوان ٤/٤٧٢) .

كان شبيب من القرامطة ، وكانوا مع سيف الدولة ، وتولى شبيب معرفة النعمان دهرأ  
طويلاً ، ثم اجتمع إليه جماعة من العرب فوق عفره آلاف ، وأراد أن يخرج على كافور ،  
وقصد دمشق فحاصرها ، فيقال إن امرأة ألفت عليه رضى فصرعته فانهزم من كانوا معه ،  
ويقال إنه حدث به صرع من الحر فترك أصحابه ومضوا فأخذوه أهل دمشق وقتلوه .  
قيس : من قيس العدنانية . يمانى : من البمانية .

وكان بين هؤلاء وأولئك شقاق وتنازع واختلاف ، يقول : كأن رقاب الناس أغرت  
بينه وبين سيفه لكثرة قطعه إياها ، فقالت لسيفه : إن شبباً الذى يصاحبك قيسى وأنت يمانى ،  
والسيوف الجيدة تنسب إلى البين ، ففارقه سيفه لما عرف أنه مخالف له فى الأصل .

تَذَهَبَتْ لِنَعْمَانَ بَعْدَ ابْنِ حَنْبَلٍ وَفَارَقَتْهُ إِذْ أَعْوَزَتْكَ الْمَاءَ كُلَّ  
وَمَا اخْتَرْتَ رَأْيِي الشَّافِعِي تَدِينُنَا وَلَكِنَّمَا تَهْوَى الْقَدَى مِنْهُ حَاصِلٌ  
وَعَمَّا قَلِيلٍ أَنْتَ لِاشْكَ صَائِرٌ إِلَى مَالِكِ قَاطِنٌ لَمَّا أَنَا قَاتِلٌ

ومالك هو مالك بن أنس صاحب المذهب رضى الله عنه ، ومالك هو خازن النار ، وهذه مغالطة لطيفة .

ومن أحسن ما سمعته في هذا الباب هو قول أبي العلاء ابن سليمان في الإبل (١) :  
صَلْبُ الْعَصَا بِالضَّرْبِ قَدْ دَمَّاهَا تَوَدُّ أَنْ اللَّهُ قَدْ أَفْنَاهَا  
إِذَا أَرَادَتْ رَشْدًا أَغْوَاهَا مِحَالُهُ مِنْ رِقِّهِ إِيَّاهَا (٢)  
فالضرب لفظ مشترك يطلق على الضرب بالعصا ، وعلى الضرب في الأرض وهو السير فيها ، وكذلك دمَّاهَا فإنه لفظ مشترك يطلق على شيئين أحدهما يقال دمَّاه إذا أسال دمه ، ودمَّاه إذا جعله كالدمية وهي الصورة ، وكذلك لفظ الفَنَاءُ فإنه يطلق على غيب الثعلب ، وعلى إذهاب الشيء إذا لم يَبْقَ منه بقية ، يقال أفناه إذا أذهب ، وأفناه إذا أطعمه الفَنَاءُ وهو غيب الثعلب ، والرشد والغوى

(١) يريد الشاعر الفيديوف أحمد بن عبد الله بن سليمان المرعي المولود بالمرة سنة ٣٦٣ هـ والمتوفى بها سنة ٤٤٩ .

(٢) ليس البيتان بسقط الزند ولا بالازوميات وقد جاء بلسان العرب مادة (دى) :  
دى الراعى الماشية جعلها كالدى ، وأنشد أبو العلاء :

صَلْبُ الْعَصَا بِرَعِيَّةِ دِمَاهَا يَبُودُ أَنْتَ اللَّهُ قَدْ أَفْنَاهَا  
أى أنه أرهاها فسمنت حتى صارت كالدى .

وذكر في مادة (فتى) أن الراجز وصف راعى غم فقال :

صَلْبُ الْعَصَا بِالضَّرْبِ قَدْ دِمَّاهَا يَقُولُ نَيْتَ اللَّهُ قَدْ أَفْنَاهَا  
وأفناها أى أنيت لها الفناء وهو غيب الثعلب حتى تغزر وتسمن .

وجاء في كتاب العسا لأسماء بن منقذ (نوادير المخطوطات ١٨٨) : « قال الراعى يصف راعى :

صَلْبُ الْعَصَا بِضَرْبَةِ دِمَاهَا إِذَا أَرَادَ رَشْدًا أَغْوَاهَا  
والضربة هي السيرة والسفرة ، ودمَّاه أى تركها كالدمية ، وأغواها أى أرهاها .  
والفناء وهو نبت تسمن عليه الإبل » .

نبتان<sup>(٣)</sup> يقال أغواه إذا أضله ، وأغواه إذا أطعمه الغوى ، ويقال طلب رشداً إذا طلب ذلك النبات ، وطلب رشداً إذا طلب الهداية ، وبعض الناس يظن هذه الأبيات من باب اللفظ ، وليس كذلك لأنها تشتمل على ألفاظ مشتركة ، وذلك معنى ظاهر يُستخرج من دلالة اللفظ عليه ، واللفظ هو الذى يستخرج عن طريق الحزْر والحُص ، لا من دلالة اللفظ عليه ، وسأوضح ذلك إيضاحاً جلياً فى النوع الحادى والمشرى ، وهو الذى يتلو هذا الباب ، فليؤخذ من هناك .

ويزوى فى الأخبار الواردة فى غَزَاةِ بدر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان سائراً بأصحابه يقصد بدرأ ، فلقبهم رجل من العرب فقال : مِمَّنِ القوم ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم من ماء ، فأخذ ذلك الرجل يفكر ويقول من ماء من ماء ، لينظر أى بطون العرب يقال لها ماء ، فسار النبى صلى الله عليه وسلم لوجهته ، وكان قصده أن يكتم أمره .

وهذا من المغالطة المثلثية ، لأنه يجوز أن يكون المراد أن خلفهم من ماء . وقد جاءنى شئ من ذلك فى الكلام للنثور ، فمنه ما كتبتة فى فصل من كتاب عند دخولى إلى بلاد الروم ، أصف فيه البرد والتلج ، قلت : « ومن صفات هذا البرد أنه يعقد الدرّ فى خلفه ، والدمع فى طرفه ، وربما تعدى إلى قلب الخاطر فأجفّه أن يجرى بوصفه ، فالشمس مأسورة ، والبار مقرورة ، والأرض شهباء غير أنها حويّية ، ومسيّلات الجبال أنهار غير أنها جامدة لم تُخض » ومكان المغالطة من هذا الكلام فى قولى « والأرض شهباء غير أنها حويّية لم تُرَض » فإن الشهباء من الخليل يقال فيها حويّية أى لها حول ، ويقال إنها مرّوضة أى ذلّت للركوب ، وهذه الأرض مضى للتلج عليها حول ففى شهباء حويّية ، وقولى لم تُرَض أى لم تسلك بعد .

(٣) لم نجد فى اللسان ولا القاموس أن الرشداً والغواء أو الغوى نوعان من النبات ، وإنما وجدنا أن حب الرشاد نبات وكذلك الناقة .  
والشطر الرابع غامض لعل فيه تصحيحاً لم تهتد إليه .

ومن ذلك ما ذكرته في وصف كريم قلت : « واولقد نزلت منه بمهلي الصنع  
أحنفي الأخلاق (١) ، ولقيته فكأنى لم أرع من أجب بلوغة الفراق ، ولا كرامة  
للأهل والوطن حتى أقول إنى قد استبدلت به أهلا ووطناً ، وعهدى بالأيام وهى  
من الإحسان فاطمة ، فاستولدتها بجواره حسناً .

وهذه تورية لطيفة ، فإن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن  
رضى الله عنهما ولدها ، وفاطمة هى اسم فاعل من القَطَام ، يقال قَطَمَتْ فهِى  
فاطمة ، كما يقال فُطِمَ فهو فاطِم (٢) ، والحسن هو الشيء الحسن الأسلوب .

ومن هذا الأسلوب ما كتبه في فصل من كتاب إلى بعض الإخوان فقلت :  
« وعهدى بقلبي وهو يتحلى من البيان بأسمائه ، وتبرز أنوار المعاني من  
ظلماته ، وقد أصبحت يدى منه وهى حاملة الخطب ، وأصبح خاطرى أبا جهل  
بعد أن كان أبا لهب .

وهذا أحسن من الأول وأحلب عبارة ، فانظر أيها المتأمل إلى ما فيه من  
التورية اللطيفة ، ألا ترى أن الخاطر يُحمد فيوصف بأنه وقاد وملتهب ، ويُذمُّ  
فيوصف بأنه بليد وجاهل ؟ وأبو لهب وأبو جهل هما الرجلان المعروفان ، وكذلك  
حالة الخطب هى المرأة المعروفة ، وإذا ذمَّ القلم قيل انه حطَبٌ ، وإن صاحبه  
حاطب ، فلذا نقأت أنا هذا المعنى الذى قصدته جئت به على حكم المغالطة ،  
ووريت فيه تورية .

والمسلك الى مثل هذه المعانى وتصحيح المقصد فيها عمر جدا ، لا جرم أن  
الإجادة فيها قليلة .

---

(١) مهلي : نسبة إلى المهلب بن أبى صفرة القائد الباسل الذى حارب الخوارج مرات ،  
وكان كريماً جديداً . أحنف : نسبة إلى الأحنف بن قيس عاش إلى الدولة الأموية وكان مشهوراً  
بالعلم وكرم الخلق .

(٢) فى القاموس المحيط مادة فطم : ناقة فاطم بلغ حوارها سنة . وأفطمت السخلة حان  
أن تقطع ، فإذا فطمت فهِى فاطم ومقطومة .



وبما يجرى هذا المجرى ما ذكرته في وصف شخص بمعالى الأمور وهو:  
« من أبرّ مساعيه أنه حاز قفلَ المَكْرُماتِ ومفتاحها ، فإذا سئلَ مَنْقَبَهُ كانَ  
مَناعها ، وإذا سئلَ مَوْهَبَهُ كانَ مَناعها ، وأحسنُ أثرٍ من ذلك أنه أخذَ بأعنةِ  
الصَّعابِ وألانَ جِراحها ، فإذا شهدَ حَوْمَةَ حربٍ كانَ منصورها ، وإذا لقيَ مُهْجَةً  
خَطَبَ كانَ مَناعها . »

والمخالطة في هذا الكلام في ذكر المنصور والسفاح ، فإنهما لقب خليفتين  
من بنى العباس ، والسفاح أول خلفائهم ، والمنصور أخوه الذى ولى الخلافة من  
بعده ، وهما أيضا من النصر في حومة الحرب ، والسفاح الذى هو الإراقة ،  
والمهجة دم القلب ، فكأنى قلت هو منصور في حومة الحرب ومُربقٌ لدم  
الخطوب ، وقد اجتمع في هذا الكلام المنصور والمنصور والسفاح والسفاح ،  
وهذا من المخالطة المثلية لا من النقيضية ، ولا خفاء بما فيها من الحسن .

ومن ذلك ما كتبه في كتاب إلى بعض الإخوان فقلت : « وقد علمتُ أن  
ذلك الأُنس بقربه يُعقَّبُ إباحشا ، وأن تلك الذمَّة من لقائه تجعل الأ كباد عطاشا ،  
فإن شيمة الدهر أن يُبدلَ الصَّفو كدرا ويوسع أيام عقوقه طولا ، وأيام برِّه قصرا ،  
وما أقول إلا أنه تعرَّ بتلك المسرة المسروقة فأقام عليها حدَّ القمع ، ورأى العيش  
فيها خفضا فأزاله بعامل الرفع . »

والمخالطة في هذا الكلام هى في ذكر الخفض والرفع ، فإن الخفض هو سعة  
العيش ، والخفض هو أحد العوامل النحوية ، وارتفاع هو من قولنا رفعت الشيء  
إذا أزلته ، والرفع هو أحد العوامل النحوية أيضا ، وهذا من المخالطات الخفية .  
ومن ذلك ما كتبه في فصل أصف فيه العجى وكنت إذ ذاك بحسن سُمِّيَ ساط  
وهو بلد من بلاد الأرمين ، فقلت : « ومما أكره في حال المرض بهذه الأرض  
أن الحى خَيِّمت بها فاستقرت . ولم تقنع بأهلها حتى مَرَّتْ إلى تربتها ، فترى

وقد أخذتها النافض<sup>(١)</sup> فاقشعرت ، ولم يُشكل أمرها إلا لأنها حتى أزمينية .  
سَمَعَجَمَةُ اللسان ، وقد تشبه الأمراضُ وأهلُ بلادها في الإبان ، وإذا كانت  
الحمي كافرًا لم تزل للمسلم حربًا ، وشكاتها لا تُسمى شكاة ، وإنما تسمى  
طعنا وضربا ، ولهذا صارت الأدوية في علاجها ليست بأدوية ، وأصبحت أيام  
نحرها في الناس غير مبتدأة بأيام تروية ، وليس موسمها في فصل معلوم بل كل  
فصول العام من موسمها ، ولو كانت تبتها نصيبين أو مئيا فارقين بكتاب لترجمته  
بمبدها وخادها .

والمغالطة هاهنا في قولي : وأصبحت أيام نحرها في الناس مبتدأة بأيام تروية ،  
والمراد بذلك أنها تُقبل بفترة من غير تروية أي من غير تلبث ، ويوم النحر هو  
يوم عيد الأضحى ، وقبلة يوم يُسمى يوم التروية ، فالمغالطة حصلت بين نحر الحمي  
للناس ونحر الضحايا ، إلا أن يوم النحر مبتدأ بيوم تروية ، ولاخفاء بما في هذه  
المغالطة من الحسن والاطافة .

وأما القسم الآخر وهو النقيض فإنه أقل استعمالا من القسم الذي قبله ،  
لأنه لا يتبها استعماله كثيرا .

فن جملة ما ورد شعر البعضهم وهو قوله :

وما أشبه تشريها بمالٍ فإن نَفَقَتْ فأكد ما تكونُ

يقال نَفَقَتْ السلعة إذا راجت ، وكان لها سوق ، ونَفَقَتْ الدابة إذا ماتت ،  
وموضع للناقضة هاهنا في قوله إنها إذا نَفَقَتْ كسدت ، فجاء بالشيء ونقيضه ،  
وجعل هذا سببا لهذا ، وذلك من المغالطة الحسنة .

ومن ذلك ما كتبه في جملة كتاب إلى ديوان الخلافة يتضمن فتوح بلد من

(١) النافض : حمي الرعدة مذكر . يقال أخذته حمي بنافض وحمي نافض ، ونفضته  
الحمي فهو منفوض .

بلاد الكفار ، فقلت في آخر الكتاب : وقد ارتاد الخادم من يُبَلِّغُ عنه مشاريح هذه الوقائع التي اختصرها ، ويمثل صورها لمن غاب عنها كما تممّلت لمن حضرها ، ويكون مكانه من النباهة كريما كمكانها ، وهي عرائس المساعي ، فأحسن الناس بيانا مؤهلاً للإبداع حسابها ، والسائر بها فلان ، وهو راوى أخبار نصرها ، التي صحتّها في تجميع الرجال ، وعوالم إسنادها مأخوذة من طرف العوالم ، والليالي والأيام لها رُوَاةٌ ، فما الظن برواية الأيام والليالي ،

في هذا الفصل مغالطة تقيضية ومغالطة مثلية ، أما المغالطة المثلية فهي في قولي « وعوالم إسنادها مأخوذة من طرف العوالم » وقد تقدم الكلام على هذا وما يجري مجراه في القسم الأول ، وأما المغالطة التقيضية فهي قولي : « وهو راوى أخبار نصرها التي صحتّها في تجميع الرجال » وموضع المغالطة منه أنه يقال في رواية الأخبار فلان عدلٌ صحيح الرواية ، وفلان مجروح أي صقيم الرواية ، غير موثوق به ، فأنيبتُ بهذا المعنى على وجه التقيض ، فقلت صحة أخبار هذه الفتوح في تجميع الرجال أي تجري مجرىهم في الحرب ، وفي هذا من الحسن ما لا يخفاء به .  
وقد أوردت من هذه الأمثلة ما فيه كفاية ومقنع .

فإن قيل إن الضرب الأول من هذا النوع هو التجنيس الذي لفظه واحد ومعناه مختلف كالمثال الذي مثلته ، وفي قول أبي الطيب ثعلب ووجار ، فإن الثعلب هو الحيوان المعروف وهو أيضا طرف السنان ، وكذلك باقي الأمثلة ، قلت في الجواب إن الفرق بين هذين النوعين ظاهر ، وذلك أن التجنيس يذكر فيه اللفظ الواحد مرتين ، فهو يستوى في الصورة ويختلف في المعنى ، كقول أبي تمام :

بكل فتى ضَرَبٍ يُرَوِّضُ لِقْنَا مُحَيًّا مُحَلِّي حَلِيهِ الطَّاعِنُ وَالضَّرْبُ (١)

(١) من قصيدته في مدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني (الديوان ١/١٩٩) -  
الحيا : الوجه .

فَالضَّرْبُ الرَّجْلُ الْخَفِيفُ ، وَالضَّرْبُ هُوَ الضَّرْبُ بِالسَّيْفِ فِي الْقِتَالِ ، فَالْفِظُ لَا يَدُ مِنْ ذِكْرِهِ مَرَّتَيْنِ وَالْمَعْنَى فِيهِ مُخْتَلَفٌ ، وَالْمُخَالَطَةُ لَيْسَتْ كَذَلِكَ ، بَلْ يَذْكَرُ فِيهَا الْفِظُ مَرَّةً وَاحِدَةً ، وَيُبدَلُ بِهِ عَلَى مِثْلِهِ وَلَيْسَ بِمَذْكَورٍ .

النوع الحادى والعشرون

## في الأحاجي

وهي الأغالوط من الكلام ، وتسمى الألتاز جمع لئز<sup>(١)</sup> ، وهو الطريق الذى ياتوى وبشكل على سالكة ، وقيل جمع أئز بفتح اللام وهو ميلك بالشئ عن وجهه ، وقد يسمى هذا النوع أيضاً المئى ، وهو يشبه بالكناية تارة وبالتعريض أخرى ، ويشبهه أيضاً بالمخالطات المعنوية ، ووقع في ذلك عامة أرباب هذا الفن ، فمن ذلك أن أبا الفرج الأصفهاني ذكر بيتي الأفيثير الأسدي في جملة الألتاز وهما :

ولقد أروح بمشرف ذى مئعة عسير المكرة ماؤه يتفصد  
مرح يطير من المراح لعابه ويكاد جلد إهابه يتقد<sup>(٢)</sup>

وهذان البيتان من باب الكناية ، لأنهما يميلان على الفرس وعلى المصو المحصوص ، وإذا حمل اللفظ على الحقيقة والمجاز فكيف يعد من جملة الألتاز ؟ وكذلك فعل الحريرى في مقاماته فإنه ذكر في الأحاجي التي جعلها على حكم الفتاوى كناية ومخالطة معنوية ، وظن أنهما من الأحاجي المئيرة ، كقوله :

---

(١) اللئز على وزن نهر وعلى وزن قفل وبضم اللام والفتح معاً ، وتعريبهما ، وبضم اللام وفتح الفين : الليل بالشمس عن وجهه ( القاموس المحيط )  
(٢) البيتان في الأغاني للأفيثير الأسدي لا الأفيث كما في الأصل ، هكذا :  
ولقد أروح بمشرف ذى شمرة عسير المكرة ماؤه يتفصد  
مرح يطير من المراح لعابه ويكاد جلدته به تتقد  
( الأغاني ١٠ / ٨٢ ) مائة التقد . والصواب يتفصد بالفاء لا بالقاف . وسبق قد شرحهما .

« يحملُ للصائم أن يأكل نهاراً »<sup>(١)</sup> والنهار من الأسماء المشتركة بين النهار الذي هو ضد الليل وبين فرخ الحَبَّازِى فإنه يسمى سهاراً ، وإذا كان من الأسماء المشتركة صار من باب المغالطات المعنوية لا من باب الأحاجي ، والألفاظ شئ منفصل عن ذلك كله ، ولو كان من جلته لما قيل لفرز وأحجية ، وإنما قيل كناية وتعمير ، ومنه ما يطلق عليه المغالطة ، ومنه شئ آخر خارج عن ذلك فجمل لفرزاً وأحجية .

وكنت قدمت القول بأن الكناية هي اللفظ الدال على جانب الحقيقة وعلى جانب المجاز ، فهو يحمل عليهما معاً ، وأن التعمير هو ما يفهم من عرض اللفظ لا من دلالاته عليه حقيقة ولا مجازاً ، وأن المغالطة هي التي تطلق ويراد بها شيان أحدهما دلالة اللفظ على معنيين بالاشتراك اللفظي ، والآخر دلالة اللفظ على المعنى وتقيضه ، وأما اللفز والأحجية فإيهما شئ واحد ، وهو كل معنى يستخرج بالحدس والخز لا بدلالة اللفظ عليه حقيقة ومجازاً ، ولا يفهم من عرضه ، لأن قول القائل في الضرس :

وصاحب لا أملُ الدهرِ صُحْبَتُهُ      يَشْتَقِي لِنَفْسِي وَيَسْعَى سَعْيَ مُجْتَهِدٍ

ما إن رأيت له شخصاً فذوقتُ      عَيْنِي عَلَيْهِ افترقنا فرقة الأبد

لا يدل على أنه الضرس لا من طريق الحقيقة ولا من طريق المجاز ولا من

(١) المقامة الثانية والثلاثون ، فيها مائة مسألة فقهية ملفزة ، منها : أيجوز للمعدور أن يفطر في شهر رمضان ، قال : ما رخص فيه إلا للصبيان . قال : فهل للمعسر أن يأكل فيه ، قال : نعم بل فيه . المعدور : المتبادر أن للمعدور من أصابه عذر يحمل له الفطر وهو أيضاً المحتون فلا يسوغ له الفطر ، وهنا تورية . المعسر : من دخل بعمره ، وهو لا يجوز له أن يفطر ، وهو أيضاً المسافر الذي ينزل في آخر ليلة ليسترخ ثم يرتحل ، وهو ممن يباح لهم الفطر .

طريق المفهوم ، وإنما هو شيء يُخَدَسُ وَيُحْزَرُ ، والخواطر تختلف في الإسراع والإبطاء عند عبورها عليه .

فإن قيل إن اللفز يعرف من طريق المفهوم ، وهذان البيتان يعلم معناهما بالمفهوم .

قلت في الجواب : إن القدي يعلم بالمفهوم إنما هو التمريض ، كقول القائل إني فقير وإني محتاج ، فإن هذا القول لا يدل على المسألة والطلب لا حقيقة ولا جهازاً ، وإنما فهم منه أن صاحبه ممرض للطلب ، وهذان البيتان ليسا كذلك ، فأيهما لا يشتعلان على ما يفهم منه شيء إلا بالحدس والحزر لا غير ، وكذلك كل لفظ من الألفاظ .

وإذا ثبت هذا فاعلم أن هذا الباب الذي هو اللفز والأخجية والمعنى يتنوع أنواعاً :

فمنه للمصحف ، ومنه للمكوس ، ومنه ما ينقل إلى الآلات غير العربية ، كقول القائل اسمي إذا صحفته بالفارسية آخر ، وهذا اسمه اسم تركي ، وهو دنكر بالبدال المهملة والنون ، وآخر بالفارسية ديكر بالبدال المهملة والياء الممجة بثنتين من تحت ، وإذا صحفت هذه الكلمة صارت دنكر بالنون ، فانقلبت الياء نوناً بالتصحيح ، وهذا غير مفهوم إلا لبيض الناس دون بعض .

وإنما وضع واستعمل لأنه مما يشهد القرينة ويحدد الخاطر ، لأنه يشتمل على معان دقيقة يحتاج في استخراجها إلى توقد الذهن والسلوك في معاريج خفية من الفكر ، وقد استعمله العرب في أشعارهم قليلاً ، ثم جاء المحدثون فأكثروا منه ، وربما أتى منه بما يكون حسناً وعليه مسحة من البلاغة ، وذلك عندي بين بين ، فلا أعده من الأحاجي ولا أعده من فصيح الكلام .

فما جاء منه قول بعضهم :

قد سقيت آباهم بالنار      والنار قد نشفت من الأوار

ومعنى ذلك أن هؤلاء القوم الذين هم أصحاب الإبل ذوو رجاثة وتقدم ولم  
يُسَمَّ معلوم ، فلما وردت إليهم الماء عرفت بذلك الوسم ، فأفترج لها الناس حتى  
شربت ، وقد اتفق له أنه أتى في هذا البيت بالشيء وضده ، وجعل أحدهما سبياً  
للآخر ، فصار غريباً عجيباً ، وذلك أنه قال سُميت بالنار ، وقال إن النار تُشْفَى  
من الأوار ، وهو العطش ، وهذا من محاسن ما يأتي في هذا الباب .

ومما يجرى على هذا النهج قول أبي نواس في شجر الكرم :

لنا هَجْمَةٌ لَا يُدْرِكُ الذَّنْبُ سَخْلَهَا      وَلَا رَأَاهَا زَوْ الْفِحَالَةَ وَالْخِطْرُ  
إِذَا امْتَحِنَتْ أَوَانُهَا مَالٌ صَفَوْهَا      إِلَى الْحَوْ إِلَّا أَنْ أَوَارَاهَا خَضْرُ (١)

ومن هذا القبيل قول بعضهم :

سَبَّحُ رَوَاحِلُ مَا يُبَخِّنُ مِنَ الْوَتَا      شِيمٌ تَسَاقُ بِسَبْمَةِ زُهْرٍ  
مُتَوَاصِلَاتٌ لِأَلْدُوبِ يُمِلُّهَا      بَاقٍ تَعَاقِبُهُمَا عَلَى الدَّهْرِ (٢)

هذان البيتان يتضمنان وصف أيام لزمان ولياليه وهى الأسبوع ، فإن الزمان  
عبارة عنه ، وذلك من الألفاظ الواقعة في موقعها .

وعلى هذا الأسلوب ورد قول أبي الطيب المتنبي في السفن من جملة قصيدته  
التي مدح بها سيف الدولة عند ذكر عبوره الفرات وهى :

(الرأى قبل شجاعة الشجمان) فقال :

(١) الديوان ١٠٢ وفي الأصل لا يدرى بدلا من لا يدرك ، وغض بدلا من نزو .  
الهجمة : القدح العظيم الضخم . السخل : جم سخلة وهى ولد الشاة . نزو : وثب . الفحالة :  
جم الفحل . الخطر : الإبل السكينة . الحو : الذى فى القاموس الحو سواد إلى خضرة أو حمرة  
إلى سواد . والحو جم أحوى وحواء وهو النبات الضارب إلى سواد لشدة خضرته أو الأحمر  
إلى سواد .

(٢) شيم : جم أشيم وشيما وهو الذى به علامة .

وَحَشَاءُ عَادِيَةً بِغَيْرِ قَوَائِمٍ عُقْمَ الْبُطُونِ حِوَالِكَ الْأَلْوَانِ  
تَأْتِي بِمَا سَبَبَ الْخَبُولُ كَأَنَّهَا تَحْتَ الْحِيسَانِ مَرَابِضُ الْغَزْلَانِ<sup>(١)</sup>  
وهذا حسن في بابه .

ومن ذلك قول بعضهم في حَجَرِ الْمَمَكِ :

وَمُدْرِيْعٍ مِنْ صِبْغَةِ اللَّيْلِ بُرْدَهُ يُفَوِّفُ طَوْزًا بِالْغَضَارِ وَيُطَلِّسُ  
إِذَا سَأَلُوهُ عَنْ قَوْرِ يَصْنَعُ أَشْكَالًا أَجَابَ بِمَا أَعْيَا الْوَرَى وَهُوَ آخِرُ سُنِّ

وهذا من اللطافة على ما يشهد لنفسه ، وكان سمعه بعض المتأخرين من أهل  
زماننا فأجاب عنه ببيتين على وزنه وقافيته وهما :

سَوَالِكُ جَلُودٍ مِنَ الصَّخْرِ أَسْوَدٌ خَفِيفٌ لَطِيفٌ نَاعِمٌ الْجِسْمِ أَطْلَسُ  
أُفَيْمٍ بِسُوقِ الصَّرْفِ حُكْمًا كَأَنَّهُ مِنَ الزَّنْبِجِ قَاضٍ بِالْخُلُوقِ مُطَلَّسُ  
وقد رأيت هذا الشاعر وهو حائك بمزارة ابن عمر ، وليس عنده من أسباب  
الأدب شيء سوى أنه قد أصاح لسانه بطرف يسير من علم النحو لا غير ، وهو  
مع ذلك يقول الشعر طبعاً ، وكان يجيد في الكثير منه .

ومن الألفاظ ما يرد على حكم المسائل الفقهية ، كالقدي أوردده الحريري في  
مقاماته<sup>(٢)</sup> . وكنت ستأت عن مسألة منه وهي :

---

(١) من قصيدة في مدح سيف الدولة (الدبوان ٤/٣٨٩) حشاه : الضمير عائد على  
الماء . عادية : راقصة . عقم : جمع عقيم وهو الذي لا يلد . يقول إن سيف الدولة حشا  
ماء النهر سفناً تمدو ولا قوائم لها ، وهي عقم لا تلد ، وألوانها سود لأنها مطوية بالقار ،  
شبهها بالحيل العادية ، والحيل من عاداتها أن تنتج ، ولها قوائم ، وهذه السفن تحمل النساء  
اللاتي سباحن القرسان ، وكانهن غزلان والسفن مرابض لها . (٢) يفوف : يزخرف .  
رجعنا ( صيغة ) بدلاً من صنعة .

(٢) اللقمة الثانية واللاتون بها مائة مسألة فقهية ملفزة ، وهناك مقامات غيرها فيها  
ألفاظ شتى من النحو وغيره .



ولى خالةٌ وأنا خالها ولى عمّةٌ وأنا عمّها  
فأما التي أنا عمّ لها فإن أبى أمّه أمّها  
أبوها أخى وأخوها أبى ولى خالة هكذا حُكِمَها  
فأين الفقيه الذى عنده فزونُ الدرّاية أو علمُها  
يُبينُ لنا نسبها خالصا ويكشفُ لِنَفْسِ ما همّها  
فاسنا مجوسا ولا مشركين شريمةً أحد أنتمّها

وهذه المسألة كُتِبَتْ إلى فتأملتها تأمل غير مُتَجَلِّج في الفكر ، ولم ألبث  
أن انكشف لى ما نحتما من اللفز ، وهو أن الخالة التي الرجل خالها تصور على  
هذه الصورة ، وذلك أن رجلا تزوج امرأتين اسم إحداهما عائشة واسم الأخرى  
فاطمة ، فأولد عائشة بنتا وأولد فاطمة ابنا ، ثم زوج بنته من أبى امرأته فاطمة ،  
فجات بيت ، فتلك البنت هي خالة ابنه ، وهو خالها ، لأنه أخو أمها .

وأما العمّة التي هر عمها فصورتهان رجلا له ولد ولولده أخ من أمه فزوج  
أخاه من أمه أم أبيه فجات بيت ، فتلك البنت هي عمته ، لأنها أخت أبيه ،  
وهو عمها لأنه أخو أبيها .

وأما قوله ولى خالة هكذا حُكِمَها ، فهو أن تكون أمها أخته ، وأختها أمه  
كما قل أبوها أخى وأخوها أبى ، وصورتهان أن رجلا له ولد ولولده أخت من  
أمه فزوجها من أبى أمه ، فجات بيت ، فأختها أمه وأمها أخته .

وأحسن من ذلك كله وألطف وأحل قول بعضهم في الخللخال :

ومضروبٍ بلا جُرمٍ مليح اللون معشوقٍ  
له قدّه اللال على مليح القدِّ معشوقٍ  
وأكثر ما يرى أبدأ على الأمشاط في الشوق

وبلغنى أن بعض الناس سمع هذه الآيات فقال : قد دخلت السوق فما رأيت على الأمشاط شيئاً ، وظن أنها الأمشاط التي يرَجِّلُ بها الشعر ، وأن السوق سوق البيع والشراء .

واعلم أنه قد يأتي من هذا النوع ما هو ضرر وأوان ، فمنه الحسن الذي أوردت شيئاً منه كما تراه ، ومنه المتوسط الذي هو دونه في الدرجة ، فلا يوصف بحسنٍ ولا قبح ، كقول بعضهم :

راحت ركائبهم وفي أكوارها ألفان من عُمِّ الأثيل الواعدِ  
ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بأزْ كُبِّ حَمَلَتْ حدائق كالأفلام الراكدة<sup>(١)</sup>

وهذا يصف قوماً وفدوا على ملك من الملوك ، فأعطاهم نخلا ، وكتب لهم بها كتاباً ، والأثيل الموضع الذي كتب لهم إليه ، والعُمُّ العظام الرعوس من النخيل ، والواعد الأفناء<sup>(٢)</sup> من النخيل ، فلما حلوا الكتب في أكوارهم فكأنهم حلوا النخل ، وهذا من متوسط الأناز .

وقد جاء من ذلك ما هو بشع بارد فلا يستخرج إلا بمسائل الجبر والمقابلة أو بخطوط الرمل من القهض الداخل أو القهض الخارج والبياض والحمره وغيرها ، واثن كان معناه دقيقاً يدل على فرط الدكاء فإن لا أعدده من اللغة العربية ، فضلاً عن أن يوصف بصفات الكلام الحمودة ، ولا فرق بينه وبين لغة القرس والروم وغيرها من اللغات في عدم الفهم .

وأما ما ورد من الأناز نثراً فقد أنز الحريري في مقاماته أنازاً ضمنها ذكر

---

(١) كان البيت الثاني ( ما إن رأيت ولا بأرك هكذا ) فرجنا تصحيحه ليستقيم للغي ، وأغلب الظن أن كلمة ( هكذا ) مقعمة لما وجد الناسخ أن في الشطر كلمة ناقصة ( ما إن رأيت ولا سمعت ) فلما لم يجد كلمة ( بأرك ) كتب : هكذا .  
(٢) جم قنوبكسر القاف وضما الكسابة

الإبرة والمِرْوَدِ وذِكْر الدينار وهي أشهر كما يقال من « قفانك »<sup>(١)</sup> فلا حاجة إلى إيرادها في كتابي هذا .

وقد ورد من الألفاظ شيء في كلام العرب المفسور ، عهد أنه قليل بالنسبة إلى ما ورد في أشعارها .

وقد تأملت القرآن الكريم فلم أجد فيه شيئاً منها ، ولا ينبغي أن يتضمن منها شيئاً ، لأنه لا يستنبط بالحدس والحزر كما تستنبط الألفاظ ،

وأما ما ورد للعرب فيروى عن امرئ القيس وزوجته عدة من الألفاظ ، وذلك أنه سألهما قيل أن يتزوجا فقال : ما ائذان وأربعة وثمانية ؟ فقالت : أما الاثنان فتديا المرأة ، وأما الأربعة فأخلاف الناقة ، وأما البانوية فأطبباء الكلبة ، ثم إنه تزوجها وأرسل إليها هدية على يد عبده ، وهي حلة من عَصَب<sup>(٢)</sup> البين ونَحْي من عسل ، ونَحْي من سمن ، فزل العبد ببعض المياه واس الحلة فطلق طرفها بسمة<sup>(٣)</sup> فانشق ، وفتح النحيين وأطعم أهل الماء ، ثم قدم على المرأة وأهلها خلوف<sup>(٤)</sup> ، فسأل عن أبيها وأمها وأخيها ودفع إليها الهدية ، فقالت له : أعلم مولاك أن أبى ذهب يُقَرَّبُ بعيداً ويُبعد قريباً ، وأن أمى ذهبت تشق النفس نفسين ، وأن أخى برَقَبُ الشمس ، وأخبره أن سماء كم انشقت ، وأن وطاديكم نَضِيْبًا .

فماد العبد إلى امرئ القيس وأخبره بما قالته له ، فقال : أما أبوها فإنه ذهب يحالف قوما على قومه ، وأما أمها فإنها ذهبت تقبل امرأة<sup>(٥)</sup> ، وأما أخوها فإنه في مَرَحٍ برعاه إلى أن تقرب الشمس ، وأما قولها إن سماء كم انشقت فإن

(١) مشهورة كقصيدة امرئ القيس التي مطلعها « قفانك من ذكرى حبيب ومنزل »

(٢) العَصَبُ : ضرب من البرود . النَحْي : زق السمن .

(٣) السمرة : شجرة شائكة جمعها سمر .

(٤) خلوف : غائبون عن الحى .

(٥) تقبل على وزن تعلم : أى تتلقى الولد عند الولادة .

الحلقة انشقت ، وأما قولها إن وعاءيكم نضيبا فإن النحيين نقصا ، ثم قال للعبد :  
اصدقني ، فقال له : إني نزلت ماء من مياها العرب وفعلت كذا وكذا .

فهذا وأمثاله قد ورد عنهم إلا أنه يسير

وكذلك يروى عن شَنَّ بن أنصَى وكان ألزم نفسه ألا يتزوج إلا امرأة  
تلائمه ، فصاحبه رجل في بعض أسفاره ، فلما أخذ منهما السير قال له شَنَّ :  
أَتَحْمِلُنِي أَمْ أَحْمَلُكَ ؟ فقال له الرجل : يا جاهل هل يحمل الراكب راكبا ؟ فأمسك  
عنه ، وسارا حتى أتيا على زرع ، فقال شَنَّ : أترى هذا الزرع قد أُكِلَ ؟ فقال له  
يا جاهل : أما تراه في سبيله ، فأمسك عنه .

ثم سارا ، فاستقبلتهما جنازة ، فقال شَنَّ أترى صاحبها حيًّا ؟ فقال له الرجل :  
ما رأيتُ أجهل منك ، أترام حلولا إلى القبر حيًّا ؟

ثم لهما وصلا إلى قرية الرجل فسار به إلى بيته ، وكانت له بنت فأخذ  
يُطَرِّفُهَا بِحَدِيثِ رَفِيقِهِ ، فقالت ما نطق إلا بالصواب ، ولا استفهم إلا عما يُسْتَفْهَمُ  
عن مثله . أما قوله : أَتَحْمِلُنِي أَمْ أَحْمَلُكَ فإنه أراد أن يحدثني أم أحدثك حتى تقطع  
الطريق بالحديث .

وأما قوله أترى هذا الزرع قد أُكِلَ ، فإنه أراد هل استأنف ربُّه ثمته  
أم لا ؟ وأما استفهامه عن صاحب الجنازة فإنه أراد هل خَلَّفَ لَهُ عَقِيبًا يَحْيَا بِذِكْرِهِ  
أم لا ؟ فلما سمع كلام ابنته خرج إلى شَنَّ وحدثه بتأويلها ، فخطبها فزوجها إيَّاهَا .  
وأدق من هذا كلُّه وألطف ما يحكى عن رجل من المناقذة أصحاب شيرز  
وهو أولهم الذي استفذه من أيدي الروم بالمسك والخديعة ، ولذلك قصة طريفة  
وليس هذا موضع ذكرها ، وكان قبل ملكه في خدمة محمود بن صالح صاحب  
حلب ، وكان إذ ذاك يلقب بسديد الملك ، فنيا به مكانه ، وحدثت له حادثة  
أوجبته له أن هرب ومضى إلى مدينة طرابلس<sup>(١)</sup> في زمن بني عمار أصحاب

(١) بلد بالشام ، بفتح الطاء وضم الباء واللام . وكانت في الأصل ترابلس .

البلد ، فأرسل إليه ابن صالح واستعطفه ليعود إليه ، فخافه ولم يعد ، فأحضر ابن صالح رجلا من أهل حلب صديقا لابن منقذ وبينه وبينه أئمة مودة أكيدة ، وأجلسه بين يديه ، وأمره أن يكتب إليه كتابا عن نفسه يؤثقه من جهة ابن صالح ليعود ، فما وسعه إلا أن يكتب ، وهو يعلم أن باطن الأمر في ذلك خلاف ظاهره ، وأنه متى عاد ابن منقذ إلى حلب هآك ، نأفكر وهو يكتب في إشارة عيياء لا تُفهم ، ليضعها فيه يحذر بها ابن منقذ ، فأداه فكره أن كتب في آخر الكتاب عند إبهائه « إن شاء الله تعالى » وشدد إن وكسرها ، ثم سلم الكتاب إلى ابن صالح ، فوقف عليه وأرسله إلى ابن منقذ ، فلما صار في يده وعلم ما فيه قال : هذا كتاب صديقي وما يُشنى ، ولو أنه يعلم صفاء قلب ابن صالح لي لما كتب إلى ولا غرني ، ثم عزم على العود ، وكان عنده ولده ، فأخذ الكتاب وكرّر نظره فيه ، ثم قال له : يا أبتِ مكانك ، فإن صديقك قد حدّرك وقال لا تعد ، فقال : وكيف اقل : إنه قد كتب « إن شاء الله تعالى » في آخر الكتاب ، وشدد إن وكسرها ، وضبطها ضبطا صحيحا لا يصدرُ مثله عن سهو ، ومسى ذلك أنه يقول : « إن الملائمة يأمرون بك ليقتلوك »<sup>(١)</sup> وإن شككت في ذلك فأرسل إلى حلب .

وهذه من أعجب ما يلقى من حدة الذهن وقطنة الخاطر ، ولو لا أنه صاحب الحادثة الخوفة لما تفتن إلى مثل ذلك أبدا ، لأنه ضرب من علم الغيب ، وإنما الخوف دله على استنباط ما استنبطه

ووجد لبعض الأدباء لُغز في حَمَام ، فمنه ما أجاد فيه كقولهِ : « وقد أظلمنا

تسميات ذات نجوم ، لا استراق لها ولا نجوم ، وهي مَرَكِبَةٌ في ذلك سمحت  
استدارته ، وسكنت إدارته .

أعجب بها من أنجم عند الصباح ظاهره  
لكمها إذا نداء نجم الظلام غارة

فهي على القياس جنة نعيم ، مبنية على لظى جحيم ، لا خلود فيها  
ولا مقام ، ولا تزاور بين أهلها ولا سلام ، أسرارها متدافعة ، ومياهها متزفرقة ،  
والأكواب بها موضوعة ، والنمارق عنها مزوعة .

يُطبع بها المولى أوامر عبده ويصبح طوعاً في يديه مقاتله  
ويرفع عنه التاج عند دخوله وتسلم من قبل الجلوس غلائله

التجمل بها ممدوم ، والخدم فيها مخدوم ، يُنكرها النسب من البرد ،  
ويكره حرها إذا جاوز الحد .

هذا اللفظ من فصيح الألفاظ ، ولا يقال إن صاحبه في القسي صانع العكاز ،  
وإذا تطرز غيره بلهعة من الوثى فهذا كله طراز .

وما سمعته من الألفاظ الحسان التي تجرى في المحاورات ما يُحسكي عن عمر  
ابن هبيرة وشريك النُميري ، وذلك أن عمر بن هبيرة كان ساراً على بردون  
له وإلى جانبه شريك النُميري على بئله ، فتقدمه شريك في المسير ، فصاح به عمر :  
اغضض من لجامها ، فقال : أصلح الله الأمير إسمها مكتوبة<sup>(١)</sup> . فتبسّم عمر ،

(١) كانت في الأصل مكتوبة .

ثم قال: وَيُبْحِكُ ، لم أرَ هذا ، فقال له شريك : ولا أنا أردتُهُ .

وكان عمر أراد قول جرير :

فُضِنَ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمْسِيرٍ . فلا كُفْبًا بَلَفْتِ وَلَا كِلَابًا (١)

فأجابه شريك بقول الآخر :

لَا تَأْمَنَنَّ فَرَارِيًّا خَزَاتِ بِهِ هَلِي قَلْوَصِكَ وَاكْتُبْنَهَا بِأَسْيَارِ (٢)

وهذا من الألفاظ اللطيفة ، وتأنف كل من هذين الرجلين ليشبه  
الطف وأحسن .

ومما يجزى هذا الجهمي أن رجلا من تميم قال لشريك البهمي : ما في  
الجوارح أحبُّ إلي من البازي . فقال له شريك : إن كان يصيد القَطَا .

وكان البهمي أراد قول جرير :

أَنَا الْبَازِيُّ الْمُسَطِّلُ عَلَى نُمْسِيرٍ أُنَيْحَ مِنَ السَّمَاءِ لَهَا انْصِبَابًا (٣)

وأراد شريك قول الطرماح .

تَمِيمٌ بِطُرُقِ الْأَوْمِ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا وَلَوْ سَلَكْتَ طُرُقَ الْمَكَارِمِ ضَلَّتْ

(١) ديوان جرير ٧٥ من قصيدة في هجاء الراعي .

(٢) البيت لسالم بن دارة في هجاء بني فزارة ( الشمر والشمراء ١/٣٦٤ ) .

القلوص : الناقة الشابة . ا كتبها : قيدها .

(٣) الديوان ٧٢ من هجاء للراعي .

واعلم أن خواطر الناس تتفاضل كفاضل الأشخاص ، ومن هنا قيل : سبحان خالق أبي موسى وعمرو بن العاص<sup>(١)</sup>

## النوع الثاني والمثرون في المبادئ والافتتاحات

هذا النوع هو أحد الأركان الخمسة البلاغية المشار إليها في الفصل التاسع من مقدمة الكتاب .

وحقيقة هذا النوع أن يُجملُ مَطْلَعُ الكلام من الشعر أو الرسائل دالاً على المعنى المقصود من هذا الكلام إن كان فِتْحاً فِتْحاً ، وإن كان هِئَاءَ هِئَاءَ ، أو كان عَزَاءً هِئَاءَ ، وكذلك يجري الحكم في غير ذلك من المعاني .

وقائده أن يُعرف من مَبْدَأِ الكلام ما المرادُ به ، ولِمَ هذا النوع ؟

والقاعدة التي يُبْنَى عليها أساسه أنه يجب على الشاعر إذا نظم قصيداً أن ينظر ، فإن كانت مديحاً صريحاً لا يختص بمحادثة من الحوادث فهو مُخْتَبِرٌ بين أن يفتتحها بقرنل أو لا يفتتحها بقرنل بل يرتجل المديح ارتجالاً من أولها كقول القائل :

---

(١) يحسن أن نعقب على ابن الأثير في الأماز برأى ابن سنان المفاجي ، وقد سبقه بنحو قرنين من الزمان ، قال المفاجي : « فإن قيل : ما تقولون في السلام الذي وضع لقرنل ، وقصد ذلك فيه ؟ قيل : إن الموضوع على وجه الإفااز قد قصد قائله إغماض المعنى وإخفاءه ، وجعل ذلك فنا من الفنون التي تستخرج بها أدهام الناس ويمتن أذهانهم . فلما كان وضعه على خلاف وضع السلام في الأصل كان القول فيه مخالفاً لقولنا في فصيح الكلام ، حتى صار يحسن فيه ما كان ظاهره يدل على التناقض ، أو ما جرى مجرى ذلك . . . . . وقد كان شيخنا أبو العلاء يستحسن هذا الفن ويستعمله في شعره كثيراً . ( سر الفصاحة ٢١٥ ) .



إن حارتِ الأهابُ كيف تقولُ في ذا المقامِ فعُذْرُها مقبولُ  
سامحْ بفضلِكَ مادِحِكِ فما لَمَمُ أبدأ إلى ما نستجِبُ سبيلُ  
إن كان لا يُرضيكِ إلا مُحسِنُ فالحسنون إذا لَدَيْكَ قليلُ  
فإن هذا الشاعرُ إرتَجَلَ المديحَ من أول القصيدة ، فأتى به كما ترى حسنًا  
لاحقًا .

وأما إذا كان القصيدُ في حادثة من الحوادث كفتح مَعْقِلٍ<sup>(١)</sup> أو هزيمة  
جيش أو غير ذلك فإنه لا ينبغي أن يبدأ فيها بنزل ، وإن فعل ذلك دلُّ  
على ضعفِ قريحةِ الشاعرِ وقصوره عن الغاية ، أو على جهله بوضع الكلام  
في مواضعه .

فإن قيل إنك قلت يجبُ على الشاعرِ كذا وكذا فلم ذلك ؟  
قلت في الجواب : إن النزل رِقَّةٌ مُخَضَّةٌ ، والألفاظ التي تنظمُ في الحوادث  
المشار إليها من فحل الكلام ومعين القول ، وهى صيدُ النزل ، وأيضا فإن  
الأسباع تكون متطالمة إلى ما يقال في تلك الحوادث والابتداء بالخلوض في  
ذكرها لا الابتداء بالنزل ، إذ المهمُّ واجبُ التقديم .

ومن أدب هذا النوع ألا يذكر الشاعر في افتتاح قصيدة بالمديح  
ما يُتَطَيَّرُ منه ، وهذا يرجع إلى أدب النفس لا إلى أدب الدرس ، فينبغى أن  
يختَرَزَ منه في مواضعه ، كوصف الديار بالدُّنُورِ وللنازل بالعتقاء وغير ذلك من  
تَشَتَّتِ الألف ودم الزمان ، لا سيما إذا كان في التهاني ، فإنه يكون أشدُّ قُبْحًا ،  
وإنما يستعملُ ذلك في الخطوب النازلة والنوائب الحادثة ، ومتى كان الكلام  
في المديح مفتتحًا بشيء من ذلك نظير منه سامحه .

(١) كانت بالأصل مقل .

ولأنما خُصَّتْ الابتداءات بالاختيار ، لأنها أولُ ما يَطْرُقُ السَّمْعُ من الكلام ، فإذا كان الابتداء لائقاً بالمعنى الوارد بعده تَوَفَّرَتِ الدواعي على استماعه .

ويكفيك من هذا البابِ الابتداءاتُ الواردةُ في القرآن الكريم ، كالتحميدات المفتتحة بها أوائلُ السُّور ، وكذلك الابتداءاتُ بالنداء كقوله تعالى في مفتتح سورة النساء ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ وكقوله تعالى في أول سورة الحجج : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ فإن هذا الابتداء مما يوقظ السامعين الإصغاء إليه .

وكذلك الابتداءات بالحروف ، كقوله تعالى ﴿ أَلَمْ وَطَسْ وَحَم ﴾ وغير ذلك ، فإن هذا أيضاً يبيِّتُ الاستماعَ إليه ، لأنه يَقْرَعُ السَّمْعَ شَيْءٌ غَرِيبٌ ليس له بمثله عادة ، فيكون سبباً للتَّطَلُّعِ نحوه والإصغاء إليه .

ومن قبيل الابتداءات قولُ ذِي الرُّمَّةِ : « مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا لَمَّا بَنَسَكِبُ »<sup>(١)</sup> ، لأن مقابلة المدوح بهذا الخطاب لا خفاء بقبحه وكرهته .

ولما أنشدَ الأخطلُ عبدَ الملكِ بنَ مَرْوَانَ قصيدته التي أولها « خَفَّ الطَّيْنُ فَرَاخُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا »<sup>(٢)</sup> قال له عند ذلك : لا بل منك ، وتطيرُ

(١) كانت عين عبد الملك دأمة الدمع ، فلما افتتح ذو الرمة قصيدته في مدحه بقوله :

ما بال عينك منها الدمع ينسكب كأن من كلِّ مفرية سرب

وهو لا يخاطبه في الحقيقة وإنما يخاطب نفسه على سبيل التجريد ، لم يسترح عبد الملك إلى قبج المواجهة بهذه الصورة ، لأنها توهم أنه هو المراد ، فقال له : وما سؤالك عن هذا يابن الفاعلة ، وكرهه وأمر بإخراجه .

(٢) الشطر الثاني : وأزعجتهم نوى في صرفها غير (الديوان ١٠٤)

من قوله فغيرها ذو الرمة وقال : « خَفَّ الْقَطْبَيْنُ فَرَاخُوا الْيَوْمَ أَوْ بَكَرُوا » .  
ومن شاء أن يذكر الديار والأطلال في شعره فليبدأ بأدب القطامي على  
جفاء طبعه وبُعدِه عن فطانة الأدب ، فإنه قال : إنا مُحْيِيُوكَ فَاسْتَمِ إِسْهًا  
الطلل<sup>(١)</sup> ، فبدأ قبل ذكر الطلل بذكر التحية والدعاء له بالسلامة .

وقد قيل إن امرأ القيس كان يجيد الابتداء بكفوله : « أَلَا أَنْتُمْ  
صَبَاخًا أَيَا الطَّلَلُ الْبَالِي »<sup>(٢)</sup> وكفوله : « قِفَا نَبِيكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيب  
وَمَنْزِل »<sup>(٣)</sup>

وعما يُكرهُ من الابتداءات قولُ أبي تمام : « تَجَرَّعُ أَسَى قَدِ انْقَرَّ  
الْجَرِيحُ الْفَرْدُ »<sup>(٤)</sup> . وإنما اتقى أبا تمام في مثل هذا المسكروه تَنْبِئُهُ لِلتَّجْنِيسِ  
بين تَجَرَّعُ وَالْجَرِيحُ ، وهذا أدب الرجل ، فإنه كثيراً ما يقع في ذلك .

وكذلك استُقبِحَ قولُ البحتري : « فَوَاذَ مَلَاهُ الْحَزْنُ حَتَّى تَصَدَّعَا »<sup>(٥)</sup> .  
فإن ابتداء المديح بمثل هذا طيرةٌ ينبو عنها السمع ، وهو أجدر بأن يكون  
ابتداء مرثية لا مديح ، وما أعلم كيف يخفى هذا على مثل البحتري وهو من  
مُفَلِّقِي الشُعْرَاءِ .

- 
- (١) الشطر الثاني : وإن بليت وإن طالت بك الطليل ( الأغاني ١٦ / ١٨ ) .
  - (٢) الشطر الثاني : وهل يعمن من كان في العصر الخالي ( الديوان ٢٧ ) .
  - (٣) السطر الثاني : بسقط الأوى بين الدحول فحومل ( الديوان ٨ ) .
  - (٤) تكلمة البيت : ودع حسي عين يجتنب ماها الوجد ( الديوان ٨٠ / ٢ ) .
  - (٥) الجرع : ما سهل من الأرض . الحسى : ماء قليل في الأرض .
  - (٥) ليس المطلع بديوانه .

وحُكِيَ أَنَّهُ لَمَّا فَرَغَ الْمُعْتَصِمُ مِنْ بِنَاءِ قَعْرِهِ بِالْمِيدَانِ جَلَسَ فِيهِ ، وَجَمِيعَ أَهْلِهِ  
وَاصْحَابِهِ ، وَأَمْرَمَ أَنْ يَخْرُجُوا فِي زِينَتِهِمْ ، فَارَأَى النَّاسَ أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ ،  
فَاسْتَأْذَنَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيَّ فِي الْإِنْشَادِ ، فَأُذِنَ لَهُ ، فَأَنْشَدَ شِعْرًا حَسَنًا  
أَجَادَ فِيهِ ، إِلَّا أَنَّهُ اسْتَفْتَحَهُ بِذِكْرِ الْبَيْتِ وَهَقَّهَا فَقَالَ :

يَا دَارُ غَيْرِكَ الْبَيْلَى وَتَحَاكِرِ يَابَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَبْلَاكَ

فَتَطَيَّرَ الْمُعْتَصِمُ بِذَلِكَ ، وَتَغَامَزَ النَّاسَ عَلَى إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ كَيْفَ ذَهَبَ  
عَلَيْهِ مِثْلَ ذَلِكَ مَعَ مَعْرِفَتِهِ وَعِلْمِهِ وَطَوْلِ خِدْمَتِهِ لِلْمَلُوكِ ، ثُمَّ أَقَامُوا يَوْمَهُمْ  
وَانصَرَفُوا ، فَمَا عَادَ مِنْهُمْ اثْنَانِ إِلَى ذَلِكَ الْمَجْلِسِ ، وَخَرَجَ الْمُعْتَصِمُ إِلَى  
مُرٍّ مَن رَأَى وَخَرِبَ الْقَعْرَ<sup>(١)</sup> .

فَإِذَا أَرَادَ الشَّاعِرُ أَنْ يَذْكَرَ دَارًا فِي مَدِيحِهِ فَلْيَذْكَرْ كَمَا ذَكَرَ أَشْجَعُ السُّلَيْمِيُّ ،  
حَيْثُ قَالَ :

قَعْرٌ عَلَيْهِ نُجْمَةٌ وَسَلَامٌ خَلَّتْ عَلَيْهِ جَاهِلُهَا الْأَيَّامُ<sup>(٢)</sup>

وَمَا أَجْدَرُ هَذَا الْبَيْتَ بِمَفْتُوحِ شِعْرِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي أَنْشَدَهُ الْمُعْتَصِمُ ،  
فَإِنَّهُ لَوْ ذَكَرَ هَذَا أَوْ مَا جَرَى مِجْرَاهُ لَسَكَانَ حَسَنًا لَاتِقًا .

---

(١) الصناعتين ٤٣٢ وفي سر النفاحة ١٧٥ أن أبا نواس أنشد الفضل بن يحيى قصيدته التي مطلعها :

أربع البلى إن المشوع لبأدى عليك واني لم أخنك ودأدى

فتطير الفضل من هذا الابتداء . فلما انتهى إلى قوله :

سلام على الدنيا إذا ما فقدتم بني برمك من رأمين وغاد

استحکم تطيره ، فلم يمس إلا أسبوع حتى نكب بنو برمك ، وقتل جعفر بن يحيى .

(٢) الصناعتين ٤٣٣ . وبه ( نشرت ) .

وسئل بعضهم عن أحذق الشعراء ، فقال : من أجاد الابتداء والمطلع ،  
الآ ترى إلى قصيدة أبي نواس التي أولها :

يا دارُ ما فعلتَ بكِ الأيامِ لم تَبْقِ فيكِ بشاشةٌ تُستام<sup>(١)</sup>

فإنها من أشرف شعره وأعلاه منزلةً ، وهي مع ذلك مُستكرهةُ الابتداء ،  
لأنها في مدح الخليفة الأمين ، وافتتاحُ المديحِ مذكر الديار ودُورها مما يُقطِّرُ  
منه ، لا سيما في مشافة الخلفاء والملوك ، ولهذا يختار في ذكر الأماكن والمنازل  
ما رُقَّ لفظه وحسَّنَ النطقُ به كالغُذيبِ والنوَيْرِ ورامة وبارق والعَتِيقِ وأشباه  
ذلك<sup>(٢)</sup> ، ويختار أيضاً أسماء النساء في الغزل نحو سعاد وأميمة وفوز وما جرى  
هذا المجرى .

وقد عيب على الأخطل في تغزله بقُدور وهو اسم امرأة ، فإنه مستقبح في  
الذكر ، وقد عيب على غيره الغزل باسم تماخر ، فإنه وإن لم يكن مستقبحاً في  
معناه فإنه ثقيل على اللسان ، كما قال البحري :

إن للبين مئة لا تُؤدِّي ويبدأ في تماخِرِ بِيضاء<sup>(٣)</sup>

فغزله بهذا الاسم مما يشوه رقة الغزل ، ويثقل من خفته ، وأمثال هذه  
الأشياء يجب مراعاتها والتحرز منها .

وقد استثنى من ذلك ما كان اسم موضع تضمن وقعة من الوقائع ، فإن

(١) الديوان ٤٠٧ .

(٢) أسماء أماكن ومياه يكثر ورودها في الشعر وبخاصة في الغزل .

(٣) من قصيدته في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف (الديوان ١٣/١) .

ذكره لا يكره، وإن كان في اسمه كراهة، كما ذكر أبو تمام في شعره مواضع  
مكروهة الأسماء لضرورة ذكر الوقائع التي كانت بها، كذكر الحشال وعقوقس  
وأمثالهما، وكذلك ذكر أبو الطيب المتنبي هنزيط وشميصاط وما جرى مجراهما،  
وهذا لا عيب في ذكره، لسكان الضرورة التي تدعو إليه.

وهكذا يَسَاحُجُ الشاعر والكاتب أيضاً في ذكر ما لا بد من ذكره وإن  
قبح، ومهما أمكنه من التورية في هذا المقام فليسلسكها، وما لا يمكنه فإنه  
معذور فيه.

واعلم أنه ليس من شرط الابتداء ألا يكون مما يتطيرُ منه فقط،  
فإن من الابتداءات ما يستقبح وإن لم يتطير منه، كقول أبي تمام: «قَدَكْ  
أَتَيْبُ أَرَبَيْتَ فِي الْفُلُوءِ»<sup>(١)</sup>. وكقوله: «تَتَقِي جَمَّاتِي لَسْتُ طُوعَ  
مُؤَنِّي»<sup>(٢)</sup>. وكقول أبي الطيب المتنبي: «أَقْلُ نَعَالِي بَلَهْ أ كَثْرَهْ مَجْدُ»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) قَدَكْ أَتَيْبُ أَرَبَيْتَ فِي الْفُلُوءِ كم تعذلون وأنتم سجرائي  
مطلع قصيدته في مدح محمد بن حسان الضبي (الديوان ١/٢٢). قدك: حسبك.  
أتب: استعنى. سجرائي: أصدقائي.

(٢) تَقِي جَمَّاتِي لَسْتُ طُوعَ مُؤَنِّي وليس جنبي إن عدك بمصهي  
مطلع قصيدته في مدح عياش بن لهيعة الحضرمي (الديوان ١/١٥٣).  
تق: أمر للواحد من تق الخفف. جمّاتي: المراد نوراني وعصيانى. الجنيب:  
المجنوب، والمراد به هواه ونفسه. يقول لماذله إن عدك لا يجدى نفعاً، لأنى لا أطيع  
المؤنب، وليس قلبى منقاد إلى إذا لامنى أحد.

(٣) أَقْلُ نَعَالِي بَلَهْ أ كَثْرَهْ مَجْدُ وإذا الجد فيه نلت أم لم أقل جد  
مطلع قصيدته في مدح محمد بن سيار بن سكرم التيمي (الديوان ٢/١٠٧).  
الفعال: الفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه. بله: اسم فعل بمعنى دع. الجد بكسر  
الهمزة: الاجتماع، وبتنحها الحظ. يقول: أقل فعلى مجد، دع أ كثره، فكل أنعالي قليها  
وكثيرها فى سبيل المجد، وهذا المعنى الدائب فى سبيل المجد يعد حظاً لى سواء نلت مطلوبى  
أم لم أنله.

وكفوله : « كُنِّي أَرَانِي وَبِكَ لَوْمَتِكَ أَلْوَمَا » (١) .

والعجب أن هذين الشاعرين المفلتين يبدئان بمثل ذلك ، ولهما من الابتداءات الحسنة ما أذكره .

أما أبو تمام فإنه افتتح قصيدته التي مدح بها المعتصم عند نيجه مدينة عمورية فقال :

السيفُ أصدقُ أنباءٍ من السكتبِ      في حدِّه الحدُّ بين الجدِّ والأعيبِ  
بيضُ الصفائحِ لاسودَّ الصفائفِ      متونهنَّ جلاهُ الشكِّ والرَّيبِ

هذه الأبيات لما قصه ، وذلك أنه لما حضر المعتصم مدينة عمورية زعم أهل النجامة أنها لا تُفتح في ذلك الوقت ، وأفاضوا هذا حتى شاع وصار أحدوثه بين الناس ، فلما فتحت بنى أبو تمام مطلع قصيدته على هذا المعنى ، وجعل السيفَ أصدقَ من السكتبِ التي خبَّرت بامتناع البلد واعتصامها ، ولذلك قال فيها :

والعلمُ في شُبوبِ الأرماعِ لامعةٌ      بينَ الخميسينِ لافي السبعةِ الشُّبِ  
أين الروايةُ أم أين النجومِ وما      صاغوه من زُخرفِ فيها ومن كَذِبِ  
تخرُّصاً وأحاديثاً ملفِّفةً .      ليستَ بلمعِ إذا عدتْ ولا غَرَبِ (٢)

وهذا من أحسن ما يأتي في هذا الباب .

(١) كني أرائي وبك لومك ألوما هم أقام على فؤاد أنجما

مطلع قصيدته في مدح لإنسان مجهول (الديوان ١٨٤/٤) .

كني : دعي . أرائي : يريد عرفني وأهلقي . وبك : كلمة تعجب وإنكار . هم فاعل أرائي . أنجم : أطلع . يقول لهاذلة : اترك عدل ، فقد أرائي الهم المقيم على فؤادى القادم مع الميب أن لومك إياي أحق بأن يلام مني .

(٢) من قصيدته في مدح المعتصم بعد فتح عمورية (الديوان ٤٥/١) .

الصفائح : السيوف . النبع : شجر صلب تتخذ منه القسي . الغرب : شجر ضيف لاقوة له .

وكذلك قوله في قصيدة يمدحه بها أيضا، ويذكر فيها خروج بابك الخرمي عليه وظفره به ، وهي من أمهات شعره قال :

الحق أبلجُ والسيوف عوارٍ فحذارٍ من أسدِ العرينِ حذارٍ<sup>(١)</sup>  
وكذلك قوله متغزلا :

عسى وطنٌ يدنو بهم ولعلما وأن تُعتَبَ الأيامُ فيهم فرُبما<sup>(٢)</sup>  
وهذا من الأهزال الحلوة الرائقة ، وهو من محاسن أبي تمام المعروفة .

وكذلك قوله في أول مرثية :

أصمَّ بك الناعي وإن كان أنتما وأصبح معنى الجود بعدك بلنعا<sup>(٣)</sup>

وأما أبو الطيب فإنه أكثر من الابتداءات الحسنة في شعره ، كقوله في قصيدة يمدح بها كافورا ، وكان قد جرت بينه وبين سيده نزعةٌ ، فبدأ قصيدته بذكر الغرض المقصود فقال :

حَسَمَ الصَّلْحُ ما اشتمَّتْهُ الأَعادي وأذاعتَهُ السُّنُّ الحَسادُ<sup>(٤)</sup>  
وهذا من بديع الابتداء ونادره

---

(١) في مدح المعتصم (الديوان ٢/١٩٨) .

(٢) في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف (الديوان ٣/٢٣٢) تمتب : من أعتب إذا أعطاه العتي أو طلبها إليه . فربما : فربما دنا البعيد .

(٣) الديوان ٣٧٤ طبعة محمد جمال والمطلع بالموازنة ٩٤ وبمعجم البلدان ٨/٨٨٨ في رثاء أبي نصر محمد بن حيد الطائي .

(٤) كان قوم من الفلجان اتصلوا بابن الإخشيد سيد كافور ، وأرادوا أن يفسدوا الأمر على كافور ، فطالبه بتسليمهم إليه ، فسلمهم بعد أن امتنع مدة سببت وحشة ، ولما تسلمهم كافور ألفاهم في النيل واصطلحا (الديوان ٢/١٥٦) .



وكذلك ورد قوله في سيف الدولة وكان ابن الشُّشُتِيق حلف لياقِينَه  
كِفاحاً ، فلما التقيا لم يطق ذلك وولى هاربا ، فافتتح أبو الطيب قصيدته بَفَحْوَى  
الأمر فقال :

عُقْبِي الْبَيْنِ عَلَى عُقْبِي الرَّغْبَى نَدَمٌ      ماذا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ الْقَسَمُ  
وَفِي الْبَيْنِ عَلَى مَا أَنْتَ وَعَائِدُهُ      مادلُ أَنْكَ فِي الْمَيْعَادِ مُتَّهِمٌ (١)

وكذلك قوله وقد طارق سيف الدولة إلى مصر ، فجمع بين ذكر فراقه إياه  
ولقائه كافوراً في أول بيت من القصيدة فقال :

فراقٌ وَمَنْ فَارَقْتُ غَيْرُ مَذَمِّمْ      وَأَمْ وَمَنْ يَمْتُّ خَيْرٌ مِمِّمْ (٢)

ومن البديع النادر في هذا الباب قوله متغزلاً في مطلع قصيدته الغافية وهي :

أَتَرَاهَا لِكثْرَةِ الْعَشَاقِ      تَحَسَّبُ الدَّمْعَ خَلْقَةً فِي الْمَأَقِ (٣)؟

وله مواضع آخر كثيرة لا حاجة إلى ذكرها .

ومن محاسن الابتداءات التي دلت على المعنى من أول بيت في القصيدة ما قرأته  
في كتاب الروضة لأبي العباس المبرِّد ، فإنه ذكر غزوة غزاها الرشيد هارون  
رحمه الله في بلاد الروم ، وأن يقفور ملك الروم خضع له وبذل الجزية ، فلما عاد عنه

---

(١) (الديوان ١٦٧/٤) يقول : من حلف أن عاقبة الحرب له كانت عاقبته الندم ،  
لأنه ربما لا يظفر ، والقسم لا يزيد في الإقدام ، لأن الجبان لا يقدم وإن حلف . بشر إلى أن  
الطريق المسمى ابن شمشيق أقسم عند ملك الروم أنه لا بد أن يظفر بسيف الدولة ، وسأله  
أن ينجده ببطارقته وبالمدد والمدد ، ففعل ، فغاب ظنه واتهمز .  
(٢) (الديوان ٣٣٣/٤)

(٣) مطلع قصيدته في مدح أبي العشاء الحسين بن علي بن الحسين بن حمدان  
(الديوان ١٢١/٣) يريد أنها لكثرة عشاها الباكين تنوم أن الدم خلقة في العيون  
فلا ترحم من يبكي .

واستقر بمدينة الرقة وسقط الثلج نقض تقفور العهد ، فلم يجسر أحدٌ على إعلام  
الرشيد ، لمكان هيئته في صدور الناس ، وبذل يحيى بن خالد لشراء الأموال  
على أن يقولوا أشعاراً في إعلامه ، فكلمهم أشفق من لقائه بمنثل ذلك ، إلا شاعراً  
من أهل جدة يكنى أبا محمد ، وكان شاعراً مقلِّعاً ، فنظم قصيدة وأنشدها الرشيد ،  
أولها :

تَمَّضَ الذي أعطيته تَقْفُورُ فليهِ دائرة البوارِ تَدُورُ  
أبشُرُ أميرَ اللؤمِـنِـنِ فإنه فتحَ أمالكَ به الإلهُ كبيرُ  
تَقْفُورُ إنك حينَ تَعْدِرُ أن نأى عنك الإمامُ لجاهلٌ مفرورُ  
أظننتَ حينَ غدرتَ أنك مُفْلِتٌ هَيْبَتُكَ أمكٌ ، ما ظننتَ غُرُورُ

فلما أنهى الأبيات قال الرشيد : أو قد فعل ؟ ثم غزاه في بقية الثلج وفتح  
مدينة هرقله .

وقرأت في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ما رواه من شعر سُديف  
في تحريض الخليفة السفاح رحمه الله على بني أمية فقال : قدم سُديف من مكة  
إلى الحيرة والسفاح بها ، ووافق قدومه جلوس السفاح للناس ، وكان بنو أمية  
يجلسون على الكرامى تكريماً لهم ، فلما دخل عليه سُديف حَسَرَ لثامه ، وأنشده  
أبياتاً من الشعر ، فالتفت رجلٌ من أولاد سليمان بن عبد الملك ، وقال لآخر  
إلى جانبه : قَتَلْنَا والله العَبْدُ . فلما أنهى الأبيات أمر بهم السفاح فأخرجوا  
من بين يديه ، وقَتَلُوا عن آخرهم ، وكتب إلى عماله بالبلاد يأمرهم بقتل  
من وجدوه معهم .

ومن الأبيات :

أصبح الدين ثابتاً في الأساس باليهليل من بني القباس  
أنت مهدي هاشم وهداها كم أناس رجوك بعد إباس  
لا تُقبلن عبدة شمس عذاراً واقطعن كل رقلة وغراس  
أنزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان والإتعاس  
خوفهم أظهر التودد منهم وبهم منكم كخ الواسي  
أقصمهم أيها الخليفة وأخيم عنك بالسيف شاة الأرجاس  
واذكرن مضرع الحسين وزيد وقتيلاً بجانب المهراس  
ولقد ساءتني وساء سوائي قربهم من منابر وكراسي<sup>(١)</sup>  
وهذه الأبيات من فاخر الشعر وفادره افتتاحاً وابتداءً وتمريضاً وتأليفاً ،  
ولو وصفتها بما شاء الله وشاء الإسماعيل والإطنا ب لما بلغت مقدار ما لها من الحسن .

ومن لطيف الابتداءات ما ذكره منيار ، وهو :

أما وهواها عذرةً وتفضلاً لقد نقل الواشي إليها فأتحلاً  
سوى جرده لكن تجاوز حده وأكثر فارتابت ولو شاء قللاً<sup>(٢)</sup>

(١) الأبيات من قصيدة بالأغاني ٩٢/٤ مع تفسير لطيف . زيد : المراد زيد بن علي زين العابدين بن الحسين . وكان قد خرج بالكوفة على هشام بن عبد الملك ، وقتل وصلب سنة ١٢١ أو ١٢٢ هـ . القتييل الذي بجانب المهراس ( وكانت بالأصل الهرماس ) المراد حمزة بن عبد المطلب ، قتله وحشى غلام جبير بن مطعم يوم أحد ، والمهراس ماء بأحد ، وقد نسب الشاعر قتل حمزة إلى بني أمية لأن قائد الناس يوم أحد كان أبا سفيان بن حرب ، ولأن وحشى قتله بتحريض هند أم معاوية ، وقالوا إنها لاكت قطعة من كبد حمزة . رقله : نخله . طالت وفانت اليد . والمراد اقض على كبيرهم وعلى صغيرهم .

(٢) الديوان ١٩٤/٣ عذرة : معذرة . أحمل : بالغ في مكروه وكيد .  
كان قد وشى به بعض حماده في أمر يتصل بالملك شاهنشاه جلال الدولة أبي طاهر بن بويه ، ثم تبينت براءته وأنعم للملك عليه ، فأنشأ قصيدة يمدحه بها ويعرض بالواشي .

فإنه أبرز الاعتذار في هيئة النزول ، وأخرجه في معرض النسب ، وكان قد وُثِيَ به إلى المدوح ، فافتتح قصيدته بهذا المعنى فأحسن .  
وما جاء على نحو ذلك قول بعض المتأخرين من العراقيين :

وراءك أقوال الوُشاةِ الفواجِرِ ودونك أحوال القرامِ المُخامرِ  
ولولا ولوغُ منك بالصدِّ ما سَعَوْا ولولا الهوى لم أُنتدب للمعذرِ

فسلك في هذا القول مسلك مهبّار ، إلا أنه زاد عليه زيادة حسنة ، وهي المعاتبة على الإصغاء إلى أقوال الوشاة والاستماع منهم ، وذلك من أغرب ما قيل في هذا المعنى .

ومن الحذاقة في هذا الباب أن تُجملَ التحميداتُ في أوائل الكتب السلطانية مناسبةً لمآني تلك الكتب ، وإنما خصّصتُ الكتب السلطانية دون غيرها لأن التحاميد لا تصدر في غيرها ، فإنها تكون قد تضمنت أموراً لا تُقضى بالتحميد ، كفتح معقل<sup>(١)</sup> أو هزيمة جيش أو ما جرى هذا المعرى .

ووجدت أبا إسحاق الصابى على تقدمه في فن الكتابة قد أدخل هذا الركن الذى هو من أركان الكتابة ، فإذا أتى بالتحميد في كتاب من هذه الكتب لا تكون مناسبةً لمعنى ذلك الكتاب ، وإنما تكون في وادٍ والكتاب في وادٍ ، إلا ما قلُّ من كتبه . فمما خالف فيه معناه أنه كتب كتاباً يتضمن فتح بغداد وهزيمة الأتراك عنها ، وكان ذلك فتحاً عظيماً ، فابتدأ بالتحميد فقال : « الحمد للهوب العالمين ، الملك الحق المبين ، الوحيد الفريد ، العلى المجيد

(١) كانت بالأصل معقل .

الذى لا يوصف إلا بسلب الصفات ، ولا يُنعتُ إلا برفع النعوت ، الأزلى  
بلا ابتداء ، الأبدى بلا انتهاء ، القديم لا مُنْذُ أمدٍ محدود ، الدائم لا إلى  
أجلٍ معدود ، الفاعل لا من مادة استمدها ، ولا بآلة استعملها ، الذى لا تدركه  
العين بلحاظها ، ولا تحمده الألسن بألفاظها ، ولا تخلقه العصور بمرورها ،  
ولا شهيمه الدهور بمرورها ، ولا تصارعه الأجسام بأقطارها ، ولا تجانسه  
الصُّور بأعراضها ، ولا تجاربه أقدام النظر أو الأشكال ، ولا تزاحمه مناقب  
الفرناء والأمثال ، بل هو الصمد الذى لا كُفء له ، والقدُّ الذى لا توأم  
معه ، والحى الذى لا تخزيمه التنون ، والفيوم الذى لا تشغله الشنون ،  
والقدر الذى لا تؤدّه المضلات ، والخبير الذى لا تغييه المشكلات .

وهذه التعميدة لا تناسب الكتاب الذى افتتح بها ، ولكنها تصلح أن  
توضع فى صدر مصنف من مصنفات أصول الدين ، ككتاب الشامل للجوينى  
أو كتاب الاختصار أو ما جرى مجراها ، وأما أن توضع فى صدر كتاب  
فتتح فلا .

وهو وإن أساء فى هذا الموضع فقد أحسن فى مواضع أخرى ، وذلك أنه  
كتب كتاباً عن الخليفة الطائف - رحمه الله تعالى - إلى الأطراف ، عند عودته إلى  
كرسى ملكه وزوال ما نزل به وبأبيه المطيع - رحمه الله تعالى - من فادحة الأثر  
فقال : « الحمد لله ناظم الشمل بعد شتاته ، وواصل الحبلى بعد بقاته ، وجابر  
الوَهْن إذا انشلم<sup>(١)</sup> ، وكاشف الخطب إذا أظلم ، والقاضى للسلمين بما يصمُّ  
نشرهم ، ويبدُّ أزرهم ، ويصلح ذات بينهم ، ويحفظ الأئمة عليهم ، وإن

(١) كانت بالأصل (نلم) .

شابت ذلك في الأحيان شوائب من الحدّثان ، فلن تتجاوز بهم الحدّ الذي يُوقظُ غافلهم ، ويذبُّ ذاهلهم ، ثم إنهم عائدون إلى فضل ما أولاهم الله وعودهم ، ووَتَّقَ لهم ووعدهم ، من إيمان ميرزبهم وإعذاب ميرزبهم ، ولإعزاز جانبهم ، وإذلال مُجانبهم ، وإظهار دينهم على الدين كله ولو كره المشركون .

وهذه تحميدة مناسبة لموضوع الكتاب ، وإن كانت المعاني فيها مكررة كالذي أنكرته عليه وعلى غيره من الكتاب ، وقدمتُ القول فيه في باب السجع ، فليؤخذ من هناك .

ومن المبادئ التي قد أُخْلِقَتْ وصارت مزدرة أن يقال في أوائل التقليدات إن أحقَّ الخِدمِ بأن تُرعى خدمة كذا وكذا ، وإن أحق من قُلْد الأعمال من اجتمع فيه كذا وكذا ، فإن هذا ليس من المبادئ المستحسنة ، ومن استعمله أولاً فقد ضَعَفَ فكرته عن اقتراح ما يحسن استعماله من المبادئ ، والذي تبعه في ذلك إما مُقلِّدٌ ليس عنده قدرةٌ على أن يختار لنفسه ، وإما جاهلٌ لا يفرق بين الحسن والقبيح والجيد والردى .

وأهل زماننا هذا من الكتاب قد قَصَرُوا مبادئ تقاليدهم على هذه الفاتحة دون غيرها ، وإن أنوا بتحميدة من التحاميد كانت مبانة لمعنى التقليد الذي وُضِعَتْ في صدره .

وكذلك قد كان الكتاب يستعملون في التقليدات مبدأ واحد لا يتجاوزونه إلى غيره ، وهو « هذا ما عهد فلان إلى فلان » والتحميد خير ما افتتح به التقليداتُ وكتبُ الفتوح وما جرى مجراها ، وقد أنكرتُ ذلك على استعماله في مفتتح تقليد أنشأته بولاية والي فقلت : « كانت التقليدات تفتتح بكلام ليس

بذى شان ، ولا يوضع في ميزان ، ولا يُجسّنى من أفنان ، وغاية ما يقال هذا ما عهدَ فلان إلى فلان ، وتلك فاتحة لم تكن جديدةً فتخلق<sup>(١)</sup> بتطاول الأيام ، ولا حسنةَ النظم فيضاهى بمثلها من ذوات النظم ، وهذا التقليد مفتتح بحمد الله الذى تكفل لحامده بالزيادة ، وبدأ النعمة ثم قرنها من فضله بالإعادة ، وهو الذى بلغ بنا من مآرب الدنيا منتهى الإرادة ، وسلم إلينا مقادها فذلل لنا بها كل مقادة ، ووسد الأمر منا إلى أهله فاستوطأت الرعايا منه على وسادة ، ونرحو أن يجمع لنا بين سعادة الأولى والأخرى حتى تتصل هذه السعادة بتلك السعادة . ثم نصلى على نبيه محمد الذى ميزه الله على الأنبياء بشرف السيادة ، وجعل انشقاق القمر له من آيات النبوة وانشقاق الإيوان من آيات الولادة ، وعلى آله وأصحابه الذين شادوا الدين من بعده فأحسنوا في الإشادة ، وبسطت عليهم الدنيا كما بسطت على الذين من قبلهم فلم يحولوا عن خلق الزهادة . أما بعد كذا وكذا ، ثم أهيت التقليد إلى آخره .

ومن الحذاقة في هذا الباب أن يُجمل الدعاء في أول الكتاب من السلطانيات والإخوانيات وغيرها متضمناً من المعنى ما بنى عليه ذلك الكتاب ، وهذا شيء انقردت بابتداعه ، وتراه كثير فيما أنشأته من المكتاتبات ، فإني توخيته فيها وقصدته . فمن ذلك ما كتبت في الهناء بفتح وهو « هذا الكتاب مُشافةً بخدمة الهناء للمجلس السامى الفلانى جدد الله له في كل يوم فتحاً ، وبدل عرش كل ذى سلطان لديه صرحاً ، وجعل كل موقف من مواقف جوده وبأسه يوم فطر ويوم أضحى ، وكتب له على لسان الإسلام ولسان الأيام ثناء خالداً ومدحاً ،

(١) تخالق : تبنى .

وأسكنه بعد العمر الطويل داراً لا يظماً فيها ولا يَضْحَى ، ثم أخذت بعد ذلك في إنشاء الكتاب المتضمن معاني ما يقتضيه ذلك الفتح .

ومن ذلك ما ذكرته في الهناء بمولود وهو « جَدَدَ اللهُ مَسْرَاتِ الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ الْفَلَانِيِّ وَوَصَلَ صَبُوحَ هِنَائِهِ بِنُبُوقِهِ ، وَأَمْتَمَهُ بِسَلِيلِهِ الْمُبَشِّرِ بِطُرُوقِهِ ، وَأَبْقَاهُ حَتَّى يَسْتَقْضِيَهُ بِنُورِهِ ، وَبَرَزَنِي عَنْ فَوْقِهِ ، وَسَرَّ بِهِ أَبْكَارَ الْمَعَانِي حَتَّى تَخْلُقَ أَعْظَافَهَا بِخُلُوقِهِ ، وَجَمَلَهُ كَزَرْعٍ أُخْرِجَ شَطَاهُ فَأَزْرَهُ فَاسْتَمَاطَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ » ثم أخذت في إتمام الكتاب بالهناء بالمولود على حسب ما اقتضاه ذلك المعنى .

فتأمل ما أوردته ها هنا من هذين اللتالين ، وانسج على منوالهما فيما تقصده من المعاني التي تبي عليها كتبك ، فإن ذلك من دقائق هذه الصناعة .

وأما فوائح الكتب التي أنشأها فمنها ما اخترعته اختراعاً ولم أسبق إليه ، وهي عدة كثيرة ، وقد أوردت ها هنا بعضها .

ومن ذلك مفتتح كتاب إلى ديوان الخلافة وهو «نشأت سحابة من سماء الديوان العزيز النبوي ، جعل الله الخلود لدولته أوطاناً ، والحدود لها أركاناً ، ونصب أياها في أيام الدهر أعياناً ، وصورها في وجهه عيناً وفي عينه إنساناً ، ومد ظالها على الناس عدلاً وإحساناً ، وجمع الأمم على دين طاعتها وإن تفرقوا أدياناً ، وآتاها من معجزات سلطانه ما لم يترك به لغيرها ساطاناً ، فارتاح الخدام لالتقامها ، وبسط يده لاستسقامها ، وقال رحمة مرسلة لا تخشى رعودها ، ولا تخلف وعودها ، ومن شأنها ترويض الصنائع التي تبقى آثارها ، لا الخائل التي تَدْوِي أزهارها ، وقد يُعْبَرُ عن الكتاب ونائله بالسحاب ووابله ، فإن صدرَ عن يد كيد الديوان العزيز فقد وقع التشبيه موقع الصواب ، وصدق حينئذ قول القائل : إن البحر عنصر السحاب ،



لكن فرّق بين ما يجود بمائه وما يجود بنعمائه ، وبين ما يسم الأَرْضَ الساجدة ،  
وبين ما يُسمى الأقدار الخالصة ، وما زالت كتب الديوان العزيز تُضربُ لها  
الأمثال ، وتُضَرَفُ شُحُوها الآمال ، ويُرى الحسد فيها حسناً وإن عد في غيرها  
من سيء الأعمال ، وهذا فصل من أول الكتاب .

ومن جملة الكتب المشار إليها مفتاح كتاب كتبتُه إلى بعض الإخوان ، وأرسلته  
إليه من اللوصل إلى أرض الشمال من بلاد الروم ، وهو « طلع كوكب من أفق  
المجلس السامى لا خَلَّتْ سيادته من عدو وحاسد ، ولا شَبِنَتْ بتوأم يُخرِجها من  
حكم الواحد ، ولا عَدِمَتْ صُحْبَةُ الجدود المتيقظة في الزمن الرائد ، ولا أَوْحَشَتْ  
الدنيا من ذكره الخالد ، الذى هو عمر خالد ، ولا زال مرفوعاً إلى المحل الذى  
يُنَمُّ به أن الدهر للناس ناقد ، والسكواكب مختلف مطالعها في الشمال والجنوب ،  
فمنها ما يطلع دائماً في أحدهما وهو في الآخر دائم الغروب ، وكتاب المجلس  
كوكب لم يَرِ بهذه الأرض مَطْلَعُهُ ، وإن عَلِمَ من السماء أين موضعه ، ولا ظهر  
الآن للخادم سَبَّحَ له حامداً ، وخرَّ له ساجداً ، وقال قد عُبِدَتْ السكواكب من  
قبل فلا عَجَبَ أن أكون لهذا الكوب طابداً ، وها أنا قد أصبحت بالمكوف  
على عبادته مُغرّى ، وقال الناس هذا ابن أبى كبشة الكتاب لا ابن أبى كبشة  
الشمرى » وهذا مطلع غريب ، والسياقة التالية لطالعه أغرب .

ومن أغرب ما فيها قولى « وها أنا قد أصبحت بالمكوف على عبادته مغرى ،  
وقال الناس هذا ابن أبى كبشة الكتاب لا ابن أبى كبشة الشمرى » والمراد  
بذلك أن أبا كبشة كان رجلاً في الجاهلية يعبد الشمرى ، فخالف بذلك دين  
قومه ، ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قالت قريش هذا قد خالف ديننا ، وسموه  
( م - ٨ - المثل السائر )

ابن أوى كبشة ، أوى أنه قد خالفنا كما خالف أبو كبشة قومه فى عبادة الشمرى ، فأخذت أنا هذا المعنى وأودعته كتابى هذا فجاء كما تراه مبتدعاً غربياً .

ومن جملة الكتب المشار إليها مفتتح كتاب كتبه إلى بعض الإخوان وهو « طلعت من الغرب شمسٌ فقيل قد آذنت أشراطُ الساعة بالافتراق ، ولم يُسلم أن تلك الأنوار إنما هى أنوارُ الكتاب ، لم تألف الأبصارُ من قبله أن تطعمَ لشمسٍ من المغرب ، وليس ذلك إلا كتاب المجلس لا سلبه الله مزية هذا الوصف الكريم ، وآتاه من الفضل ما يقال معه وفوق كل ذى علم عليم ، وأخى النفوس من كلمها برُوح كليمه كما شق عليها من أفلامه بسقيا الكليم ، ولما ورد عن الخادم صار ليله نهاراً ، وأصبح الناس فى الحديث به أطواراً ، والنصف منهم يقول قد جرت الشمس إلى مستقرها ، والشمس لا تجد قراراً » وهذا الكتاب فى الحسن والفرابة كالذى قبله .

ومن جملة الكتب المشار إليها مفتتح كتاب كتبه إلى الإخوان وهو « تأوب زوزٌ من جانب المجلس السامى أدنى الله داره ، وجعل كلماته التامة جاره ، وأنهدأ أفعالَ التقوى ليله وأفعالَ المسكارم نهاره ، ووهبه من أعمار العمر طواله ، ومن أعمار العيش قصاره ، ولا أفدَرَ السابقين إلى العالى أن يجروا معه ، ولا أن يشقوا غباره ، وليس ذلك الزوزُ إلا سطوراً فى قرطاس ، ولا فرق بين الكتاب وبين مرسله فى ملاطفة الإيفاس ، والله لا يصنعُ تمشى هذا الزائر ويُقره عيني برؤيته حتى لا أزال به قرير الناظر ، ومع هذا فانى عاتب لتأخره ، وها هنا مظنة العتاب ، ومن تأخر عنه كتاب صديقه فلا بد أن يخطر له خاطر الارتياب ، والظنين بالمودة لا يرى إلا ظنينا ، وقد قيل إنها وديعةٌ وقليل ما يجى على الودائع أميناً » وهذا فصل من الكتاب .

وَمِنْ جَمَلَةِ السُّكْتِ الْمَشَارِ إِلَيْهَا مَفْتَحُ كِتَابِ كَتَبْتَهُ إِلَى بَعْضِ الْإِخْوَانِ وَهُوَ  
« سَمِعْتُ رَوْضَةَ مِنْ جَانِبِ الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ جَعَلَ اللَّهُ الْعَالِي لَهُ رِذَاءً ، وَنَهَائِيَاتِ  
الْمَسَامِيِّ لَهُ ابْتِدَاءً ، وَفِدَاءَهُ بَيْنَ يُقَعَّرُ عَنْ دَرَجَتِهِ حَتَّى تَكُونَ الْأَكْرَامُ لَهُ فِدَاءً ،  
وَهَدَى الْحَامِدَ لِأَفْعَالِهِ وَأَهْدَى الْبِقَاءَ لِأَيَّامِهِ ، حَتَّى يَجْتَمِعَ لَهُ الْأَمْرَانِ لَهُ هُدًى  
وَإِعْدَاءً ، وَآتَاءَهُ مِنَ السِّيَادَةِ مَا يَجْمَلُ أَعْدَاءَهُ أَصَادِقُ ، وَمِنْ السَّعَادَةِ مَا يَجْمَلُ  
أَصْدِقَاءَهُ أَعْدَاءَهُ ، فَاسْتَشَقَّ الْخِدَامَ رِبَاهَا<sup>(١)</sup> ، وَتَلَفَّسَى بِالتَّحِيَّةِ مُحَيَّاها ، وَاسْتَمْتَعَ  
بِأَزْهَارِهَا الَّتِي أَنْبَتَهَا سُقْيَا الْأَقْلَامِ ، لَا سَمْتِي الْعَمَامِ ، وَقَالَ هَذَا رِبِيحُ الْأُرُوحِ  
لَا رِبِيحِ الْأَجْسَامِ ، وَلَوْ رَامَ الْإِحَاطَةَ بِوَصْفِهَا لَسَكَتَ الْأَقْوَالُ الْمَطْوُولَةُ فِيهَا  
مُخْتَمِرَةً ، وَاسْكَنَهُ الْكَتْفَى بِأَنْ رَفَعَهَا عَلَى رَأْسِهِ حَتَّى يَتِمَّتْ أَنْ الْجَنَّةُ فِي شَجَرَةٍ ،  
وَمِنْ أَوْصَافِهَا أَنَّهُمَا جَاءَتْ رَائِدَةً ، وَمِنْ شَأْنِ الرُّوضِ أَنْ يُرْتَادَ ، وَحَلَّتْ مُحَاسِنُهَا  
الَّتِي هِيَ فِي غَيْرِهَا مِنْ حِظِّ الْبَصْرِ ، وَفِيهَا مِنْ حِظِّ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ وَالْفَوَادِ ، وَلَمَّا  
سَرِحَ فِيهَا نَظْرُهُ وَجَدَ شَوْقَهُ حَامَةً تُفَرِّدُ فِي أَكْنَافِهَا ، وَتَرْدُدُ الشَّجَا لِبُعْدِ أَلْفِهَا ،  
إِذَا رَدَدْتَهُ الْجَاهُ لِقَرَبِ الْأَفْئِ ، وَهَذَا قَوْلُ عِنْدَ إِخْوَانِ الصَّفَاءِ عِلَامَةٌ ، وَإِذَا تَمَثَّلَ  
كِتَابُ الْحَبِيبِ رَوْضَةٌ فَهَلْ يَتِمَّتْ شَوْقُ مَحَبَّةِ الْإِحْمَامَةِ ؟ أَوْ فَرَقَ بَيْنَ هَذِهِ وَبَيْنَ  
أَخْوَاتِهَا مِنْ ذَوَاتِ الْأَطْوَاقِ ، إِلَّا أَنَّهُ تَمَلَّى شَجْوَهَا عَلَى صَفْحَاتِ الْقُلُوبِ وَتَلَّكَ  
تَمَلِيَةً عَلَى عَذَابَاتِ الْأُورَاقِ .

وهذا فصل من الكتاب وهو غريب عجيب ، وفيه معنيان مبتدعان ،  
وأعجبهما وأغربهما أقول « حتى يتمثل أن الجنة في شجرة » وهذا مستخرج من  
الحديث النبوي .

ومن جملة الكتب المشار إليها مفتاح كتاب كتبه إلى بعض الإخوان وهو  
« تَضَوَّعَتْ نَفْسُهُ مِنْ تَلْقَاءِ الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ رَعَى اللَّهُ عَمَلَهُ وَسَقَاهُ ، صَانَ وَدَمَهُ

(١) كانت بالأصل (رباهما).

وَوَقَاهُ ، وَبَسْرَى إِقَاءَ الْمَصَا بِمُنْقَاهُ ، فَتَطَرَّتِ الطَّرِيقَ الَّتِي سَابَرْتُهَا ، وَالرَّيْحَ الَّتِي  
جَاوَرْتُهَا ، فَأَفْرَشْتُهَا خَدِّي ، وَضَمَمْتُ عَلَيْهَا وُدِّي ، وَجَعَلْتُهَا رُذْنًا<sup>(١)</sup> لِحَبِيبِي  
وَلَعِطِيمَةً لِرُذْنِي ، وَسِيخَابًا<sup>(٢)</sup> لِمَعْقَدِي ، وَعَلِمْتُ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِنَفْثَةِ طَيْبٍ ، وَلَكِنَّهَا  
كِتَابٌ حَبِيبٌ ، فَإِنْ مَنَاشِقُ الْأَرْوَاحِ غَيْرُ مَنَاشِقِ الْأَجْسَامِ ، وَلَا يَسْتَوِي عَرَفُ  
الطَّيْبِ وَعَرَفُ الْأَقْلَامِ ، ثُمَّ مَدَدْتُ يَدِي إِلَى الْكِتَابِ بَعْدَ أَنْ صَالَحْتُ يَدَ مُوَصَّلِهِ .  
كَأَنَّ صَالِحَتَ عَيْقٍ مَبْدَلَهُ<sup>(٣)</sup> ، وَقَالَتْ أَمَلَا بِنِ أَدْنَى مِنَ الْحَبِيبِ مَزَارَا ، وَأَهْدَى  
أَسْبَى قُرَّةً وَلَقَابِي قَرَارَا .

وهذا في الغرابة كأخواته التي تقدمت ، ولم أستقص ما اخترعته من هذا  
الباب في مطالع الكتب .

وأما ما أتيتُ فيه بالحسن من المعاني ولكنه غير مخفوع ، فن ذلك مطلع  
كتاب كتبه عن الملك نور الدين أرسلان بن مسعود صاحب الموصل إلى الملك  
الأفضل علي بن يوسف يتضمن تعزية وتهنئة ، أما التعزية فيوفاة أخيه الملك العزيز  
عنان صاحب مصر ، وأما التهنئة فيبوراة الملك من بعده وهو « لا يعلم القلم أينطقه  
بلسان التعزية أم بلدان التهنئة ، لكنه جمعها جميعا فأتى بهما على حُكْمِ التثنية ،  
وفي مثل هذا الخطاب يظل القلم حائرا ، وقد وقف موقف الخط والرضا فخط  
أولا ثم رضى آخرا ، وهذا البيت الفاصري يتداول درجات الملافا تَمْضَى إِلَّا وَإِلَيْهِ  
تَرْجِعُ ، وَشَمْسُهُ وَأَقْمَارُهُ تَتَنَاقَلُ مَطَالِعَ السُّعُودِ فَمَا يَغِيبُ مِنْهَا غَائِبٌ إِلَّا وَآخِرُ يَطْلُعُ ،  
وَالنَّاسُ إِنْ فُجِّمُوا بِمَاجِدٍ ، رَدَّافُهُ مِنْ بَعْدِهِ مَاجِدٌ ، وَإِنْ قِيلَ إِنْ الْمَاضِي كَانَ وَاحِدًا

(١) كانت في الأصل ردعاً

(٢) الدخاب على وزن كتاب فلادة من مسك ( نوع من الطيب ) وفرنفل وعسل

بلا جوهر .

(٣) العبق : مصدر عبق الطيب إذا فاحت رائحته ، وكانت في الأصل ( عبق )

المنديل : على وزن مقعد المود أو أجوده كالمنديل .

تحميل بل الآتي هو الواحد ، وهذا فصل من أول الكتاب .  
ثم كتبت في هذا المعنى كتابين آخرين وفي القى أوردته من هذا الفصل مفتح .

ومن هذا الأسلوب ما كتبتته إلى بعض الإخوان جوابا عن كتابه ، وكانت  
الكتب قد انقطعت بيني وبينه زمانا وهو ( إقاه كُتِبَ الأحياب كلقاه الأحياب ،  
وقد تأتي بعد يأس منها فيشتبه دمع السرور بدمع الا ككتاب ، ومن أحسنها كتاب  
المجلس السامى الفلانى جعل الله الايالى له صحبا ، والمعانى له عقيبا ، ورفع مجده  
حقوق كل ماجد حتى تكون حسناتهم لدى حسناته ذنبا ، ولا زال اسمه فى الأنواء  
عذا ، وذكره فى الألسنة رطبًا ، ووده لكل إنسان إنسانا ولكل قلب قلبا ،  
ثم انتهيت إلى آخر الكتاب على هذا النسق ، وإنما ذكرت هاهنا مبدأه لأنه  
الغرض المقصود فى هذه الموضع .

ومن ذلك ما كتبتته إلى بعض الإخوان جوابا عن كتابه وهو « البُشْرَى  
تمطى للكتاب كما تُعطى لمرسله ، وكل منهما يُوفى حقَّ قدره وينزل فى منزله ،  
وكذلك فعل الخادم بكتاب المجلس السامى الفلانى لازال محله أنيسا ، وذكره لفرقدين  
جلسيا ، وسعته على المسكارم حبيسا ، ومجده جديد الملابس إذا كان المجد لييسا ،  
وهاهنا ذكرت فى هذا الكتاب كما ذكرت من الذى قبله ، فإني لم أذكر  
إلا مبدأه الذى هو الغرض .

ومما ينتظم هذا السالك ما كتبتته فى صدر كتاب يتضمن تعزية وهو « لو لم  
جلس قلبى ثوب الحداد لمجر مداده ، ونصاعته سواده ، وبعد عن قرينته ، وعاد  
إلى طينته ، وحرم على نفسه أن يمتطى يدا ، أو يجرى إلى مدى ، لكنه أحد  
فندب وبكى فسكب ، وسطر هذا الكتاب من دموعه ، وضمنه ما حملته أحناء  
خلوعه ، وإنما استعار ذلك من صاحبه الذى أعدها ، وأبدى إليه من عزمه

ما أبداء ، وهو نائب عنه في تمزية سيدنا أحمدَ الله صبره، ويسر أمره ، وأرضى عنه  
دهره » ثم أنهيت الكتاب إلى آخره .

ومن محاسن هذا الباب أن يفتح الكتاب بآية من القرآن الكريم ، أو  
بجيز من الأخبار النبوية ، أو بيت من الشعر ، ثم يبنى الكتاب عليه ، فمن ذلك  
ما كتبه في ابداء كتاب يتضمن البشرى بفتح وهو :

ومنَ طَلَبَ الفتحَ الجليلَ فإنما مفاثيمُهُ البيضُ الخِفافُ الصَّوارمُ<sup>(١)</sup>

وقد أخذنا بقول هذا الشاعر الحكيم ، وجمالنا السيف وسيطه إلى استنتاج  
الملاك المقيم ، ورواية المجدلا تُنصَبُ إلّا على النَّصَبِ ، والراحة الكبرى لاتنال  
إلا على جسر من الثعب<sup>(٢)</sup> ، وكتابنا هذا وقد استولينا على مملكة فلاية وهي  
للمملكة التي تُسمى الآمال دونها صرغى ، وإذا قيس إليها غيرها من الممالك  
كانت أصلا وكان غيرها فرعا » وهذا فصل من أول الكتاب .

ومن ذلك ما كتبه في مفتتح تقليد بالحسبية وهو « ولتكن منكم أمة يدعون  
إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون<sup>(٣)</sup> »

---

(١) من قصيدة التثني في مدح سيف الدولة ، التي مطلعها .  
على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

الديوان ١٢٢/٤ .

(٢) من قول أبي تمام :

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها تنال إلا على جسر من الثعب

من قصيدته في مدح المعتصم بعد فتح عمورية التي مطلعها :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

الديوان ٤٥/١ .

(٣) قرآن كريم سورة آل عمران ١٠٤ .

هذا أمر يشتمل على معنى الخصوص دون العموم ، ولا يختص به إلا ذرؤ الأوامر  
الطاعة وذرؤ المأمور ، وقد جمع الله لنا هذين الوصفين كليهما ، وجعلنا من المستخلفين  
عليهما ، فنبدأ أولاً بحمده الذي هو سبب للزيد ، ثم لناخذ في القيام بأمره  
الذي هو على كل نفس منه رقيب عتيد ، ولا ريب أن إصلاح العباد يسرى إلى  
الأرض حتى تزكو بطونها ، وتنم عيونها ، ويشترك في بركات السماء ساكنها  
ومسكونها ، والأمر بذلك جليل إن لم تتوزع الألف تفل على الرقاب ،  
وإذا انتشرت أطراف البلاد فإنها تفتقر إلى مساعدة من مستناب ومستناب ،  
وقد اخترنا مدينة فلانة رجلا لم نأل في اختياره جمدا ، وقد مناهيه خيرة الله التي  
إذا صدقت نيتها صادقت رُشدا ، وهو أنت أيها الشيخ فلان ، قابسط يدك  
بقوة إلى أخذ هذا الكتاب ، وكن كحكمة من حسنافا التي يرجح بها ميزان  
الثواب ، وحقق نظرنا فيك فإنه من الله الذي ليس دونه حجاب .

فتأمل كيف فعلت في هذه الآية التي بنيت التقليد عليها ، وهو من محاسن  
للبادئ الافتتاحات .

وكذلك فعلت في موضع آخر وهو مفتتح كتاب كتبه إلى شخص كلفته  
السفارة إلى مخدومه في حاجة عرضت وهو « إن أوزى الناس بإبراهيم الذين  
انبعوه وهذا النبي والذين آمنوا<sup>(١)</sup> » . هذا القول مجتميع آثاره ، وتحمّل عليه  
أنظاره ، وأولى الناس بسيدنا من شاركه في الحمة أدبه ، وإن لم يشاركه في الحمة  
نسبه ، فإن المناقب أقرب ، والمآثر أواصر :

وليس يعرف لي فضلي ولا أدبي إلا امرؤ كان ذا فضل وذا أدب

ونتيجة هذه المقدمة بَثُّ خُلُقِهِ السَّكْرِيمِ عَلَى عَوَارِفِ أُنْفُسِهِ ، وَاسْتِهْدَاءِ صَنِيعَةِ جَاهِهِ الَّتِي هِيَ أَكْرَمُ مِنْ صَنِيعَةِ مَالِهِ ، وَلَا تِجَارَةَ أَرْبَحُ مِنْ هَذِهِ التِّجَارَةِ ، وَالسَّاعَى فِيهَا شَرِيكَ فِي السَّكْسَبِ بَرِيءٌ مِنَ الْخَسَارَةِ .

وَأَمَّا الْأَخْبَارُ النَّبَوِيَّةُ فَيُسَلِّكُ بِهَا هَذَا الْمَسْلُكَ ، بَأَن يَذْكَرُ الْخَبَرَ فِي أُصْدُرِ الْكِتَابِ ، ثُمَّ يُبَيِّنُ عَلَيْهِ ، وَلِنَذْكَرُ مِنْهَا وَلَوْ مِثْلًا وَاحِدًا ، وَهُوَ تَوْقِيعُ كِتَابَتِهِ لَوْحًا رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ ، وَتُوفِيَ وَالِدُهُ وَنُقِلَ مَا كَانَ بِاسْمِهِ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : « قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، فَمَنْ مَاتَ وَتَرَكَ مَالًا فَتَوَرَّتِهِ ، وَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ كَلًّا أَوْ ضِيَاعًا فَلَيْ وَعَلَى » وَهَذَا خُلُقٌ مِنَ الْأَخْلَاقِ النَّبَوِيَّةِ لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ حَسَنَةً ، وَأَسَالِيبِ الْمَسْكَرَمِ بِأَسْرَافِهَا مَوْضُوعَةٌ فِي ضَمْنِهِ ، وَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ نَمْشِيَ عَلَى أَثَرِهِ ، فَتَنْتَزِلَ مَنزَلَةُ رَدِيفِهِ ، أَوْ نَتَشَبَّهُ بِهِ فَتَبْلُغَ مَبْلَغَ مُدَّةِ أَوْ نَصِيْفِهِ ، وَقَدْ أَرَانَا اللَّهُ ذَلِكَ فِي قَوْمٍ صَحْبُونَا فَأَسَفْنَا بِمَبَاغِي الْإِنْعَامِ ، وَاحْتِدَامِ صُحْبَةِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ، وَتَسْكَفْنَا أَيْتَامَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ حَتَّى وَدَّوْا أَنْ يَكُونُوا أَمَّ الْأَيْتَامِ ، وَهَذَا ابْنُ فُلَانٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَمَّنْ كَانَ لَهُ فِي خِدْمَةِ الدَّوْلَةِ قَدَمٌ صِدْقِي وَأَوْلِيَّةٌ سَبْقِي ، وَحَفِظَ كِتَابَ الْحِفَاظَةِ عَلَيْهَا ، فَقِيلَ لَهُ فِي تَلَاوُتِهِ أَقْرَأْ وَارْقَ .

ثُمَّ أَهْبَيْتُ التَّوْقِيعَ إِلَى آخِرِهِ ، فَتَأَمَّلْ مَفْتَتِحَ هَذَا التَّوْقِيعِ ، فَإِنَّهُ تَصْمِنُ نَصَ الْخَبَرَ مِنْ غَيْرِ تَغْيِيرٍ ، وَقَدْ ضَمَّنْتَهُ بَعْضَ خَبَرِ آخِرِ مِنَ الْأَخْبَارِ النَّبَوِيَّةِ ، وَهُوَ قَوْلُهُ أَقْرَأْ وَارْقَ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ أَقْرَأْ وَارْقَ وَرَتَلَ كَمَا كُنْتَ تَرْتَلُ فِي الدُّنْيَا ، فَإِنْ مَنَزَلْتِكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا .

وَقَدْ مَنَاتُ لَكَ هَاهُنَا أَمْثَالًا يُقْتَدَى بِهَا فَاحْذَرْ حَذْوَهَا وَامْضِ عَلَى سَهْبِهَا ، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ .



النوع الثالث والمشرون

## في التخلص والاعتضاب

وهذا النوع أيضا كالتى قبله في أنه أحد الأركان الخمسة التى تقدمت الإشارة إليها في الفصل التاسع من مقدمة الكتاب ، وينبغى أيها المتوضح لهذه القضية أن تصرف إليه جل همتك ، فإنه منهم عظيم من مهمات البلاغة . . .

[التخلص]

أما التخلص فهو أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعانى ، فبينما هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره ، وجعل الأول سببا إليه ، فيكون بعضه آخذا برقاب بعض ، من غير أن يقطع كلامه ويستأنف كلاما آخر ، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغا ، وذلك مما يدل على حذق الشاعر وقوة تصرفه من أجل أن نطاق الكلام يضيئ عليه ، ويكون متبعا للوزن وللقافية فلا تواتيه الألفاظ على حسب إرادته ، وأما النائر فإنه مطلق العنان ،ضى حيث شاء ، فلذلك يشق التخلص على الشاعر أكثر مما يشق على النائر .

وأما الاعتضاب فإنه ضد التخلص ، وذلك أن يقطع الشاعر كلامه الذى هو فيه ، ويستأنف كلاما آخر غيره من مديح أو هجاء أو غير ذلك ، ولا يكون للثانى علاقة بالأول ، وهو مذهب العرب ومن يليهم من الحضرمين .

وأما المحدثون فإنهم تصرفوا في التخلّص فأبدعوا وأظهروا منه كل غريبة ،  
فن ذلك قول أبي تمام :

يَقُولُ فِي قَوْمِ صَحْبِي وَقَدْ أَخَذَتْ مِنَّا الشَّرَى وَخَطَا المَهْرِيَةَ القُودُ  
أَمَطَّعَ الشَّمْسِ تَبَغْيِي أَنْ تَوُومَ بِنَا قَفَلْتُ كَلًّا وَلَكِنْ مَطَّلَعَ الجُودُ<sup>(١)</sup>

وهذان البيتان من بديع ما يأتي في هذا الباب ونادره .

وكذلك قوله أيضاً في وصف أيام الربيع ثم خرج من ذكره وما وصفه به  
من الأوصاف فقال :

خُلِقَ أَطْلٌ مِنَ الرِّبْعِ كَأَنَّهُ خُلِقَ الإِمَامُ وَهَدْيُهُ المَتَيْسِرُ  
فِي الأَرْضِ مِنْ عَدْلِ الإِمَامِ وَجُودِهِ وَمِنَ النَّبَاتِ القَضُّ سُرْجٌ مُزْهِرٌ  
تَفْسَى الرِّيَاضُ وَمَا يُرَوِّضُ جُودَهُ أبدأ عَلَى مَرِّ البَالِي يُذَكِّرُ<sup>(٢)</sup>

وهذا من أطف التخلّصات وأحسنها .

---

(١) في مدح عبد الله بن طاهر لما خرج إليه ( الديوان ١٣٢/٢ ) قومه : بلد بين العراق وخراسان وطبرستان بالقرب من أصفهان . المهرية : الإبل الكرمية نسبة إلى مهرة ابن حيدان . قود : طويلات الأناق للأفرد قوداء . والقي بالديوان ( تبغى أن تؤوم بنا ) .

(٢) من قصيدته في مدح المنتصم ( الديوان ١٩١/٢ ) والذي بالديوان ( يروض فعله ) بدلا من جوده ، وفي الأصل ( على مر الزمان ويذكر ) فأصلنا القطر من الديوان . يريد أن الرياض تنسى وتذبل أما فعله فلا ينسى ولا ينسى .

وكذلك قوله في قصيدته الفائية التي أولها « أما الرسوم فقد أذكرن ما سلفا »  
فقال فيها (١) :

غَيْدَاهُ جَادَ وَوَلِيُّ الْحَسَنِ سُمَّهَا      فصاعقها بيديه جنة ألقا  
يُضِحِي الْمَذُولَ عَلَى تَأْيِيبِهِ كَلِفًا      بُمَذْرَمَنْ كَانَ مَشْفُوقًا بِهَا كَلِيفًا  
وَدَعَ فَوَادِكَ تَوَدِيعَ الْفِرَاقِ فَمَا      أَرَاهُ مِنْ سَقَرِ التَّوَدِيعِ مُنْصَرَفًا  
يُجَاهِدُ لِلشُّوقِ طَوْرًا نَمَّ يَجْذِبُهُ      جِهَادُهُ لِلْقَوَائِي فِي أَبِي دَلْفَا

وهذا أحسن من الذي قبله ، وأدخل في باب الصنعة .

وكذلك جاء قوله :

زَعَمْتَ هَوَاكَ عَفَا الْعِدَاةَ كَمَا عَفَتْ      منها طول باللوى ورسوم  
لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ التَّوَى      صَبْرٌ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ  
مَازَلْتُ عَنْ سَنَنِ الْوَدَادِ وَلَا عَدَّتْ      نَقَمِي عَلَى إِلْفِ سَوَاكَ تَحْمُومٌ (٢)

وهذا خروج من غزل إلى مديح أغزل منه .

---

(١) من قصيدته في مدح أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي (الديوان ٢/٣٥٩) .  
التي مطلعها .

أما الرسوم فقد أذكرن ما سلفا      فلا تكفن من شانك أو يكفا  
وفي الديوان (روضة ألقا)

ولي الحسن : الحسن المتوالي للمتابع ، من الولي وهو للطر بعد للطر .

(٢) من قصيدته في مدح أبي الحسين محمد بن المهيم بن شبابة (الديوان ٣/٢٨٩) .  
التي مطلعها :

أسبق طولهم أجنس هزيم      وغدت عليهم خضرة وضيع  
كان الأصل (التوى أجيل) و (ما حلت من سنن الوداد) .

ومن البديع في هذا الباب قول أبي نواس من جملة قصيدته المشهورة  
التي أولها « أجارة بَيْتَيْنَا أبوك غيور » فقال عند الخروج إلى ذكر  
المدوح :

تقول التي من بيتها خَفٌ مَرَكَبِي      عزيزٌ علينا أن رَاكَ تَسِيرُ  
أما دون مِصْرٍ لِغَيْيَ مُتَطَلِّبُ      بلى إن أسباب الغنى لكثير  
تقات لها واستمبجلتها بوادِرُ      جرت جفري في جربهن عمير  
ذري أكرُّ حاسِدِيكَ برحلة      إلى بلد فيها الخصيب أمير<sup>(١)</sup>

ومما جاء من التخلصات الحسنة قول أبي الطيب المتنبي في قصيدته الدالية  
التي أولها « عواذلُ ذات الخال في حواسد » :

وأوردُ نَفْسِي والمُهَنْدُ في يَدِي      موارد لا يُصِدِّرَنَّ مِن لا يُجَالِدُ  
ولكن إذا لم يحمل القلبُ كفه      على حاة لم يحمل الكفُ ساعِدُ  
خليلٌ لاني لا أرى غيرَ شاعرٍ      فلم منهم الدغوى ومنى القصائدُ ؟  
فلا تَمَجِّبْها إن السيوفَ كثيرةٌ      ولكن سيف الدولة اليوم واحد<sup>(٢)</sup>

(١) الديوان (٤٨٠) من قصيدته في مدح الخصيب . بالديوان (من بيتها) و فيه  
(الخصيب) . بوادر : دموع مستبقات . صير : رائحة ذككية ، أى اختلط  
حسما ببيرها .

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

عواذل ذات الخال في حواسد      وإن ضجيع الخود منى اساجد  
(الديوان ١/٣٠٥) .

لا يصدرن من لا يجالد : أورد نفسي في الحرب . وارد ملاك لا يرجع واردها حيا .  
ومنى البيت الثاني أن قوة الضرب إنما تكون بالقلب لا بالكف ؟ فإذا لم تقو الكف بقوة  
القلب فإنها لا تقوى بقوة الساعد .

وهذا هو الكلام الآخذ بفضله برقاب بعض .

الآثرى إلى الخروج إلى مدح للمدوح في هذه الأبيات كأنه أفرغ في قالب واحد ، ثم إن أبا الطيب جمع بين مدح نفسه ومدح سيف الدولة بيت واحد من بدائمه المشهورة .

وكذلك قوله أيضاً وهو من أحسن ما أتى به من التخلصات ، وهو في قصيدته الثانية التي أولها « يَرْبُ مَحَامَهُ حُرْمَتُ ذَوَاتِهَا » فقال في أمثلتها :

وَمَطَالِبِ فِيهَا الْمَلَائِكُ أُتْبِتُهَا	تَبَّتَ الْجَفَانِ كَأَنِّي لَمْ آتِهَا
وَمَقَابِ بِمَقَابِ غَادَرْتُهَا	أَقْوَاتٍ وَحَشِ كُنَّ مِنْ أَقْوَاتِهَا
أَقْبَلْتُهَا غُرَّرَ الْجِيَادِ كَأَنَّمَا	أَيْدِي بَنِي عِمْرَانَ فِي جَبَّهَاتِهَا
الْقَابِلِينَ فَرُوسَةً كَجُلُودِهَا	فِي ظَهْرِهَا وَالْعَائِنُ فِي أَلْبَاتِهَا
فَكَأَنَّهَا تُتَجِّتُ قِيَامًا تَحْتَهُمْ	وَكَأَنَّهُمْ وَلِيُوا عَلَى صَهْوَاتِهَا
تَلَاكَ النُّفُوسُ الْقَابِلَاتُ عَلَى الْعَلَا	وَالْمَجْدُ يُظَلِّبُهَا عَلَى شَهْوَاتِهَا
سُفِيَّتْ مُفَابِعُهَا الَّتِي سَقَّتِ الْوَرَى	بِيَدَيْ أَبِي أَيُّوبَ خَيْرِ نَبَاتِهَا <sup>(١)</sup>

== ومعنى البيت الرابع أنه في الشعراء ممتاز كسيف الدولة في السيوف ، فكل منهما منقطع الظير وإن كان له أشباه وظائر في التسمية .

(٢) من قصيدته في مدح أبي أيوب أحمد بن عمران ( الديوان ١/٢٥٥ ) .

مقاب : جمع مقب وهو الطائفة من الخيل تجتم للفاة . أقوات : مفعول ثان لفادرتها يقول رب جيش من الفرسان لقيته بمثله من صحبي فتركته قوتنا لاوحوش التي كانت قوتنا له يصيدها ويذبحها ويأكلها .

أقبلتها فرر الجياد : جعلتها تقبل فرر جيادها التي أوصلتها إلى أهدائها وشفت سدورها منهم ، كأن هذه الفرر أيدي بني عمران . تتجت : ولدت . صهواتها : جمع صهوة وهي مقعد فارس على الحصان .

فانظر إلى هذين التخلصين البديين ، فالأول خرج به إلى مدح قوم المدوح ،  
والثاني خرج به إلى نفس المدوح ، وكلاهما قد أغرب فيه كل الإغراب .  
وعلى هذا جاء قوله :

إِذَا صُنْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَهَالًا لِمَنْ لَمْ أَتْرُكْ مَقَالًا إِعْلَامًا  
وَإِلَّا نَحَاكَتَنِي الْقَوَافِي وَطَاقَنِي      عَنْ ابْنِ عَبَّيدِ اللَّهِ ضَمَفُ الْعَزَامِ (١)  
والشعراء متفاوتون في هذا الباب ، وقد يُقَصِّرُ عنه الشاعر الملقب المشهور  
ملا الإجابة في إيراد الألفاظ واختيار المعاني ، كالمحترى فإن مكانه من الشعر  
لا يُجْهَل ، وشعره هو السهل الممتنع الذي تراه كالشمس قريباً ضوءها بعيداً  
مكانها ، وكالقناة ليناً مسمهاً خشناً سيناها ، وهو على الحقيقة قَيِّمَةُ الشعراء في الإطراب ،  
وعنقذوم في الإغراب ، ومع هذا فإنه لم يُؤَفَّقْ في التخلص من الغزل  
إلى اللديح ، بل اقتضبه اقتضاباً .

ولقد حفظت شعره فلم أجده من ذلك شيئاً مرضياً إلا اليسير ، كقوله  
في قافية الباء من قصيدة .

وكفاني إذا الحوادثُ أظلمت      - من شهاباً بفرّة ابن شهاب (٢)

وكقوله في قافية الدال من قصيدة :

قَصَدَتْ لَنَجْرَانِ الْعِرَاقِ رِكَابُنَا      يَطْلُبُنَ أَرْحَبَهَا مَحَلَّةَ مَاجِدِ

(١) من قصيدته في مدح أبي عمدة الحسن بن عبيد الله بن طنج (الديوان ٤ / ٣٠٣) .  
كان الأصل (مصالاً لفاتك) .

(٢) من قصيدته في مدح أحد ابن اسماعيل بن شهاب التي مطلعها :

ما على الركب من وقوف الركاب      في مغاني الصبا ورسم التصان  
الديوان ١ / ٧١ .

أَلَيْتُ لَا تَلْقَيْنَ جَدًّا صَاعِدًا فِي مَطْلَبٍ حَقِي تَفْخَنَ بِصَاعِدٍ<sup>(١)</sup>  
وكقوله في قصيدته التي أولها « حَلَفْتُ لَهَا مَا لَمْ يَوْمِ التَّفَرُّقِ » فإنه تشوق  
فيها إلى العراق من الشام ، ووصف العراق ومنازله ورياضه فأحسن في ذلك كله ،  
ثم خرج إلى مدح الفتح بن خاقان بسياقة آخذة بعضها برباب بعض فقال :  
رِبَاعٌ مِنَ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ لَمْ تَزَلْ غَنَى تَقْدِيمِ أَوْ فَسْكَ كَأَيُّ لَوْفِقٍ<sup>(٢)</sup>

ثم أخذ في مدحه بعد ذلك بضروب من المعاني ، وكذلك ورد قوله  
في قصيدته التي أولها : « مِيلُوا إِلَى الدَّارِ مِنْ كَيْلِي نُحْيِيهَا » فإنه وصف البركة  
فأبدع في أوصافها ، ثم خرج منها إلى مدح الخليفة المتوكل فقال :

كَأَنَّهَا حِينَ لَجَّتْ فِي تَدْفِيقِهَا يَدُ الْخَلِيفَةِ لَمَّا سَالَ وَاذِيهَا<sup>(٣)</sup>  
وأحسن ما وجدته له ، وهو مما تَلَطَّفَ فِيهِ كُلُّ التَّلَطُّفِ قَوْلُهُ فِي قَصِيدَتِهِ  
الَّتِي يمدح بها ابن بسنظام ومطلعها « نَصِيبُ عَيْنِيكَ مِنْ سَحَابٍ وَتَسْجَمٌ » فقال  
عند تحلصه إلى اللديح :

هَلِ الشَّبَابُ مُلِمٌّ بِي فَرَاغَةٌ أَيْامُهُ لِي فِي أَحْقَابِ أَيَّامٍ ؟  
لَوْ أَنَّهُ بَابِلُ عَمْرٍ يُجَاذِبُهُ إِذَا تَطَلَّبْتَهُ عِنْدَ ابْنِ بَسْطَامٍ<sup>(٤)</sup>

(١) من قصيدته في مدح صاعد بن مخلد ( الديوان ١/١٥٨ )  
في الأصل ( فقلك أزجيبها علة ما جد ) ولا معنى له ، و«ه» ( حتى تناخ ) والديوان  
أصوب .

(٢) تكملة المطلع : وبالوجد من قلبى بها التعلق ( الديوان ٢/١٢٢ ) والديوان  
( نسكا كما لمهق ) .

(٣) تكملة المطلع : نعم ونسألهما عن بعض أهلها ( الديوان ٢/٣١٨ ) .

(٤) لم نشر على الشعر ولا على البحتين في ديوانه . وقوله ( لو أنه بابل عمر ) فيه  
تحريف وغموض .

وهذا من الملائح في هذا الباب .

وله مواضع أخرى يسيرة بالنسبة إلى كثرة شعره .

وقال أبو العلاء محمد بن قائم المعروف بالغامبي<sup>(١)</sup> إن كتاب الله خال من التخلص . وهذا القول قاسد لأن حقيقة التخلص إنما هي الخروج من كلام إلى كلام آخر غيره بلطفية تلائم بين الكلام الذي خرج منه والكلام الذي خرج إليه ، وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة كالخروج من الوعد والذم والإنيابة والإنيابة بالبشارة بالجنة إلى أمر ونهي ووعد ووعد ، ومن محكم إلى منشبه ، ومن صفة لشيء مرسل وملك مُنزَل إلى ذم شيطان مريد وجبار عنيد ، بلطائف دقيقة ومعاني آخذ بعضها برقاب بعض .

فما جاء من التخلص في القرآن الكريم قوله تعالى وانزل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ؟ قالوا تهتدوا أصناما فنظّل لها عاكفين . قال هل بسمعونكم إذ تدعون أو ينفونكم أو يضرون ؟ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال أفرايتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإلههم عدو لي إلا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين ، والذي هو يطمئني ويستقيني ، وإذا مرضت فهو يشفيني ، والذي بيعتني ثم بثني ، والذي أطعني أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ، ربّ هب لي حكماً وألحني بالصالحين ، واجعل لي لسان صدق في الآخرين ، واجعلني من ورثة جنة النعيم ، واغفر لأبي إنه كان من الضالين ، ، ولا تخزني يوم يمتنون . يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وأزلفت الجنة للمتقين ، وبرزت الجحيم للقافرين ، وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون

(١) أبو العلاء محمد بن قائم ، كان من شعراء عصره وفضلائه ، وهو من شعراء نظام

للك ( الباب لابن الأثير ١٦٦/٣ ) .



من دون الله هل ينصرونكم أو يثبتصرون ، فكذبكروا فيهمام والعاون ،  
وجنود إبليس أجمعون ، قالواوم فيها يمتصمون ؕ والله إن كنا لفي ضلالٍ مبين ،  
إذ نسويكم رب العالمين ، وما أضلنا إلا الجرمون ، قالنا من شافعين  
ولا صديقٍ حميم ، فلو أن لنا كرةً ففكروا من المؤمنين « (١) » .

هذا كلام يُسبكر العقول ، وَيَسْحَرُ الأَبَاب ، وفيه كفاية لطالب البلاغة ،  
فإنه متى أنعم فيه نظره ، وتدرأ ثنائه وَمَطَاوِي حِكْمَتِهِ علم أن في ذلك غنى عن  
تصفح الكتب المؤلفة في هذا الفن ، ألا ترى ما أحسن ما رتب لإبراهيم عليه  
السلام كلامه مع المشركين حين سألهم أولاً عما يعبدون سؤال مقرر لا سؤال  
مستفهم ، ثم أُنحى على آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تنضر ولا تنفع ، ولا تُبصر  
ولا تسمع ، وعلى تقليد آباءهم الأقدمين فكسره ، وأخرجه من أن يكون  
شبهة فضلاً عن أن يكون حجة ، ثم أراد الخروج من ذلك إلى ذكر الإله الذي  
لا تجب العبادة لإلهه ، ولا يبغي الرجوع والإجابة إلا إليه ، فصور المسألة في  
نفسه دونهم بقوله: «فإنهم عدو لي» ، على معنى أنى فسرت في أمرى فرأيت عبادتى  
لها عبادة للعدو وهو الشيطان فاجتنبها ، وآزت عبادة من الخير كأه في يده ،  
وأوام بذلك أنها نصيحة ينصح بها نفسه ، لينظروا فيقولوا ما نصحننا إبراهيم  
إلا بما نصح به نفسه ، فيكون ذلك أدعى لهم إلى القبول لقوله ، وأبعث على  
الاستماع منه ، ولو قل فإنهم عدو لكم لم يكن بتلك الثابتة ، فتخلص عند تصويره  
المسألة في نفسه إلى ذكر الله تعالى ، فأجرى عليه تلك الصفات العظام من تفخيم

شأنه ، وتعدد نعمه ، من لَدُنْ خَلَقَهُ رَأْسَاهُ إِلَى حِينِ وِفَاتِهِ ، مع ما يُرَجَى فِي الآخِرَةِ مِنْ رَحْمَتِهِ ، لِيَعْلَمَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ مِنْ هَذِهِ صِفَاتِهِ حَقِيقٌ بِالْعِبَادَةِ ، وَاجِبٌ عَلَى الْخَلْقِ الْخُضُوعُ لَهُ وَالِاسْتِكَانَةُ لِعَظَمَتِهِ .

ثم خرج من ذلك إلى ما يلائمه ويناسبه ، فدعا الله بدعواتِ المخلصين ، وَابْتِهَالٍ إِلَيْهِ ابْتِهَالِ الْإِوَابِينِ ، لِأَنَّ الطَّالِبَ مِنْ مَوْلَاهُ إِذَا قَدِمَ قَبْلَ سُؤَالِهِ وَتَضَرَّعَ الْاعْتِرَافِ بِالنِّعْمَةِ كَانَ ذَلِكَ أَسْرَعَ لِلْإِجَابَةِ ، وَأَنْجَحَ لِحُصُولِ الطَّلِبَةِ .  
ثم أدرج في ضمن دعائه ذِكْرَ الْبَيْتِ ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَجَازَةَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ آمَنَ بِهِ وَاتَّقَاهُ بِالْجَنَّةِ وَمَنْ ضَلَّ مِنْ عِبَادِهِ بِالذَّارِ ، لِيُجْمَعَ بَيْنَ التَّرْغِيبِ فِي طَاعَتِهِ ، وَالتَّرْهيبِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ .

ثم سأل المشركين عما كانوا يعبدون سؤالا ثانيا عند معاينة الجزاء ، وهو سُؤَالُ مَوْضِعِ لَهْمِ مَسْتَهْزِئِهِ بِهِمْ ، وَذِكْرُ مَا يُدْفَنُونَ إِلَيْهِ عِنْدَ ذَلِكَ مِنَ النَّدَمِ وَالْحَسْرَةِ عَلَى مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الضَّلَالِ ، وَتَمَنَّى الْعُودَةَ لِيُؤْمِنُوا . . .

فانظر أيها المتأمل إلى هذا الكلام الشريف الآخذ ببعضه برقاب بعض ، مع احتوائه على ضروب من المعاني ، فَتَيَخَّلُّصُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا إِلَى الْآخِرِ بِطَائِفَةٍ مَلَأَتْهُ ، حَتَّى كَأَنَّهُ أَفْرِغَ فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ ، فَخَرَجَ مِنْ ذِكْرِ الْأَصْنَامِ وَتَنْفِيرِ أَبِيهِ وَقَوْمِهِ مِنْ عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهَا ، مع ما هي فيه من التَّعَرُّيِّ عَنْ صِفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ ، حَيْثُ لَا تَضَرُّوهُ وَلَا تَنْفَعُ ، وَلَا تَبْصُرُ وَلَا تَسْمَعُ ، إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَوْصَفَهُ بِصِفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ ، فَعَظَّمَ شَأْنَهُ ، وَوَدَّدَ رِزْمَهُ ، لِيَعْلَمَ بِذَلِكَ أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَصِحُّ إِلَّا لَهُ .  
ثم خرج من هذا إلى دعائه إِيَّاهُ وَخُضُوعَهُ لَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهُ إِلَى ذِكْرِ يَوْمِ

القيامه وثواب الله وعقابه ، فندبر هذه التخلصات الطيبة المودعة في أثناء هذا الكلام .

وفي القرآن مواضع كثيرة من التخلصات ، كالذي وَرَدَ في سورة الأعراف ، فإنه ذكر فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية من آدم إلى نوح عليهم السلام ، وكذلك إلى قصة موسى عليه السلام ، حتى انتهى إلى آخرها الذي هو :

﴿واختار موسى قومَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لمِيقَاتِنَا ، فلما أَخَذْتَهُم الرِّجْفَةَ قالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَايَاسِ ، أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ، إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ، أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ . واكتب لنا في هذه الدنيا حسنةً وفي الآخرة إنا هُذُنَا إِلَيْكَ ، قالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ ، وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ، وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُم فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ، يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيَعْلَمُ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ <sup>(١)</sup>﴾ .

هذا تخلص من التخلصات الحسان ، فإن الله تعالى ذكر الأنبياء والفرون

للاضية إلى عهد موسى عليه السلام ، فلما أراد ذكرنا صلوات الله عليه وسلامه ذكره بتخلص انتظم به بعض الكلام ببعض .

الآثرى أنه قال قال موسى عليه السلام « واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة » فأجيب بقوله تعالى قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين آمنوا من حالم كذا وكذا ، ومن صفتهم كيت وكيت ، وم الذي يتبعون الرسول النبي الأمي ، ثم وصفه صلوات الله عليه بصفاته إلى آخر الكلام .

ويا لله العجب كيف يزعم الغامبي أن القرآن خالٍ من التخلص ؟ ألم يكفه سورة يوسف عليه السلام ، فإنها قصة برأسها ، وهي مضمّنة شرح حاله مع إخوته من أوائل أسره إلى آخره ، وفيها عدّة تخلصات في الخروج من معنى إلى معنى ، وكذلك إلى آخرها .

ولو أخذت في ذكر مافي القرآن الكريم من هذا النوع لأطلت ، ومن أنعم نظره فيه وجد من ذلك أشياء كثيرة<sup>(١)</sup> .

وقد جاني من التخلصات في الكلام للنشور أشياء كثيرة ، وسأذكر هاهنا نبذة يسيرة منها ؛ فن ذلك ما أوردته في كتاب إلى بعض الإخوان أصف فيه الربيع ثم خرجت من ذلك إلى ذكر الأشواق فقلت « وكما أن هذه

---

(١) أورد الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن ٤٣/١ - ٥٥ دعوى الغامبي التي ذكرها ابن الأثير ، وذكر أمثلة من التخلص في القرآن الكريم ، بعضها ذكره ابن الأثير ، ونرجع أن الزركشي نقل من ابن الأثير لأن الزركشي توفي سنة ٧٩٤ وابن الأثير توفي سنة ٦٣٧ .

الأوصاف في شأنها بديعة ، فكذلك شوق في شأنه بديع ، غير أنه لجره فصل صيف وهذا فصل ربيع ، فأنا أمل أحاديثه العجيبة على النورى ، وقد عرفت حديث من قتله الشوق فلا أستغض حديث من قتله الهوى .

ومن هذا الأسلوب ما كتبه إلى بعض الإخوان أيضا وأرسلته إليه من بلاد الروم ، وهو كتاب يشتمل على وصف البرد وما لاقيته منه ، ثم خرجت من ذلك إلى ذكر الشوق فقلت « وما أشكوه من بردها أن الفرو لا يلبس إلا في شهر ناجر ، وهو قائم مقام الظل الذي يتبرّد به من لفتح المواجر ، ولقرط شدته لم أجد ما يخففه ، فضلا عما يذهب ، فإن النار للمدة له تطلب من الدفء أيضا ما أطلبه ، لكن وجدت نار أشواق أشدّ حرّاً ، فاصطليت بحمّرها التي لا تُذكّر كى بزناد ، ولا تؤلّ إلى رماد ، ولا يدفع البرد الوارد على الجسد بأشدّ من حرّ الفؤاد . غير أنى كنت في ذلك كن مدّ خلة بخلة ، واستشفي من هامة بطة ، وأقتل ما أعلك ماشفاك ، فاظنك بمن يصطلى نار الأشواق . وقد قنع من أخيه بالأوراق ، فضنّ عليه بالأوراق » .

ومما ينتظم في هذا العقد ما ذكرته في مفتتح كتاب يتضمن عنابة ببعض للتظلمين فاستطردت فيه إلى ذكر المكتوب إليه وهو « هدايا السكارم أنفس من هدايا الأموال ، وأبقى على تعاقب الأيام والليال ، وقد حل هذا الكتاب منها هدية نورث خدأ ، وتكسب مجدأ ، وهى خير توابا وخير مرّدا ، ولا يسير بها الاستحجية طبع على الكرم ، وخيقت من عنصير الدميم ، كسجية مولانا أعلاه الله هلو تفخر به الأرض على السماء ، وتحسده شمس النهار ونجوم الظلماء ، ولازالت أبادية نخجلة صوب الغمام ، معدية على نوب الأيام ، مغنية بشرف فضلها على شرف الأخوال والأهمام . وتلك الهدية هى تجديد الشفاعة في أمر

فلان ، ومن إيمان المرء سعيه في حاجة أخيه ، وإن لم يمس به شيء أسباب أو أخيه .  
فإن المؤمن إخوة وإن تباينت مناسبتهم ، وتفاوتت مراتبهم ، ومن صفاتهم أن  
يسمى بذمتهم أدنام ، وخيرهم من عناه من الأمر ما عناه . ثم مضيت على  
هذا النهج إلى آخر الكتاب .

ومن ذلك ما كتبه من كتاب إلى صديق استحدثت مودته ، وهو من  
أهل العراق وكنت اجتمعت به بالموصل ، ثم سار عني فكتبت إليه أسند به  
رطباً ، فقلت « هذه المسكانية ناطقة بلسان الشوق الذي تزف كليمه زفيف  
الأوراق ، وتسجع سجع ذوات الأطواق ، وتهف وهي مقيمة بالموصل  
فدسج من هو مقيم بالعراق ، وأبرح الشوق ما كان عن فراق غير بعيد ،  
وود استجدت حلتة ، واللذة مقترنة بكل شيء جديد . وأرجو ألا يبلى قدم  
الأيام لهذه الجدة لباساً ، وأن يعاذ في نظرة الجن والإنس حتى لا يخشى جنة  
ولا لباس . وقد قيل إن للمودات طعماً ، كما أن لها ونماً ، وأن ذا اللب يصادق نفساً  
قبل أن يصادق جسماً . وإني لأجد لمودة سيدنا حلاوة يستلذ دوامها ، وقد  
أذكر أنني الآن بحلاوة الرطب الذي هو من أرضها ، وغير عجيب لمناسبة  
الأشياء أن يذكّر بعضها ببعضها ، إلا أن هذه الحلاوة تنال بالأفواه ، وتلك  
تنال بالأسرار ، وفرق بين ما يُفتَرَسُ بالأرض وما يُفتَرَسُ بالقلب في  
شرف الثمار ، فلا ينظر سيدنا على في هذا التمثيل ، وربما كان ذلك تعريضاً  
ينوب مناب التطفيل . »

وهذا من التخلصات البديعة ، فانظر أيها المتأمل كيف سقت الكلام  
إلى استمداء الرطب ، وجملت بعضه آخذاً برقاب بعض ، حتى كأنه أفرغ  
في قالب واحد ، وكذلك فليكن التخلص من معنى إلى معنى .  
وهذا القدر من الأمانة كاف للتعلم .

ومما استظرف من هذا النوع في الشعر قول ( ابن الزمكرم )<sup>(١)</sup>  
الموصلى وهو :

وإبل كوجّه البرقعيدى مظلمٍ      ورزد أغانيه وطول قرونه  
سريت ونوى فيه يوم مشردٍ      كعقل سليمان بن فهيد ودينه  
على أوتقٍ فيه التفات كأنه      أبو جابر في خبطه وجنونه<sup>(٢)</sup>  
إلى أن بدا ضوء الصباح كأنه      سنا وجه قرواش وضوء جبينه<sup>(٣)</sup>

وهذه الأبيات لها حكاية ، وذلك أن هذا الممدوح وهو شرف الدولة قرواش  
ملك العرب وكان صاحب الموصل ، فاتفق أنه كان جالسا مع ندمائه في ليلة من  
ليالي الشتاء وفي جلستهم هؤلاء الذين هجاء الشاعر ، وكان البرقعيدى مغنيا

(١) ذكر ياقوت هذه الأبيات غير منسوبة إلى قائمها ( مادة برقعيد ) .

ورجعنا إلى كثير من كتب الأدب ، لعلمنا نهتدى إلى تصويب اسم القائل ( ابن  
الزمكرم ) كما ذكره المؤلف ، فلم نثر على ضالتنا . ثم رجعنا إلى الكامل في التاريخ لابن  
الأثير ، وتعقبنا كل ما ذكر عن قرواش الذي جاء ذكره في الأبيات ، فوجدناه يذكر  
أن الشاعر اسمه ابن الزمكرم ( الكامل لابن الأثير ٣٠٨/٧ ) أما فوات الوفيات لابن شاكر  
٢٦٥/٢ فهو يذكر الأبيات منسوبة لطاهر الجزرى .

(٢) أولق : الولق : الناقة السريعة ، والأولق : الجنون وشبهه ، وامله ذكر  
( الأولق ) مريدا به التذكير ليدل به على الجمل السريع ، وإن كانت اللغة لا تطاوعه  
في هذا .

(٣) البرقعيدى : منسوب إلى برقعيد ، بلد من أعمال الموصل ، منه بنو حمدان النغليون  
سيف الدلة وأهله . والأبيات في هجاء سليمان بن فهيد الموصل ومدح قرواش ابن المقلد  
أمير بني عقيل ، مع تغيير يسير ( معجم البلدان مادة برقعيد ) .

والأبيات في الكامل لابن الأثير ٣٠٨/٧ كما هي ، عدا ظلمة بدلا من مظلم . وهي  
كما قال في قرواش وابن فهيد والبرقعيدى وأبي جابر ، وقد أجمع أهل البيان على أنها غاية في  
الجودة ، لم يقل أحد خيرا منها في معناها .

وقدمت قرواش أو قتل سنة ٤٤٤ ( فوات الوفيات ٢٦٥/٢ ) ،

أو سنة ٤٤٢ ( البداية والنهاية ١٢/٦٢ ) .

وسليان بن فهد وزيراً ، وأبو جابر حاجباً ، فالتمس شرف الدولة من هذا الشاعر أن يهجوهم المذكورين ويمدحه ، فأنشد هذه الأبيات ارتجالاً ، وهي غريبة في بابها لم يستمع بمثالها ، ولم يرَ ضَاقَئِها صناعة التناص وحادها حتى رَقِيَ في معانيه للقصودة إلى أعلى منزلة ، فابتدأ البيت الأول بهجو البرقيدي ، فجاءه في ضمن مراده ذِكْرُ أوصاف ليل الشتاء جميعها ، وهي الظلمة والبرد والطول ، ثم إن هذه الأوصاف الثلاثة جاءت ملائمة لما شُبِّهَتْ به مطابفةً له ، وكذلك البيت الثاني والثالث ، ثم خرج إلى المديح بالطف وجه وأدق صنعة ، وهذا يسمى الاستطراد ، وما سمعت في هذا الباب بأحسن من هذه الأبيات .

وما يجرى على هذا الأسلوب ماورد لابن الحجاج البغدادي وهي أبيات لطيفة جداً :

ألا ياماه دِجَلَةٌ لستُ أدري      بأنى حاسدٌ لك طول عمري  
ولو أنى استطلعت سَكِرَتْ سُكْرًا      عليك فلم تكن ياماه تجرى  
فقال الماء : ما هذا عجيبٌ      بما استوجبهُ ياليت شعري  
قلت له : لأنك كلَّ يومٍ      تَمُرُّ على أبي الفضل بن بشر  
تراه ولا أراه وذاك شيء      يَضِيقُ عن احتمالك فيه صبري<sup>(١)</sup>

وما علمت معنى في هذا القصد الطف ولا أرق ولا أعذب ولا أحلى من هذا اللفظ ، ويكفي ابن الحجاج من الفضيلة أن يكون له مثل هذه الأبيات .

(١) معاهد التنصيص ٢٥٣/٤ وفيه البيت الثالث هكذا :

فقال الماء قل لي كل هذا بم استوجبه ياليت شعري

وفي البيت الأخير كلمة صدرى بدلا من صبري .



ولا تظن أن هذا شيء انفرد به المحدثون لما عندهم من الرقة واللطافة ،  
وقات من تقدمهم لما عندهم من قسفت العيش وغلظ الطبع ، بل قد تقدم أولئك  
إلى هذا الأسلوب وإن أقلوا منه وأكثر منه المحدثون ، وأى من من محاسن  
البلاغة والفصاحة لم يسبقوا إليه ؟ وكيف لا وهم أعلم ومنهم أعلم وعندهم أخذ ؟

فإن ذلك ما جاء للفردق وهو :

ورَكِي كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عِنْدَهُم      لَهَا بَرَّةٌ مِنْ جَذَمِهَا بِالْمَحَابِ  
تَمَرَوْا يَخْبِطُونَ اللَّيْلَ وَهِيَ تُلْفَسُهُمْ      عَلَى شُعْبِ الْأَكْوَادِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ  
إِذَا مَا رَأَوْا نَارًا يَقُولُونَ لَيْتَهَا      وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيَهُمْ نَارٌ غَالِبٌ (١)

فانظر إلى هذا الاستطراد ما أغلغ وأخفه .

واعلم أنه قد يقصد الشاعر التخلص فيأني به قبيحا ، كما فعل أبو الطيب المتنبي  
في قصيدته التي أولها [ مَلِكٌ الْقَطْرِ أَعْطَشَهَا رُبُوعًا ] فقال عند الخروج من  
الغزل إلى المدح :

غدا بك كل خِلْوٍ مُسْتَمَامَا      وَأَصْبَحَ كُلُّ مَسْتَوِرٍ خَلِيْعًا  
أحبك أو يقولوا جِرًّا نَمَلٌ      سَمِيرًا وَابْنِ إِبْرَاهِيمَ رَيْعًا (٢)

(١) الديوان ٣٠/١ وكان البيت الأول بالأصل ( عندما ، لها قوة ) والبيت الثاني  
( بخبطون ) أما البيت الثالث فقد كات بالأصل ( إذا آنسوا ) وهي رواية معاهد التنصيص  
وفي الأغاني ( إذا استوضحوا ) .

(٢) الديوان ٤٢٧/٢ في مدح علي بن إبراهيم التنوخي . ملك القطر : المطر الدائم .  
الخلو : الخالي من الهوى : المدهام : التذهب اللب من الهوى . الخليع : الذي ترك المياه  
وتهتك في الهوى . أو يقولوا : إلى أنت يقولوا . نير : جبل بالحجاز . ريع : أخيف . ابن  
إبراهيم . هو علي المدوح .

هذا تخلص كما تراه وارد ليس عليه من مسحة الجمال شيء ، وما هنا يكون  
الاقتضاب أحسن من التخلص .

فينبغي لسالك هذه الطرق أن ينظر إلى ما يصوغه ، فإن واتاه التخلص حسفا  
كأينبغي ، وإلا فليدعه ولا يستكرهه حتى يكون مثل هذا كما فعل أبو الطيب .  
ولهذا نظائر وأشباه ، وقد استعمل ذلك في موضع آخر في قصيدته التي أولها :

« أَحْيَا وَأَيَسْرُ مَا قَاسَيْتُ مَا قَتَلَا » فقال :

عَلَّ الْأَمِيرَ بَرَى ذُلِّي فَيَشْفَعُ لِي إِلَى الَّتِي تَرَكْتَنِي فِي الْمَوَى مَثَلًا<sup>(١)</sup>  
وَالْإِضْرَابَ عَنِ مِثْلِ هَذَا التَّخْلِصِ خَيْرٌ مِنْ ذِكْرِهِ ، وَمَا أَلْقَاهُ فِي الْهَوَى  
إِلَّا أَبُو نَوَاسٍ فَإِنَّهُ قَالَ :

سَأَشْكُو إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ هَوَاكَ لَعَلَّ الْفَضْلَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا<sup>(٢)</sup>  
عَلَى أَنْ أَبَا نَوَاسٍ أَخَذَ ذَلِكَ مِنْ قَيْسِ بْنِ ذَرْبِجٍ ، لَسَكَنَهُ أَفْسَدُهُ وَلَمْ يَأْتِ  
بِهِ كَمَا أَنَّى بِهِ قَيْسٌ ، وَلِذَلِكَ حِكَايَةٌ وَهُوَ أَنَّهُ لَمَّا هَامَ بُلْبُنَى فِي كُلِّ وَادٍ وَجُنَّ بِهَا  
رَقَ لَهُ النَّاسُ وَرَحِمُوهُ ، فَسَى لَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ إِلَى أَنْ طَلَقَهَا مِنْ زَوْجِهَا وَأَعَادَهَا  
إِلَى قَيْسٍ ، فَزَوْجَهَا إِيَّاهُ ، فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ :

جَزَى الرَّحْمَنُ أَفْضَلَ مَا يُجَازِي عَلَى الْإِحْسَانِ خَيْرًا مِنْ صَدِيقِ  
فَقَدْ جَرَّبْتُ إِخْوَانِي جَمِيعًا فَمَا أَلْنَيْتُ كَانِ أَيْ عَتِيقِ  
سَعَى فِي جَمْعِ شَبْلِي بَعْدَ صَدْعِ وَرَأْيِي حِدْتُ فِيهِ عَنِ طَرِيقِ  
وَأَطْفَا لَوْهَةً كَانَتْ بِقَلْبِي أَغْصَنِي حَرَارَتُهَا بَرِيقِي<sup>(٣)</sup>

(١) الديوان ٣/٣٥٢ في مدح سعيد بن عبد الله بن الحسن الكلابي النجفي .

(٢) الديوان ٤٧٤ .

(٣) الأغاني ٨/١٢٩ كان في الأصل ( وقد جربت ) و ( رأى حرت )

وبين هذا الكلام وبين كلام أبي نواس بَوْنٌ بعيد ، وقد حكى عن ابن أبي عتيق أنه قال : يا حبيبي أميكُ عن هذا اللديح ، فما يسمعه أحد إلا ظنني قوادا .

[نار فتنضاب]

وأما الانتضاب فهو الذي أشرنا إليه في صدر هذا النوع ، وهو قطع الكلام واستئناف كلام آخر غيره بلا علاقة تكون بينه وبينه .

فمن ذلك ما يقرب من التخالص وهو فصل الخطاب ، والذي أجمع عليه المحققون من علماء البيان أنه أما بعد ، لأن المتكلم يفتتح كلامه في كل أمر ذي شأن بذكر الله وتحميده ، فإذا أراد أن يخرج إلى الغرض للسوق إليه فصل بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله أما بعد .

ومن الفصل الذي هو أخص من الوصل لقطعة هذا ، وهي علاقة وكيدة بين الخروج من كلام إلى كلام آخر غيره كقوله تعالى : ﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسماعيل ويعقوب أولى الأيد والأبصار ، إنا أخالصنام بمخالصة ذكرى الدار ولما هم عندنا لمن اصطفين الأخيار ، واذكر إسماعيل واليسع وذالكفضل وكل من الأخيار ، هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب ، جنات عدن مفتحة لهم الأبواب <sup>(١)</sup> ﴾ .

الأتري إلى ما ذكرته قبل (هذا) ؟ ذكر من ذكر من الأنبياء عليهم السلام ، وأراد أن يذكر على عقبه بابا آخر غيره وهو ذكر الجنة وأهلها ، فقال « هذا ذكر » ثم قال « وإن للمتقين لحسن مآب » ثم لما أتم ذكر أهل الجنة وأراد

أن يعقبه بذكر أهل النار قال « هذا وإن للطاغين شرّ مآب » وذلك من فصل الخطاب الذي هو أطف موقفا من التخاص .

وقد وردت لفظة هذا في الشعر ، إلا أن ورودها فيه قليل بالنسبة إلى الكلام المنشور ، فن ذلك قول الشاعر المعروف بالخباز البلدي<sup>(١)</sup> في قصيدة أولها .  
« العيش غَضٌّ والزمان فريرٌ » .

إني ليمجبنى الزمنا في سحرةٍ      ويروق لي بالجاشرية زير<sup>(٢)</sup>  
وأكاد من فرح السرور إذا بدا      ضوء الصباح من الستور أطير  
وإذا رأيتُ الجوّ في فضيةٍ      لغنيم في جنباتها نكسر  
مفوشة صدرَ البزاة كأنه      فيروزجٌ قد زانه بلور  
نادت ب اللذات ويحك فأنهز      فرصَ المني يا أيها المغرور  
رمل بي إلى جور السقا فإني      أهوى سقا الكأس حين تجور  
هذا وكم لي بالجنة سكرة      أنا من بقايا شرّها مخور  
باكرتها وغصونها مفزورة      والماء بين مرزها<sup>(٣)</sup> مذعور  
في صتة : أناد والنديم وقينة      والكأس والمزمار والأطنبور

(١) من بلدة يقال لها بلد من بلاد الجزائر التي فيها الموصل . اسمه أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان . وكان أميا ، وشعره كله ملح وتحف وطرف ، ولا تغلو مقطوعة له من معنى حسن أو مثل سائر ( بقيمة الدهر ٢ / ٢٠٨ ) .

(٢) الجاشرية : شرب مع الصبح ، وهي أيضا السحر . الزر : وترن : أوتار العود .

(٣) المرز بالفتح الجباس الذي يخبس الماء ، فارسي معرب ( هامش القاموس مادة مرز ) والمرز جمع مرز ، يريد أن الأخصان متشابكة تحبس الماء . مفزورة : أصابها مطر غزير أو ماء كثير .

هذه الأبيات حسنة وخروجها من شدق هذا الرجل الخباز عجيب ، ولو  
جاءت في شعر أبي نواس لثارت ديوانه .

والاقتضاب الوارد في الشعر كثير لا يحصى ، والتخلص بالنسبة إليه قطرة  
من بحر ، ولا يكاد يوجد التخلص في شعر الشاعر الجيد الا قليلا بالنسبة إلى  
للقتضب من شعره .

فن الاقتضاب قولُ أبي نواس في قصيدته النونية التي أولها .

« يا كثير النوح في الدِّمَنِ »

وهذه القصيدة هي عين شعره ، والملاحاة للعيون ، وهي تنزل منه منزلة  
الألف لامنزلة النون ، إلا أنه لم يكتمل حسنها بالتخلص من الفزن إلى المديح ،  
بل اقتضبه اقتضابا ، فبينما هو يصف الخمر ويقول :

قَاتِبِنِي كَأَمِيَا عَلَى عَدَلٍ كَرِهَتْ مَسْمُوعَهُ أَدْنَى  
مَنْ كُتِبَتْ لَوْنٌ صَافِيَةٌ خَيْرٌ مَا سَلَسَلَتْ فِي بَدَنِي  
مَا اسْتَقَرَّتْ فِي فَوَادِ فَنِي فَذَرَى مَا لَوْعَةُ الْحَزَنِ  
حتى قال .

تضحك الدنيا إلى مَلِكٍ قَامَ بِالْأَثَارِ وَالسُّنَنِ  
سَنَ لِلنَّاسِ النَّدَى فَذَدُوا فَكَأَنَّ الْبَخْلَ لَمْ يَسْكُنْ (١)  
فأكثر مدائح أبي نواس مقتضبة هكذا ، والتخلص غير ممكن في كل  
الأحوال ، وهو من مستصعبات علم البيان .

ومن هذا الباب الذي نحن بصدد ذكره قول البحترى في قصيدته المشهورة  
بالجوذة التي مدح بها الفتح بن خافان وذكر لقاءه الأسد وقتله إياه ، وأولها

(١) الديوان ٤١٢ ومطلعا :

يا كثير النوح في الدمن لا عليها بل على السكن

« أجدك ما يفك بسرى لزينا »

وهي من أمهات شعره ، ومع ذلك لم يوفق فيها للتخلص من الغزل إلى المديح ، فإنه يبينا هوفي تنزله وهو يقول :

هبدنك إن منيت منيت موعدا جهاماً وإن أرتت خلبا  
وكنت أرى أن الصدود الذي مضي دلال فما إن كان إلا تبئبا  
فوا أسفا حتام أزال مانا وآمن خوافا وأعتب مذبنا ؟

حقى قال في أثر ذلك :

أقول لركب معتقين تدرعوا على عجل قطعاً من الليل قفياً  
ردوا نائل الفتح بن خاقان إنه أعم ندى فوسم وأبسر مطلباً<sup>(١)</sup>

فخرج إلى المديح بنهد وصلة ولاسبب .

وكذلك قوله في قصيدته المشهورة بالجودة التي مدح بها ابن خاقان أيضا ، وذكر نجاته عند انخساف الجسزبه وقد أغرب فيها كل الإغراب ، وأحسن كل الإحسان ، وأولها ( متى لاح برق بداطلل قفر ) :

فبيناهو في غزلها حقى قال :

لعمرك ما الدنيا بنا قصة الجدى إذا بقى الفتح بين خاقان والقطر<sup>(٢)</sup>  
نخرج إلى المديح مقتضبا له متعلقا به ، وأمثال هذا في شعره كثير .

(١) الديوان ٥٥/١ وفي الديوان ( علمتك إن منيت ) و ( أقرب مطلباً ) .

(٢) الديوان ٢١٧/١ ومطلع النصيدة .

متى لاح برق أو بدا طلل قفر جرى مستهل الدمع لا بكى ولا نزر

## النوع الرابع والعشرون في التماسب بين المعاني

ويقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول في المطابقة، وهذا النوع يسمّى "البديع" أيضا ، وهو في المعاني ضدّ التجنيس في الألفاظ ، لأنّ التجنيس هو أن يتحد اللفظ مع اختلاف المعنى ، وهذا هو أن يكون المعنيان ضدّين

وقد أجمع أرباب هذه الصناعة على أن المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده ، كالسواد والبياض والليل والنهار ، وخالفهم في ذلك قدامة بن جعفر الكاتب ، فقال : المطابقة إيراد لفظين متساويين في البناء والصيغة مختلفين في المعنى . وهذا الذي ذكره هو التجنيس بعينه ، غير أن الأسماء لامشاحة فيها إلا إذا كانت مشتقة .

ولننظر نحن في ذلك وهو أن نكشف عن أصل المطابقة في وضع اللفظ ، وقد وجدنا الطَّباق في اللغة من طابق البعيرُ في سيره إذا وضع رجله موضع يده ، وهذا يؤيد ما ذكره قدامة ، لأن اليد غير الرجل لا ضدّها ، والموضع الذي يقعان فيه واحد ، وكذلك المعنيان يكونان مختلفين واللفظ الذي يجمعهما واحد ، فقدامة سمي هذا النوع من الكلام مطابقا حيث كان الاسم مشتقا مما سُمي به ، وذلك مناسب وواقع في موقعه ، إلا أنه جعل للتجنيس اسما آخر وهو المطابقة ، ولا بأس به إلا إن كان مثله بالضدين كالسواد والبياض ، فإنه يكون قد خالف الأصل الذي أصله بالمثل الذي مثله (١) .

(١) ذكر قدامة أن الناس يضعون من صفات الشعر المطابق والمجانس ، وهما داخلان في باب ائتلاف اللفظ والمعنى . ومعناها أن تكون في الشعر معان متفارقة قد اشتركت في لفظه =

وأما غيره من أرباب هذه الصناعة فإنهم سموا هذا الضرب من الكلام مطابقة لغير اشتقاق ولا مناسبة بينه وبين مُسمّاه ، هذا الظاهر لنا من هذا القول ، إلا أن يكونوا قد علموا لذلك مناسبة لطيفة لم نعلمها نحن .

وانرجع إلى ذكر هذا القسم من التأليف وإيضاح حقيقته فنقول : الأليق من حيث المعنى أن يُسمى هذا النوع المقابلة ، لأنه لا يخلو الحال فيه من وجهين ، إما أن يقابل الشيء بضده ، أو يقابل بما ليس بضده ، وليس لنا وجه ثالث ، فأما الأول وهو مقابلة الشيء بضده كالسواد والبياض وما جرى مجراها فإنه ينقسم قسمين : أحدهما مقابلة في اللفظ والمعنى ، والآخر مقابلة في المعنى دون اللفظ .

### ( المقابلة في اللفظ والمعنى )

أما المقابلة في اللفظ والمعنى فكقوله تعالى « فَليَضْحَكُوا قليلاً وليَبْكُوا كثيراً<sup>(١)</sup> » فقابل بين الضحك والبكاء والتليل والكثير .

وكذلك قوله تعالى « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم<sup>(٢)</sup> » وهذا أحسن ما يجيء في هذا الباب .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير المال عين ساهرة لعين نائمة .

---

== واحدة وألفاظ متجانسة مشتقة . ثم حرف (المطابق) بأنه ما يشترك في لفظه واحدة بعينها ، وحرف (المجانس) بأن تكون المعاني اشتراكها في اللفظ متجانسة على جهة الاشتقاق ( قد الشعر ٩٢ طبعة برل . ليدن ) .

وقد سبق الآدمي ابن الأثير إلى نقد قدامة في تصرفه في المصطلحات ، قال الآدمي : وهذا باب — أعني المطابق — لقبه قدامة ( المتكافئ ) وسمى ضرباً من التجانس (المطابق) وما علمت أن أحد فعل هذا غيره ... ولم أكن أحب له أن يخالف من تقدمه مثل عبداقة ابن المعتز وغيره ممن تكلم في هذه الأنواع وألف فيها ( الموازنة بين أبي تمام والبحتري ١ / ٢٧٥ طبعة دار المعارف ) .

(١) التوبة ٨٢ .

(٢) الحديد ٢٣ .



ومن الحسن المطبوع الذى ليس بمتكاف قول على رضى الله عنه لعثمان رضى الله عنه : « إن الحق ثقيل مرى ، والباطل خفيف ورسى ، وأنت رجل إن صدقت سيخطت ، وإن كذبت رخصت » فقابل الحق بالباطل ، والثقل المرى بالخفيف الويس ، والصدق بالكذب ، والسخط بالرضا ، وهذه خمس مقابلات فى هذه الكلمات الفصار .

وكذلك ورد قوله رضى الله عنه : « لما قال الخوارج لاحكمم إلا لله تعالى : « هذه كلمة حق أريد بها باطل » . وقال الحجاج بن يوسف لسعيد بن جبير رضى الله عنه وقد أحضره بين يديه ليقتله ، فقال له ما اسمك ؟ قال سعيد بن جبير ؟ قال ، بل أنت شقى بن كسير . وقد كان الحجاج من الفصحاء المدودين ، وفى كلامه هذا مطابقة حسنة ، فإنه نقل الاسمين إلى ضدّهما ، فقال فى سعيد شقى وفى جبير كسير .

وهذا النوع من الكلام لم يختص به اللغة العربية دون غيرها من اللغات . وما وجدته فى لغة الفرس أنه لما مات قباد أحد ملوكهم قال وزيره : « حَرَ كْنَا بِسْكُونِهِ » .

وأوّل كتاب الفصول لأبقرراط فى الطب قوله : العمر قصير والصناعة طويلة . وهذا الكتاب على لغة اليونان .

ومن كلامى فى هذا الباب ما كتبه فى صدر مکتوب إلى بعض الإخوان وهو : « صدر هذا الكتاب عن قلب تيمير ، وجسد سائر ، وصبر ملهم ، وجزع هذر ، وخاطراً دهشته لوعة الفراق فليس بخاطر » .

وكذلك كتبت إلى بعض الإخوان أيضاً قلت : « صدر هذا الكتاب عن قلب مأنوس باقائه ، وطرف مستوحش لقراءته ، نهذا مروّع بكآباً إظلامه ، وهذا ممتع بهجة إشراقه ، غير أن لقاء القلوب لقاء عنييت بمنله خواطر ( م - ١٠ المثل السائر )

الأفكار ، وتتفاجى به وراء الأستار ، وذلك أخو الطيفِ الممّ في المنام ، القدى  
يومه بقاء الأرواح على لقاء الأجسام .

ومن هذا النوع ما ذكرته في كتاب أصف المسير من دمشق إلى الموصل  
عن طريق المناظر فقلت في جملة : « ثم نزلت أرض الخابور ففرّبت الأرواح  
وشرفت الجسم ، وحصل الإعدام من المسارِ والإيزال من الهوم ، وطالبتني  
النفس بالعود والقدرة مفلسة ، وأويت إلى ظل الآمال والآمال مُشمسة » .

ومن ذلك ما ذكرته في جملة كتاب إلى بعض الإخوان وعرضت فيه  
بذكر جماعة من أهل الأدب فقلت : « وهم مسئولون الأينسونى في نادى فضلهم  
الذى هو منبع الآمال وماتقط اللآل ، فوجوه أفاضه مشرقة بأيدى الأفلام  
المتسودة ، وقلوب معانيه مستنبطة بنار الخواطر المتوقفة ، والواغل إليه  
بشكر من خمرته التى تنبه العقول من إغفائها ، ولا يشعر بها أحدٌ غير أكتافها »  
وهذه الفصول المذكورة لاختفاء بما تضمنته من محاسن المقابلة .

ومما ورد من هذا النوع شعراً قول جرير :

وأعور من نبيهان أمّا نهاره فأعمى وأما آيله فبصير<sup>(١)</sup>

وكذلك ورد قول الفرزدق :

قبّح الإله بنى كليبٍ إنهم لا يغيرون ولا يقون لجار

يستيقظون إلى نهيقي حارم وتنام أعينهم عن الأوتار<sup>(٢)</sup>

فقابل بين العذر والوفاء ، وبين التيقظ والنوم ، وفي البيت الأول معنى

يسأل عنه .

(١) من قصيدته في هجاء أعور نيهان ( الديوان ٢٦٤ ) يريد أنه في النهار أعمى عن  
الأميرات ، وفي الليل يصير بالسيئات .

(٢) ديوان الفرزدق ٤٤٨ / ٢ في هجائه لجرير من قصيدة مطلعها :  
يا بن المرافعة إنما جاريتي بمسبقين لدى الفعال قصار  
كان بالأصل ( بجمار ) .

وكذلك ورد قول بعضهم :

فلا الجودُ يُبقي للمالَ والجدُّ مقبلٌ ولا البخلُ يُبقي للمالَ والجدُّ مُدبرٌ  
وقد أكثر أبو تمام من هذا في شعره فأحسن في موضع وأساء في موضع ،  
فإن إحسانه قوله :

ما إن ترى الأحسابَ بيضاً وضجاً إلا بحيث ترى المفايا سودا  
وكذلك قال من هذه القصيدة أيضا :

شرفٌ على أولى الزمانِ وإنما خالقُ المناسِبِ أن يكونَ جديداً<sup>(١)</sup>  
وعلى هذا المنهج ورد قوله :

إذا كانت النعمى سلوباً من امرى غدت من خليجى كنهه وهى مُتبعِ  
وإن عثرت سودُ الليالى وبيضا بوحدته أُميتها وهى مجتمِعُ  
ويوم يظل العزُّ يُحفظُ وسطه بضميرِ العوالى والنفوسُ تُضيعُ  
بصيفٍ من الهيجا ومن حاجمِ الوغى ولكنه من وابلِ الدمِ مربعِ<sup>(٢)</sup>  
ومن هذا الأسلوب قوله أيضاً :

تقرب الشمة القُصوى إذا أخذت إذا تظلمت من أرض فصلتُ بها  
كأنها هى العزُّ إلا أنها ذُلُّ

(١) من قصيدته في مدح خالد بن يزيد بن يزيد الشيبانى ، ومطلعهما :

طلل الجميع لقد هفوت حميدا وكفى على رزنى بذاك شهيدا

(الديوان ١/٤١٠) كان في الأصل (سوف) بدلا من شرف، يريد أن ما كان حديثا جديدا كان خلقا لا يتفكر فيه

(٢) من قصيدته في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف الثغرى (الديوان ٢/٣٩٧) كان في الأصل (وهو تبع) و (هيجاء) و (حاجم) ، السلوب : التى سلب منها ولدتها . المتبع التى يتبعها ولدها . خليجى كفه المراد الكف الواحدة . يقول : إذا كانت النعمة من نعم واحدة فإن نعمة هذا المدح يتبعها غيرها من النعم . بصيف من الهيجا : هذا اليوم بصيف من حرب الحرب . مربع : مجتمع .

الدُرُضِيَّاتُكَ مَا أُرْتَمَتْ آتَقَهَا وَالْمَادِيَّاتُكَ وَهِيَ الشَّرْدُ الضَّلُّ (١)  
وعلى هذا النحو ورد قوله :

وفاضرة الصَّبَا حين استَبَكْرَتْ طِلَاعَ المِرْطِ والدِرْعَ اليَدِيَّ  
تَشَكَّى الأَيْنَ من نِصْفِ مَرِيحٍ إِذَا قَامَتْ وَمِنْ نِصْفِ بَطْنِ (٢)

وقد جاء لأب نواسٍ ذلك فقال :  
أقلنى قد نَدِمْتُ على الذنوب والإقرار عُدْتُ من الجحود  
أنا استهديت عفوك من قريب كما استعميتُ صخاطك من بعيد (٣)

فقابل بين الأضداد من الجحود والإقرار والعمى والسخط والقرب والبعد .  
وعلى نحو من ذلك ورد قول علي بن جبلة في أبي دافع البجلي (٤) وهو :

أَيْمُ المَهْيِرِ ونِكَاحُ الأَيْمِ يَوْمَكَ يَوْمَ أبُو سِ وَأَنْعُمُ  
وَجَمْعُ نَجْدٍ وَنَدَى مَقْسَمِ  
وكذلك قوله أيضا :

هو الأمل المبسوط والأجل الذي يُبرءُ على أيامه الدهر أو يَخْلُو

(١) من مقطوعة يصف فيها شدة البرد بخراسان ويصف الإبل (الديوان ٣٦٠)  
والبيت الأخير بالديوان قبل الأول . والتي بالديوان (وهي الرشد والضلل) والإرقان والرمل  
ضربان من السير . ذلل : مطيعة منقادة .

(٢) من قصيدته في مدح الحسن بن وهب (الديوان ٣ / ٣٥١) .

استبكرت : تم شبابها . طلاع المرط : ماؤه يعني مرط المرأة .

اليدي : الواسم ، ويروي اليدي بالياء وهو البديع المجيب .

نصف سريم : يريد خصرها الرقيق . نصف بطيء يريد ردفها الثقيل

(٣) الديوان ٤٥٣ وليس البيت الثاني به ، وبعد البيت الأول :

وإن تصفح فأحسان جديد سبقت به إلى شكر جديد

(٤) يعرف علي بن جبلة بالمشكوك ، كان مداحا مجيدا ووصافا بارعا ، وكان ضريرا ،

مدح المأمون وحيد بن عبد الحميد الطوسي وأكثر من مدح أبي دافع وأجاد ومدح غير

هؤلاء (طبقات الشعراء لابن المعتز ١٧٠ والشعر والشعراء ٥٥٠ وتاريخ بغداد ٣٥٩/١١

وشذرات الذهب ٣٠/٢) .

ولا تحسُن الأيام ففعلُ فَعَلَهُ وإن كان في نصر ينفها التَّنْقِضُ والفعل  
فِعْشٌ واحداً أما الشَّراءُ فمُسَلَّمٌ مُبَاحٌ وأما الجار فهو حَتَّى بِسَلْ  
وعما جاء من هذا القسم قول البحرى :

أحسنَ اللهُ في ثوابك عن قَسْرٍ مضاع أحسنتَ فيه البلاء  
كان مستتمعا قَعَزٌ وَخَرَوُ مَا فَأَجْدَى وَمُظْلِمًا فَأَضَاءُ (١)  
ومن أحسن ما ورد له في هذا الباب قوله :

أشكو إليك أناملًا ما تنطوى بخلا وإملافا تُقصِّمها لليد  
أرضيهم قولاً ولا يرضونى فعلاً وتلك قضية لا تُقصدُ  
فأدُمُ منهم ما يَدُمُ ورءى صاحتهم فحمدتُ مالا يُحمدُ (٢)  
وعلى هذا النهج ورد قوله :

وتوقى منك الإساءة جاهداً والعيدك أن أتوقع الإحسانا  
وكما بسرِّك لين مَسِيٍّ راضيا فكذلك فأخشِ خُسوفتى غضباناً (٣)  
وأما أبو الطيب المتنبي فإنه استعمل هذا النوع قلباً في شعره ، فن ذلك  
قوله :

يقالُ إذا لاقوا خِفافاً إذا دُهِوا كَثِيراً إذا شَدَّه وأقليل إذا هُدُّوا (٤)

(١) من قصيدته في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف (الديوان ٢/١) .  
(٢) من قصيدته في مدح أبي أيوب بن أخت أبي الوزير الديوان (١٧٦/١) والنس  
بالديوان (ما تنطوى ببسا) والضمير في أرضيهم عائد على الناس في قوله :

الناس حولك روضة ما تترقى ربا النبات ومنهل ما يورد

(٣) من قصيدته في عتاب أبي العباسي بن بسطام الديوان (٢٧٩/٢) .

(٤) من قصيدته في مدح محمد بن سيار بن مكرم التميمي ، التي مطلعها : =

وكذلك قوله :

لِلرَّبِّ مالٌ كِلاَسَتْ شَمْلُهُ تَجْمَعُ فِي نَشْتِيتهِ لِلْأَمَلِ شَمْلٌ (١)

بما استمدبته قوله في هذا الباب :

كَانَ سُهَادَ اللَّيْلِ يَنْشَقُّ مُقَاتِي فِيبْنِهِمَا فِي كُلِّ هَجْرٍ لَنَا وَصَلٌ (٢)

ومما جاء من هذا الباب :

لَمَّا اعْتَمَقْنَا لِلوَدَاعِ وَأَعْرَبَتْ عِبْرَاتُنَا عَنَّا بِدَمْعِ نَاطِقِ

فَرَقَنَ بَيْنَ مَعَاجِرٍ وَمَحَاجِرٍ وَجَمَعَنَ بَيْنَ بَنَفْسِجٍ وَشَقَاتِي (٣)

وهذا تحته معنى يسأل عنه غير المقابلة ، وذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بالبنفسج والشقائق هو عارض الرجل وخذ المرأة ، لأن من العادة أن يشبه العارض بالبنفسج . وهذا قول غير سائغ ، لأن العارض إنما يشبه بالبنفسج عند أول ظهوره ، فإذا طرأ وظهرت خضرته في ابتداء سن الشباب شُبه بالبنفسج ، لأنه يكون بين الأخضر والأسود ، وليس في الشعر ما يدل على أن تلودع كان شابا قد طرأ عارضه ، والذي يقتضيه المبنى أن المرأة قامت للوداع ففرقت خمارها ، ولطمت

---

== أقل فعالي بله أكثره مجد      وذا الجدي فيه نلت أم لم أنل جد  
الديوان ١٠٨/٢ ) تقال : نعت لمشايع في البيت السابق له ، يريد أنهم تقال الوطاة  
على . المدو . خفاف : سريعو الإجابة للنجدة . كثير لإشادوا دلالة على أن الواحد منهم يسد  
مسد الجماعة .

(١) من قصيدته في مدح شجاع بن محمد الطائي المنبجي ، التي مطلعها :  
عزيز أسي من داؤه الحدق النجل      عياء به مات المحبون من قبل  
(الديوان ٣/٣٧٠ ) شت : تفرق . الشمل : الاجتماع ، أي كلما تفرق شمل ماله  
اجتمعت معاليه .

(٢) من القصيدة نفسها .

(٣) المعاجر : جمع معجر على وزن منبر ثوب تمتجر به المرأة .

المحاجر : جمع محجر على وزن مجلس وهو للمعين .

حدها ، فجمعت بين أثر العلم ، وهو شبيه بالبنفسج ، وبين لون الخلد وهو شبيه  
الشقائق ، وفرقت بين خمارها وبين وجهها بالنزيق ولهاك وموجدة على الوداع ،  
هذا هو معنى البيت لا ما ذهب إليه هذا الرجل .

[المقابلة في المعنى دور اللفظ] :

وأما المقابلة في المعنى دون اللفظ في الأضداد فما جاء منه قول المفتح الكندي  
من شعراء الحماسة :

لهم جُلٌّ مالى إن تتابع لى غنى وإن قول مالى لم أكلفهم رِفداً (١)  
فقوله تتابع لى غنى بمعنى قوله كثر مالى ، فهو إذا مقابلة من جهة المعنى لا من  
جهة اللفظ ، لأن حقيقة الأضداد اللفظية إنما هي في المفردات من الألفاظ نحو قام  
وقعد وحل وعقد وقل وكثر ، فإن القيام ضد القعود ، والحل ضد العقد ، والقليل  
ضد الكثير ، فإذا ترك المفرد من الألفاظ وتوصل إلى مقابله بألفظ مركب كان  
ذلك مقابلة معنوية لا لفظية ، فأعرف ذلك .

[مقابلة الشيء بما ليس بضده] :

وأما مقابلة الشيء بما ليس بضده فهي ضربان : أحدهما ألا يكون مثلاً  
والآخر أن يكون مثلاً ، فالضرب الأول يتفرع إلى فرعين :

الأول : ما كان بين المقابل والمقابل نوع مناسبة وتقارب ، كقول قُرَيْب  
ابن أُنَيْف :

(١) اسم الشاعر محمد بن ظفیر بن عمیر ، من شعراء الدولة الأموية وكان فيما قالوا  
جيلاً مشرق الوجه ، فكان يستوجهه لجماله ، فسمى المفتح . وهذا البيت من أبيات اختارها  
أبو تمام في الحماسة ، أولها .

يماني في الدين قومي وإنما ديوني في أشياء تكسبهم حدا  
( شرح ديوان الحماسة للرزوقي ٣/ ١١٧٨ .

يَجْزُونَ مِنْ ظَلَمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَفْرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا<sup>(١)</sup>  
فقابل الظلم بالمنفرة ، وليس ضدًا لها ، وإنما هو ضد العدل ، إلا أنه  
لما كانت المغفرة قريبة من العدل حسنت المقابلة بينهما وبين الظلم ، وعلى هذا  
جاء قوله تعالى « أَشِدُّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ »<sup>(٢)</sup> فإن الرحمة ليست ضد  
الشدة ، وإنما ضد الشدة اللين ، إلا أنه لما كانت الرحمة من مسببات اللين  
حَسُنَتْ المقابلة بينها وبين الشدة .

وكذلك ورد قوله تعالى « إِنْ تُصِيبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ، وَإِنْ تُصِيبْكَ مُصِيبَةٌ  
يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ »<sup>(٣)</sup> . فإن المصيبة سيئة ، لأن كل مصيبة سيئة  
وليس كل سيئة مصيبة ، فالتقابل ها هنا من جهة العام والخاص .

النوع الثاني : ما كان بين المقابل والمقابل به بُعْدٌ ، وذلك مما لا يحسن استعماله  
كقول أم النجيف وهو سعد بن قُرظ وقد تزوج امرأة كانت تهتم عنها فقالت من  
أبيات تدمها فيها :

تَرَبَّصْ بِهَا الْأَيَّامَ عَلَّ صُرُوفَهَا سَتَرِي بِهَا فِي جَاهِمٍ مُسْتَسَرِّ  
فَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ قَدَّمَنَاهُ إِلَيْهِ بِمَذْمُومَةِ الْأَخْلَاقِ وَاسِمَةِ الْحِرِّ<sup>(٤)</sup>

(١) من أبيات في الحماسة ، يقرع فيها قومه على تظلمهم من نصرته ، أولها :

لو كنت من مازن لم تستبح لبل بنو اللقيطة من ذهل بن شيبان  
( شرح الحماسة للرزوقي ٢٢/١ والتبريزي .

(٢) الفتح ٢٩ .

(٣) التوبة ٥٠ .

(٤) في الأصل أم الهنف ، وابن قرظ ، لكن الذي في شرح الحماسة للتبريزي ٣٥٢/٤

وفي شرحها للرزوقي ١٨٦٢/٤ هو ما أنبتناه .



فقولها بمذمومة الأخلاق واسعة الحر من المقابلة البعيدة ، بل الأولى أن كانت قالت بضيقه الأخلاق واسعة الحر ، حتى تصح المقابلة ، وهذا مما يدل على أن العربي غير مهتم إلى استعمال ذلك بصنعتة ، وإنما يجيء له منه ما يجيء بطبعمه لا بتكافئه ، وإذا أخطأ فإنه لا يعلم ولا يشعر به ، والدليل على ذلك أنه لو أبدت لفظة مذمومة بلفظة ضيقة لصح الوزن وحصلت المقابلة ، وإنما يُنذَرُ من يُنذَرُ في ترك المقابلة في مثل هذا المقام إذا كان الوزن لا يواتيه . . .

وأما المحدثون من الشعراء فإيهم اعتنوا بذلك خلاف ما كانت العرب عليه ، لا جرّم أنهم أشدُّ ملامة من العرب .

فمن ذلك قول أبي الطيب المتنبي :

لَمَنْ تَطَلَّبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُتْرَدْ سَهَا سُرُورٌ مَحَبٌّ أَوْ إِسَاءَةٌ مَجْرَمٌ<sup>(١)</sup>

فإن المقابلة الصحيحة بين المسحبِّ والمُبغض لا بين المحبِّ والمجرم ، وليست متوسطة أيضا حتى يقرب الحال فيها ، وإنما هي بعيدة ، لأنه ليس كل من أجرم إليك كان مبغضالك .

[المواخاة بين المعاني .]

ومما يتصل بهذا الضرب من الكلام يسمّى المواخاة بين المعاني والمواخاة بين المباني ، وكان ينبغي أن نمقده له بابا مفردا ، لكننا لما رأينا أنه ينظرُ إلى التقابل من وجه وصلناه به .

---

(١) هذه هي رواية الديوان ( ٣٤٣/٤ ) وفي الأصل يطلب ويرد ومساءة . والبيت من قصيدة في مدح كالفور .

أما المواخاة بين المعاني فهو أن يذكر المعنى مع أخيه ، لامع الأجنبي ،  
مثاله أن تذكر وصفا من الأوصاف وتقرنه بما يقرب منه ويلتئم به ، فإن  
ذكرته مع ما يبعد منه كان ذلك قدحا في الصناعة ، وإن كان جائزا .  
فمن ذلك قول السكيت :

أم هل ظمانٌ بالعياء رافعةٌ وإن تكامل فيها الدلُّ والشنبُ<sup>(١)</sup>

فإن الدلُّ يذكر مع الفنج وما أشبهه ، والشنب يذكر مع اللعس وما  
أشبهه ، وهذا موضع يفاظ فيه أرباب النظم والنثر كثيرا ، وهو مظنة الغلط ،  
لأنه يحتاج إلى ناقب ففكرة وحذق ، بحيث توضع للمعاني مع أخواتها لامع  
الأجنبي منها .

وقرأت في كتاب الأغاني لأبي الفرج أنه اجتمع نُصَيْبٌ والسكيت وذو الرمة  
فأنشد السكيت « أم هل ظمانٌ » البيت ، فعمد نُصَيْبٌ واحدة ، فقال له  
السكيت : ماذا تعنى ؟ قال خطأك ، فإنك تباعدت في القول ، أين الدلُّ  
من الشنب ؟ ألا قلت كما قال ذو الرمة :

كُمِيَاهُ فِي شَفَقِيهَا حُوَّةٌ ، لَعَسُ فِي لَانَاثٍ وَفِي أُنْيَاهَا شَنْبُ<sup>(٢)</sup>

ورأيت أبا نواس يقع في ذلك كثيرا كقوله في وصف الديك :

لَهُ اعْتِدَالٌ وَانْتِهَابٌ قَدَّ وَجِلْدُهُ بِشِبْهِ وَشَى الْبُرْدِ

---

(٢) ليس البيت بالهشاميات . الشنب : ماء ورقة وعذوبة وبرد  
في الأسنان .

(١) الأغاني ١/١٣٤ مع بعض تفسير . الشنب : ماء ورقة وعذوبة وبرد في الأسنان .  
لياء : سمراء الشفة . الحوة : حرة مشوبة بسواد . اللعس : سواد مستحسن  
في الشفة .

كانها الِهدَابُ في الفِرْدِ مُحَمَّدَوْدُبُ الظَّهْرُ كَرِيمُ الجَدِّ (١)  
فإنه ذكر الظهر وقرنه بذكر الجدة ، وهذا لا يناسب هذا ، لأن الظهر من  
جمله الخلق ، والجد من النسب ، وكان ينبغي أن يذكر مع الظهر ما يقرب منه  
وبواخيه .

وكذلك أخطأ أبو بؤاس في قوله أيضاً :

وقد حَلَفْتُ يَمِيناً مَبْرُورَةً لَا تُكْذَبُ

رَبِّ زَمَزَمَ وَالْحَوْضِ وَالصَّفَا وَالْمَحْصَبِ (٢)

فإن ذكر الحوض مع زمزم والصفاء والمحصب غير مناسب ، وإنما يذكر  
الحوض مع الصراط والميزان وما جرى مجراها ، وأما زمزم والصفاء والمحصب فيذكر  
معها الركن والحطيم وما جرى مجراها .

وعلى هذا الأسلوب ورد قوله أيضاً :

أَحْسَنُ مِنْ هَنْزِلِ بَدْيِ قَارِ مَنْزِلُ خَمَارَةٍ وَخَمَارِ

وَشَمُّ رَمْحَائِهِ وَرَمَجِيَّةِ أَحْسَنُ مِنْ أَيْنِقِ بَأْ كَوَارِ (٣)

فالبيت الثاني لامقارنة بين صدره وعجزه ، وأين شم الریحان من الأينق

---

(١) في الديوان تحقيق الغزالي (٦٤٥) مقطوعة في وصف ديك هندي ، أولها :

أنت ديك من ديوك الهند كريم هم وكريم جد

وليس بهاذن البيتان . لكنهما في ديوانه من قصيدة في وصف ديك (الطبعة الموممية)

(٢) من مقطوعة مطلعها :

جدان مالك تقضب على في غير مقضب

(الديوان ٧٢٤) .

(٣) المطام في الديوان (١٦٠) :

أحسن من منزل بدى قار منزل خماره بالانبار

الأكوار : جمع كور وهو الرجل .

بالأكوار ؟ وكان ينبغي له أن يقول *شُمُ الرِّيحانِ أحسن من شُمِ الشَّيخِ والقيصومِ ،  
وركوبُ الفتيانِ الرُّودِ أحسن من ركوبِ الأبنقِ بالأكوارِ ، وكل هذا  
لا يُعْظَنُ لوضعه في مواضعه في كل الأوقات . وقد كان يقاب على " السَّهْوِ " في بعض  
الأحوال حتى أسلك هذه الطريق في وضع المعاني مع غير أنسابها وأقاربها ، ثم إنى  
كنت أتأمل ما صنعته بمد حين فأصلح ما سهوتُ عنه .*

### [ المُواخَاةُ بَيْنَ الْمَبْنَى ]

وأما المُواخَاةُ بَيْنَ الْمَبْنَى فَإِنَّهُ يَتَمَلَقُ بِمَبْنَى الْأَلْفَاظِ .

فمن ذلك قول أبي تمام في وصف الرماح :

مُتَقَفَّاتٌ سَكَبْنَ الْعُرْبَ سُمْرَتَهَا وَالرُّومَ زُرْقَتَهَا وَالْعَاشِقَ الْقَضَا<sup>(١)</sup>

وهذا البيت من أبيات أبي تمام الأفراد ، غير أن فيه نظرا ، وهو قوله العرب  
والروم ، ثم قال العاشق ، ولو صح أن يقول العاشق لكان أحسن ، إذ كانت  
الأوصاف تجري على (سهج) واحد ، وكذلك قوله سمرتها زرقتها ، ثم قال القضا ،  
وكان ينبغي أن يقول قضنها أو دقمها .

وعلى هذا ورد قول مسلم بن الوليد :

تَقَدَّصَتْ بِكَ الْأَحْلَاسُ أَنْفَاقَ إِقَامَةٍ وَاسْتَرْجَعَتْ نِزَاعَهَا الْأَمْصَارُ  
فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مَرْزُوقَةٍ يُشْنِي عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالْأَوْعَارُ<sup>(٢)</sup>

(١) البيت من قصيدة في مدح أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي (الديوان ٣٥٩/٣)

ونصه في الديوان :

مُتَقَفَّاتٌ سَكَبْنَ الرُّومَ زُرْقَتَهَا وَالْعُرْبَ سُمْرَتَهَا وَالْعَاشِقَ الْقَضَا  
مُتَقَفَّاتٌ مَقْرَمَاتٌ . الْقَضْفُ : النِّعَافَةُ وَالضَّمُورُ ، يَقُولُ لَهَا مَقْرَمَاتٌ مَعْدَلَاتٌ ، سَمَرُ  
كَالْعَرَبِ ، زُرْقُ الْأَسْنَةِ كَالرُّومِ ضَامِرَةٌ كَالْعَاشِقِ .

(٢) من رثائه ليزيد بن يزيد ، والبيتان في الديوان ٣١٣ =

والأحسن أن يقال السهل والوعر، أو السهول والأوعار، ليكون البناء اللفظي واحداً، أي أن يكون اللفظان واردين على صيغة الجمع أو الإفراد، ولا يكون أحدهما مجموعاً، والآخر مفرداً :

وكذلك ورد قول أبي نواس في الخمر :

صَـرَّاهُ تَجَدَّاهُ مَرَّازٍ بِهَا جَاءَتْ عَنِ النَّظْرَاءِ وَالنَّيْلِ<sup>(١)</sup>

فجمع وأفرد في معنى واحد، وهو أنه قل النظراء مجموعاً، ثم قل المثل مفرداً، وكان الأحسن أن يقول النظير والمثل، أو النظراء والأمثال .

وعلى ذلك ورد قوله أيضاً، والإنكار يتوجه فيه أكثر من الأول، وهو :

أَلَا يَا بَنِي الَّذِينَ فَتَنُوا فِتَاوَا أَمَا وَاللَّهِ مَا مَاتُوا لَتَبْقَى

وَمَالِكٌ فَاعْلَمَنَّ فِيهَا مُقَامٌ إِذَا اسْتَكَلَّتْ آجَالَا وَرَزَقًا<sup>(٢)</sup>

وموضع الإنسكار هاهنا أنه قال آجالاً ورزقاً، وكان ينبغي أن يقول أرزاقاً أو أن يقول أجلاً ورزقاً، وقد زاده إنسكاراً أنه جمع الأجل فقال آجالاً، والإنسان ليس له إلا أجل واحد، ولو قال أجلاً وأرزاقاً، لماعيب، لأن الأجل واحد والأرزاق كثيرة، لاختلاف ضرورها وأجناسها .

---

== نقضت بك الآمال أحلاس الفنى واسترجمت نزاعها الأمصار  
فاذهب كما ذهبت غوادى مزنة أننى عليها السهل والأوعار  
الأحلاس : جمع حلس وهو الذى يوضع تحت الرجل  
(١) من قصيدته التى مطلعها :

كان الشباب مطيبة الجهل وعحسن الضحكات والمزل  
(الديوان ٤٢) المرازب والمرازبة جمع مرزبان وهو أحد الحكام والقواد الفرس .

(٢) رواية الديوان ٩٨ (المطبعة العمومية)

أَلَا يَا بَنِي الَّذِينَ فَتَنُوا وَبَادُوا أَمَا وَاقَّةٌ مَا بَادُوا لَتَبْقَى  
وَمَالِكٌ فَاعْلَمَنَّ بِهَا مُقَامٌ إِذَا اسْتَكَلَّتْ آجَالَا وَرَزَقًا

وإذا أنصفنا في هذا الموضع وجدنا النار مطالباً به دون الناظم، لمكان إمكانه من التصرف . وقد كنت أرى هذا الضرب من الكلام واجباً في الاستعمال ، وأنه لا يحسن المحيد عنه ، حتى مررتُ بي في القرآن الكريم ما يخالفه ، كقوله تعالى في سورة النحل ﴿ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ أَنِ اتَّبِعُوا آلَ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (١) . ولو كان الأحسن لزوم للبناء اللفظي على سنن واحد لجمع اليمين كما جمع الشمال ، أو أفرد الشمال كما أفرد اليمين .

وكذلك ورد قوله تعالى :

﴿ أولئك الذين صبحَ الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون ﴾ (٢) فجمع القلوب والأبصار وأفرد السمع .

وكذلك ورد قوله تعالى ﴿ حتى إذا ما جاءوها شهيد عليهم ستمسهم وأبصارهم وجلودهم ﴾ (٣) فذكر السمع بلفظ الإفراد وذكر الأبصار والجلود بلفظ الجمع .

وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة هكذا ، ولو كان هذا معتبراً في الاستعمال لورد في كلام الله تعالى الذي هو أفصح من كل كلام ، والأخذ في مقام الفصاحة والبلاغة إنما يكون منه والمول عايه .

وينبغي أن يقاس على هذا قوله تعالى ﴿ وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما بمصرَ بيوتاً واجعلوا بيوتهما قبلةً للبشر المؤمنين ﴾ (٤) .

(١) النحل ٤٨ .

(٢) النحل ١٠٨ .

(٣) فصلت ٢٠ .

(٤) يونس ٨٧ .

وربما قيل إن هذه الآية اشتملت على تثنية وجمع وإفراد ، وظنُّ أنها من هذا الباب ، وليس كذلك لأنها مشتملة على خطاب موسى وهارون عليهما السلام أولاً في اتخاذ المساجد لقومهما ، ثم نثى الخطاب لهما ولقومهما جميعاً ، ثم أفرد موسى عليه السلام بيشارة المؤمنين ، لأنه صاحب الرسالة .

[مقابلة الشيء بمجنس]

الضرب الثانى فى مقابلة الشيء مثله وهو يتفرع إلى فرعين : أحدهما مقابلة المفرد بالمفرد ، والآخر مقابلة الجملة بالجملة .

النوع الأول كقوله تعالى « نسوا الله فسيهم »<sup>(١)</sup> وكقوله تعالى « ومكروا مكراً ومكراً مكرأ »<sup>(٢)</sup> وقد روى هذا الموضوع فى القرآن الكريم كثيراً ، فإذا ورد فى صدر آية من الآيات ما يحتاج إلى جواب كان جوابه مماثلاً ، كقوله تعالى « من كفر فعليه كفره »<sup>(٣)</sup> وكقوله تعالى : « جزاء سيئة سيئة مثلها »<sup>(٤)</sup> ، وهذا هو الأحسن ، وإلا فلو قيل من كفر فعليه ذنبه ، كان ذلك جائزاً . لكن الأحسن هو ما ورد فى كتاب الله تعالى ، وعليه مدار الاستعمال .

وهذا الحكم يجرى فى النظم والنثر من الأسجاع والأبيات الشعرية ، فأما إن كان ذلك غير جواب ، فإنه لا يلتزم فيه هذه المراعاة اللفظية . الا ترى أنه قد قولت الكلمة بكلمة هى فى معناها وإن تسكن مساوية لها فى اللفظ ، وهذا يقع فى الألفاظ المترادفة ، ولذا يُستعملُ ذلك فى الموضع الذى ترد فيه الكلمة غير جواب .

(١) التوبة ٦٧

(٢) النمل ٥٠

(٣) الروم ٤٤ .

(٤) الشورى ٤٠

فما جاء منه قوله تعالى تعالى : « وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ  
بِمَا يَفْعَلُونَ » (١) ولو كان لا تورد الكلمة إلا بمثلاً لقل وهو أعلم  
بما تعلمون .

وكذلك قوله تعالى : « وهل أتاك نبأ الخضم إذ تسوروا المحراب ،  
إذ دخلوا على داود ففزع منهم ، قالوا لا نخف ، خصمان ، بفسى بمضنا  
على بعض » (٢) فقال لا تخف بعد قوله ففزع ، ولما كان هذا في معنى هذا  
قوبل أحدهما بالآخر ، ولم يقابل اللفظ بنفسه .

وكذلك جاء قوله تعالى : « لئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض  
ونلعب ، قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون » (٣) فذكر الاستهزاء  
الذي هو في معنى الخوض واللعب ، وقابل به الخوض واللعب ، ولو ذكره على  
حد المماثلة والمساواة لقال : أفى الله وآياته ورسوله كنتم تخوضون  
وتلعبون ..

فإن قيل إنك قد احتججت بالقرآن الكريم فيما ذكرته ، ونرى قد ورد  
في القرآن الكريم ما ينقضه كقوله تعالى « والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة  
بمثلها » (٤) ولم يقل جزاء سيئة سيئة مثلها ، فالجواب على ذلك أني أقول أردت  
أن تنقض على ما ذكرته فلم تنقضه ، ولسكنك شيدته ، والذي ذكرته هو

(١) الزمر ٧٠

(٢) من ٢١ - ٢٢ .

(٣) التوبة ٦٥ .

(٤) يونس ٢٧



دليل لي لالك ، ألا ترى أنه لا فرق بين قوله تعالى « جزاء سيئة بمثلها » وبين قوله « جزاء سيئة سيئة مثلها » ، إذا المعنى واحد لا يختلف ، ولو جاء عوَضًا عن السيئة لفظًا أخرى في معناها كالأذى والسوء أو ماجرى مجراها لصح لك ما ذهبت إليه .

وقد ذهب بعض المتصدرين في علم البيان أنه إذا ذكرت اللفظة في أول كلام يحتاج إلى تمام وإن لم يكن جوابًا كالذي تقدم ، فينبغي أن تُعاد بعينها في آخره ، ومتى عدل عن ذلك كان مَعِيَبًا ، ثم مثل ذلك بقول أبي تمام وقول أبي الطيب للثعبي ، فقال إن أبا تمام أخطأ في قوله :

بَسَطَ الرَّجَاءَ لَنَا بَرَعِيمَ نَوَائِبٍ كَثُرَتْ بَيْنَ مَصَارِعِ الْأَمَالِ<sup>(١)</sup>

فحيث ذكر الرجاء في صدر البيت فكان ينبغي أن يعيد ذكره أيضا في عجزه ، أو كان ذكرَ الْأَمَالِ في صدر البيت وعجزه .  
وكذلك أخطأ أبو الطيب الثعبي في قوله :

إِنِّي لِأَعْلَمُ وَاللَّيْبُ خَيْرٌ أَنْ الْحَيَاةَ وَإِنْ حَرَصَتْ غُرُورُ<sup>(٢)</sup>

فإنه قال إنِّي لِأَعْلَمُ وَاللَّيْبُ خَيْرٌ ، وكان ينبغي أن يقول إنِّي لِأَعْلَمُ وَاللَّيْبُ عَلِيمٌ ، ليكون ذلك تناوبًا صحيحًا .

وهذا الذي ذكره هذا الرجل ليس بشيء ، بل للمعتمد عليه في هذا الباب أنه

(١) من قصيدة في مدح الحسن بن رجاء ، مطلعها :

كفى وذاك فإني لك قائلٍ ليست هوادي عزمي يتوالى  
(الديوان ٧٦/٣)

(٢) من رثائه لمحمد بن إسحاق التنوخي (الديوان ٢٧٨/٢)

إذا كانت اللفظة في معنى أختها جاز استعمالها في المقابلة بينهما ، والدليل على ذلك ما قدمناه من آيات القرآن الكريم ، وكفى به دليلا ، وهذه الرموز التي هي أمرار الكلام لا يَتَفَتَّنُ لا استعمالها إلا أحدر رجلين : إما فقيه في علم البيان قد مارسه ، وإما مشقوق اللسان في الفصاحة قد خُلقَ عارفاً بلطائفها ، مستغنياً عن مطالعة معانيها ، وهذا لا يكون إلا عربي الفطرة يقول ما يقوله طبعاً ، على أنه لا يُسدِّدُ في جميع أقواله ، ما لم تكن معرفته الفطرية بمزوجة بمعرفة العرفية .

### الفرع الثاني في مفاصلة الحمد بالمحمد :

أعلم أنه إذا كانت الجملة من الكلام مُسْتَقْبَلَةً قوبلت بمستقبله ، وإن كانت ماضية قوبلت بماضية ، وربما قوبلت الماضية بالمستقبله ، والمستقبله بالماضية ، إذا كانت إحداها في معنى الأخرى .

فمن ذلك قوله تعالى : « قل إن ضللتُ فإنما أضلُّ على نفسي ، وإن اهتديت فبما يُوحى إليّ ربي<sup>(١)</sup> » فإن هذا تقابل من جهة المعنى ، ولو كان للتقابل من جهة اللفظ لقال وإن اهتديت فإنما أهدى لها .

وبيان تقابل هذا الكلام من جهة المعنى هو أن النفس كل ما عليها فهو بها ، أعني أن كل ما هو وبال عليها وضارٌّ لها فهو بسببها ومنها ، لأنها الأمانة بالسوء ، وكل ما هو لها مما ينفعها ، فهداية ربها وتوفيقه إياها ، وهذا حُكْمٌ عام لكل مكلف ، وإنما أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَسْتَدِدَّ ذلك إلى نفسه ، لأن الرسول إذا دخل تحتَه مع علوِّ محمِّله وسداد طريقتَه كان غيره أولى به .

ومن هذا الضرب قوله تعالى : « ألم يَرَوْا أَنَا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا<sup>(٢)</sup> » فإنه لم يراعِ التقابل في قوله « لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَمُبْصِرًا » ، لأن

(١) سورة سبأ ٥٠ .

(٢) سورة النمل ٨٦ .

القياس يقتضى أن يكون « والنهار ليُبصروا فيه » وإنما هو مرادى من جهة المعنى لا من جهة اللفظ ، وهذا النظم المطبوع غير المحسكف ، لأن معنى قوله مبصرا ليُبصروا فيه طُرُق القلب في الحاجات .

واعلم أن في تقابل المعانى بابا عجيب الأمر يحتاج إلى فضل تأمل ، وزيادة نظر ، وهو يختص بالفواصل من الكلام المنشور وبالأهجاز من الأبيات الشعرية .

فما جاء من ذلك قوله تعالى في ذم المنافقين : « وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون <sup>(١)</sup> » . وقوله تعالى : « وإذا قيل لهم: آمنوا كما آمن الناس قلوا: أنؤمن كما آمن السفهاء ، ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون <sup>(٢)</sup> » .

ألا ترى كيف فصل الآية الأخرى بيملون ، والآية التي قبلها يشعرون . وإنما فعل ذلك لأن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل ، تحتاج إلى نظر واستدلال ، حتى يكتب الناظر العلم والعرفة بذلك ، وأما التناقض وما فيه من البنى المؤتى إلى الفتنه والفساد في الأرض فأمر دينوى مبنى على العادات ، معلوم عند الناس ، خصوصا عند العرب وما كان فيهم من التجارب والتناور ، فهو كالمسوس عندهم ، فلذلك قال فيه « يشعرون » ، وأيضا فإنه لما ذكر الله في الآية الأخيرة وهو جهل ، كان ذكر العلم معه أحسن طباقا ، فقال « لا يعلمون » .

وآيات القرآن جميعها فصلت هكذا ، كقوله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير <sup>(٣)</sup> » . وكقوله تعالى :

(١) سورة البقرة ١١ - ١٢ .  
(٢) سورة البقرة ١٣ .  
(٣) سورة الحج ٦٣ .

« مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ <sup>(١)</sup> » . وكقوله : « الْمَر  
أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَأَنْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ، وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ  
أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ <sup>(٢)</sup> » .

فإنه إنما فصّلت الآية الأولى بلطيف خبير ، لأن ذلك في موضع الرحمة خلقه  
بإنزال الغيث وغيره . وأما الآية الثانية فإنما فصّلت بغنى حميد ، لأنه قال : « لَهُ مَا  
فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ » له لا لحاجة ، بل هو غنيٌّ عنها جوادٌ بها ، لأنه  
ليس كلٌّ غنيٌّ نافعاً انتفاءً ، إلا إذا كان جواداً مُنعماً ، وإذا جادوا نعم حده المنعم  
عليه واستحق عليه الحمد ، فذكر الحميد ليدل على أنه الغني النافع بغناه خلقه .

وأما الآية الثالثة فإنها فصّلت برءوف رحيم ، لأنه لما عدّد للناس ما أنعم به عليهم  
من تسخير ما في الأرض لهم ، وإجراء الفلك في البحر بهم ، وتسييرهم في ذلك المول العظيم ،  
وخلق السماء فوقهم ، وإمساكها إياها عن الوقوع ، حسن أن يفصل ذلك بقوله  
رءوف رحيم ، أي أن بهذا الفعل فعل رءوف بكم رحيم لكم .

واعلم أيها المتأمل لكتابنا هذا أنه قد أوجد هذه الملاممة والمناسبة في كلام  
ناظم أو ناظير .

ومن الآيات ما تشكّل فاصلته فتحتاج إلى فكرة وتأمل ، كقوله تعالى :  
« وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُرَكَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أُجْدَمِ  
أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ، وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ  
وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ، وَالْخَامِسَةُ  
أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ  
تَوَّابٌ حَكِيمٌ <sup>(٣)</sup> » .

فإنه قدوردت الفاصلة في غير هذا الموضع بتواب رحيم ، ويظن الظان أن هذا كذلك ، ويقول إن التوبة مع الرحمة لأمم الحكمة ، وليس كما يظن ، بل الفاصلة بتواب حكيم أو لى من تواب رحيم ، لأن الله عز وجل حكم بالتلاعن على الصورة التي أمر بها ، وأراد بذلك ستر هذه الفاحشة على عباده ، وذلك حكمة منه ، ففصّلت الآية الواردة في آخر الآيات بتواب حكيم ، فجمع فيها بين التوبة المرجوة من صاحب المعصية وبين الحكمة في سترها على تلك الصورة .

وهذا الباب ليس في علم البيان أكثر منه نفعا ولا أعظم فائدة

وما جاء من هذا الباب قول أبي الطيب للثبي :

وقفت وما في الموت شكٌ لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم  
تمرُّ بك الأبطال كلقى هزيمةً ووجهك وضاحٌ وتفرُّك باسمٍ  
وقد أخذ على ذلك ، وقيل لو جعل آخر البيت الأول آخر البيت الثانى  
وأخر البيت الثانى آخر البيت الأول لكان أولى .

ولذلك حكاية ، وهى أنه لما استنشه سيف العولة يوما فصيدته التى أولها :  
« على قدزٍ أهل العزم تأتى العزائم » (١).

فلما بلغ إلى هذين البيتين قال قد انتقدتهما عليك ، كما أنتقد على امرى .  
الئيس قوله :

كأنى لم أركب جورا للذة ولم أتبعن كاعبادات خالخال

(١) مطلع القصيدة في مدح سيف الدولة لابن نثر الحدث ٣٤٣ هـ  
على قدر أهل العزم تأتى العزائم وتأتى على قدر الكرام للكلام

• ولم أشتبا الوقت الروي ولم أقل: ليلتي كرمي كرامة بعد إخفال (١)

فبيبتك لم يلغشم شطراهما ، كما لم يلغشم شطرا بيتي امرى القيس ، وكان ينبغي لك أن تقول :

وقفت وما في الموت شك لو اتف ووجهك وضاح وشرك باسم  
صرت بك الأبطال كلتي هزيمة كأنك في جنن الردى وهو نائم

نقال للتأني: إن صح أن القمي استدرك على امرى القيس هذا علم بالشمر منه فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، وهولانا يعلم أن التوب لا يعلمه البراز كما يعلمه الحائك ، لأن البراز يعرف جملته والحائك يعرف تفاصيله ، وإنما قرآن امرؤ القيس النساء بأذة الركوب الحديد ، وقرن السباحة بسبأ الطمر الأضياف بالشجاعة في منازقة الأعداء ، وكذلك لما ذكرت الموت في صدر البيت الأول أتيتته بذكر الردى في آخره ، ليكون أحسن تلاؤما ، ولما كان وجه المهزم الجريح عبوساً وعينه باكية قلت ووجهك وضاح وشرك باسم ، لأجمع بين الأضداد .

القسم الثاني في صفة التقسيم وفاداره :

ولسنا نريد بذلك هاهنا ما تقتضيه القسمة العقلية كما يذهب إليه المتكلمون ، فإن ذلك يقتضى أشياء مستحبة ، كقولهم الجواهر لا تخلو إما تكون مجتمعة أو مفترقة ، أو لا مجتمعة ولا مفترقة ، أو مجتمعة ومفترقة ، أو بعضها مجتمعة وبعضها مفترقة . ألا ترى أن هذه القسمة صحيحة من حيث العقل ، لاستيفاء الأقسام جميعها ، وإن كان من جملتها ما يستحيل وجوده .

(١) من قصيدته التي مطلعها :

وهل يعدن من كان في العصر الضال

الأعم صباحا أيها الضلل البال

(الديوان ٢٧)

وإنما يزيد بالتقسيم هاهنا ما يقتضيه اللفظ مما يمكن وجوده ، من غير أن يُتْرَك  
منها قسم واحد ، وإذا ذُكِرَتْ قام كل قسم منها بنفسه ، ولم يشارك غيره ، فتارة  
يكون التقسيم بلفظة إِمَّا ، وتارة بلفظة بَيْن ، كقولنا بين كذا وكذا ، وتارة بلفظة  
منهم كقولنا منهم كذا ومنهم كذا ، وتارة يَأْن يذكر العدد المراد أولا بالذكر ثم  
يقسم ، كقولنا : فانشعب القوم شعباً أربعمائة : فشعبة ذهبت يميننا ، وشعبة ذهبت  
شمالا ، وشعبة وقفت بمكانها ، وشعبة رجعت إلى ورأسها .

فما جاء من هذا القسم قوله تعالى : « ثم أوزننا الكتاب الذين أضطأنا  
من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مُقْتَصِدٌ ، ومنهم سابق بالخيرات »<sup>(١)</sup> .  
وهذه تسمية صحيحة ، فإنه لا يخلو العباد من هذه الثلاثة ، فإما عاصٍ ظالم  
لنفسه ، وإما مطيع مبادر إلى الخيرات ، وإما مقتصد بينهما .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : « وكنتم أزواجاً ثلاثة ، فأصحاب اليمين ما أصحابُ  
اليمين ، وأصحاب المشأمة ما أصحابُ المشأمة والسابقون السابقون<sup>(٢)</sup> . وهذه الآية  
منطبقة المعنى على الآية التي قبلها ، فأصحاب المشأمة هم الظالمون لأنفسهم ، وأصحاب  
اليمين هم المقتصدون ، والسابقون هم السابقون بالخيرات .

وعلى نحو ذلك جاء قوله تعالى : « هو الذي يُرِيكم البرق خوفاً وطمعاً »<sup>(٣)</sup>  
فإن الناس عند رؤية البرق بين خائف وطمع ، وليس لنا قسم ثالث .

فإن قيل إن استيفاء الأقسام ليس شرطاً ، وترك بعض الأقسام لا يقدحُ  
في الكلام ، وقد ورد في القرآن الكريم ، كقوله تعالى : « لا يستوي أصحابُ

(١) سورة فاطر ٣٢

(٢) سورة الواقعة ٧ - ١٠

(٣) سورة الرعد ١٢

النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون «<sup>(١)</sup> فذكر أصحاب الجنة دون أصحاب النار ، فالجواب على ذلك أني أقول هذا لا ينقضُ على ما ذكرته ، فإن استيفاء الأقسام يلزم فيما استقبهم الإجمال فيه ، ألا ترى إلى قوله تعالى « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فهم » فإنه حيث قال ( فهم ) لزم استيفاء الأقسام الثلاثة ، ولو اقتصر على قسمين منها لم يجز ، وأما هذه الآية التي هي « لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة » فإنه إنما خص أصحاب الجنة بالذكر ، للعلم بأن أصحاب النار لا فوز لهم ، ولو خص أصحاب النار بالذكر لعلم أيضا بالأصحاب الجنة

وكذلك كل ما يجرى هذا المجرى ، فإنه إنما يُنظرُ فيه إلى المُستبهم وغير المستبهم فاعرفه .

وكان جماعة من أرباب هذه الصناعة يُعجبون بقول بعض الأعراب ، ويزعمون أن ذلك من أصح التفسيرات وهو قولهم : « النعمُ ثلاث : نعمة في حال كونها ، ونعمة تُرجى مستقبله ، ونعمة تأتي غير مُحْتَسَبَة ، فأبقى الله عليك ما أنت فيه ، وحقق ظنك فيما ترجيه ، وتفضل عليك بما لم تحسبه » .

وهذا القول فاسدٌ ، فإن في أقسام النعم التي قَسَمَها نقصا لا بد منه ، وزيادة لاحاجة إليها ، فأما النقصُ فإففال الدمة الماضية ، وأما الزيادة فقوله بعمد المستقبله « ونعمة تأتي غير مُحْتَسَبَة » ، لأن النعمة التي تأتي غير مُحْتَسَبَة داخلة في قسم النعمة المستقبله ، وذلك أن النعمة المستقبله تنقسم قسمين : أحدهما يُرْجَى حصوله ، والآخر لا يُحْتَسَب ، فقوله « ونعمة تأتي غير مُحْتَسَبَة » يوم أن هذا القسم غير المستقبل ، وهو داخل فيه .



وعلى هذا فكان ينبغي له أن يقول: النعم الثلاث نعمة ماضية ، ونعمة في حال كونها ، ونعمة تأتي مستقبلة ، فأحسن الله آثار النعمة الماضية ، وأبقى عليك النعمة التي أنت فيها ، ووفر حظك من النعمة التي تستقبلها .

ألا تراه لو قال ذلك لكان قد طابق به مفصل الصواب ؟  
وقد استوفى أبو تمام هذا المعنى في قوله :

جِئْتُ لَنَا فِرْقُ الْأَمَانِي مِنْكُمْ      بِأَبْرٍ مِنْ رُوحِ الْحَيَاةِ وَأَوْصِلِ  
فَصَنِيمَةً فِي يَوْمِهَا وَصَنِيمَةً      قَدْ أَخَوَكْتَ وَصَنِيمَةً لَمْ تَحْوِلِ  
كَالْمُزْنِ مِنْ مَاضِي الرَّبَابِ فَتَقْبِلِ      مُتَنَظِّرٍ وَتُحْيِمِ مُتَمَلِّلِ (١)

ووقف أعرابي على مجلس الحسن البصرى رضى الله عنه فقال : « رحم الله عبدا أعطى من سعة ، أو آتى من كفاف ، أو أمر من قلة » فقال الحسن البصرى : ما ترك لأحد عذرا .

وقد عاب أبو هلال العسكري على جميل قوله :

لو كان في قلبى كَقَدَرِ قَلَامَةٍ      حُبًّا وَصَلْتُكَ أَوْ أُنْتُكَ رَسَائِلِ (٢)

فقال أبو الهلال إن إتيان الرسائل داخل في جملة الوصل (٣) ، وليس الأمر

---

(١) من مدحه لأحمد بن أبي دواد الإباضى (الديوان ٤٩/٣) في الأصل فوق بدلا من فرق .

(٢) قبل هذا البيت أبيات منها :

قرب طارئة علينا وصلها      بالجد تخلطه بقول الهازل  
فأجبتها بالرفق بعد نعت      حي يثنيه عن وصالك شاغلي

(الديوان ٨٣)

(٣) الصناعمين ٣٤٨ .

كما وقع له ، فإن جيلا إنما أراد بقوله وصلتك أى أتيتك زائرا وقاصدا ،  
أو كنت راسلتك مراسلة ، والوصل لا يخرج عن هذين الوصفين ، إما زيارة  
وإما رسالة .

ومن أعجب ما وجدته فى هذا الباب ما ذكره أبو الملاء محمد بن غانم  
المعروف بالغانمى وهو قول الدهاس بن الأحنف :

وِصَالِكُمْ هَجْرٌ وَحِبِّكُمْ قِلٌّ وَعَطْفِكُمْ صَدٌّ وَسِدُّكُمْ حَرْبٌ<sup>(١)</sup>

ثم قال الغانمى : هذا والله أصح من تقسيمات إقليدس<sup>(٢)</sup> .

ويألف المعجب ، ابن التقسيم من هذا البيت ؟ هذا والله فى واد والتقسيم  
فى واد ، ألا ترى أنه لم يذكّر شيئا تخمضه القسمة ، وإنما ذمّ أحبابه فى سوء  
صنيعهم به ، فذكر بعض أحواله معهم ، ولو قال أيضا :

وَلِيْنِكُمْ عُنْفٌ وَقُرْبِكُمْ نَوَىٰ وَإِعْطَاؤُكُمْ مَنَعٌ وَصِدْقِكُمْ كِذْبٌ

لكان هذا جائزا . وكذلك لو زاد بيتا آخر لجاز ، ولو أنه تقسيم لما احتمل  
زيادة ، والأولى أن يضاف هذا البيت الذى ذكره الغانمى إلى باب المقابلة ، فإنه  
أولى به ، لأنه قابل الوصل بالهجر ، والعطف بالصد ، والسلام بالحرب .

ومن فساد التقسيم قول البحترى فى قصيدته التى مطلعها :

« ذاك وادى الأراك فأحبس قليلا » فقال :

(١) الديوان ١٣

(٢) سبق التعريف بالغانمى . إقليدس : رياضى هندسى يونانى قديم .

قَفْ مَشُوقًا أَوْ مُسَمِّدًا أَوْ حَزِينًا أَوْ مُعِينًا أَوْ عَازِرًا أَوْ حَذُولًا<sup>(١)</sup>

فإن المشوق يكون حزينا ، والمسعد يكون معينا ، وكذلك يكون عاذرا .  
وكثيرا ما يقع البهقري في مثل ذلك .

وكذلك ورد قول أبي الطيب المتنبي وهو .

فأفخر فإن الناس فيك ثلاثة<sup>(٢)</sup> مستعظم أو حاسد أو جاهل

فإن المستعظم يكون حاسدا والحاسد يكون مستعظما ، ومن شرط التقسيم  
ألا تتداخل أقسامه بعضها في بعض .

ومن هذا الأسلوب ما ورد في أبيات الحماسة<sup>(٣)</sup> وهو :

وكنْتَ امرأَ إِمَّا ائْتَمَنْتُكَ خَالِيَا قَبَخْتُ وَإِمَّا قَلْتَ قَوْلًا بِلَا عِلْمٍ  
فَأَنْتَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي قَدْ أَتَيْتَهُ بِمَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْخِيَانَةِ وَالْإِثْمِ  
فإن الخيانة من الإثم ، وهذا تقسيم فاسد .

(١) في مدح محمد بن علي عيسى القمي . والشطر الثاني هو : « مقصرا من صباية أو  
مطيلا » الديوان ٢١٠/٢

(٢) من قصيدة في مدح القاضي أبي الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكي ، مطلعها :  
لله يا منازل في القلوب منازل أفقرت أنت ومن منك أو اهل  
(الديوان ٤٥٥/٢)

وفي الديوان (يا أفخر) يريد ما هذا أفخر ، غذف للنادي كقراءة علي بن حمزة (ألا  
يا اسجدوا لله الذي يخرج الحب) أو أن حرف النداء هنا لتفنيه مثل ألا ، كقول ذي الرمة:  
ألا يا اسلمي ياداري على البلى ولا زال منهلا بجر عائتك القطر  
(٣) ذكر التبريزي أن القائل عبد الله بن عام السلوي ، وكان قد وشى به واشى إلى  
زياد بن أبي سفیان ، ثم جم بينهما زياد ، فقال عبد الله لواشى هذين البيعين وفي الحماسة  
(وأنت امرؤ إمامتتكت)

(شرح التبريزي لديوان الحماسة ١٤٢/٣ وشرح الرزوقي ١١٣٩/٣)

ومما جاء من ذلك نثرا قول بعضهم في ذكر منزهين « فمن جريح مُتَصَرِّجٍ  
بدمائه ، وهارب لا يلتفت إلى ورائه » فإن الجريح قد يكون هاربا ، والهارب  
قد يكون جريحا . ولو قال فَمِنْ بين قتيل ومأسور وفاج ، لصح له التقسيم ،  
أولو قال فَمِنْ بين قتيل ومأسور لصح له التقسيم أيضا ، لعدم الناجي بينهما .

وقد أحسن البحترى في هذا المعنى حيث قال :

غَادَرْتُهُمْ أَيْدِي الْمَتِيَّةِ صُجُوحًا      بِالْقَنَا بَيْنَ رُكُوعٍ وَسُجُودٍ  
فَهُمْ فَرَقَتَانِ بَيْنَ قَتِيلٍ      قُنِصَتْ نَفْسُهُ بِمِحْدٍ الْحَدِيدِ  
أَوْ أُسِيرَ غَدَالُهُ السَّجْنُ لِحْدًا      فَهُوَ حَيٌّ فِي حَالَةِ الْمَأْجُودِ  
فِرْقَةٌ لِلسُّيُوفِ يَنْفُذُ فِيهَا السُّحُكُومُ قَصْدًا أَوْ فِرْقَةٌ لِلْقَبُودِ<sup>(١)</sup>

ومن فساد التقسيم قول أبي تمام :

وَمَوْقِفٌ بَيْنَ حُكْمِ الذُّلِّ مَنقَطَمٌ      صَالِيهِ أَوْ مَجْهَالِ الْمَوْتِ مُتَّصِلٌ<sup>(٢)</sup>

فإنه جعل صالي هذا الموقف إما ذليلا عنه أو هالكا فيه ، وهاهنا قسم ثالث  
وهو ألا يكون ذليلا ولا هالكا ، بل يكون مُقَدِّمًا فيه ناجيا . وفي هذا نظر  
على من ادعى فساد تقسيمه ، فإن أبا تمام قصد التلو في وصف هذا الموقف ،  
فقال إن الناس فيه أحدٌ رجلين : إما ذليل عن مَوْرِدِهِ ، وإما هالك فيه ، أي  
أنه لا ينجو منه أحد يَرِدُهُ .

وهذا تقسيم صحيح لا فساد فيه .

(١) ليست بديوانه .

(٢) من قصيدته في مدح المعتصم بالله والى في الديوان ( ومشهد بين حكم القل )

### ترتيب التفسير

والقسم الثالث في ترتيب التفسير وما يصحح من ذلك وما يفسد .  
اعلم أن هذه الترتيب في ذلك أن ويذكر في الكلام معان مختلفة ، فإذا عيّد  
إليها بالذكر لتفسر قدم للقدم وأخر المؤخر ، وهو الأحسن ، إلا أنه قد ورد  
في القرآن الكريم وغيره من الكلام الفصيح ، ولم يرع فيه تقديم للقدم  
ولا تأخير المؤخر ، كقوله تعالى : « أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من  
السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء  
إن في ذلك لآية لكل عبد منيب <sup>(١)</sup> » ولو قدم تفسير المقدم في هذه الآية وأخر  
تفسير المؤخر لقال إن نشأ نسقط عليهم كسفاً من السماء أو نخسف بهم  
الأرض .

وكذلك ورد قوله تعالى : « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، فاما الذين  
اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون .  
وأما الذين ابيضت وجوههم <sup>(٢)</sup> » فقدم المؤخر وآخر المقدم .  
والقسمان وردا جعباً في القرآن الكريم .

فما روى فيه تقديم المقدم وتأخير المؤخر قوله تعالى : « وما تؤخره إلا لأجل  
معدود ، يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد ، فاما الذين  
شقوا في النار لهم فيها زفير وشهيق ، خالدين فيها ما دامت السموات والأرض  
إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد . وأما الذين سعدوا في الجنة خالدين

(١) سورة سبأ ٩ .

(٢) سورة آل عمران ١٠٦ .

فيها مادامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ<sup>(١)</sup> »

ومن ذلك قوله تعالى : « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مُبصرة<sup>(٢)</sup> .

وكذلك قوله تعالى : « هو الذي جعل لكم الليل أنسكنوا فيه والنهار مُبصراً<sup>(٣)</sup> » فلما قدم الليل في الذكر على النهار قدم سبب الليل وهو السكون على سبب النهار وهو التميش .

ومن ذلك ما كتبه في كتاب تمزية وهو فصل منه قلت : ولقد أوحشت منه للعالي كما أوحشت المنازل ، وآمت المسكارم كما آمت الحلائل ، وعمت لوعة حطبه فما تشكك كل إلا إلى ثا كل ، وما أقول فيمن عدت الأرض منه حياها ، والحامد تحياها ، فلو نطق الجاد بلسان ، وتصور المعنى ليران ، لأفربت تلك عن ظمأ صيدها ، وبرزت هذه حاسرة حول فقيدها .

ومن ذلك ما كتبه في فصل من كتاب إلى بعض الإخوان قلت « وما زالت أيادي سيدنا متنوعة في زيادة جودها وكتابها ، فهذه متطولة بترقية وزدها ، وهذه آخذة بسنة أغبائها ، وأحسن ما في الأولى أنها تأتي متحلية بفواضل الإكثار ، وفي الثانية أنها تأتي متحلية بفضائل الاختصار ، فاختصار هذه في فوائد أقلامها ، كتطويل تلك في عوائد إنعامها ، وقد أصبحت خواطري مستغرقة بإنشاء القول المبكر في شكر الفضل المطول وجراب البيان المختصر ،

(١) سورة هود ١٠٥

(٢) سورة الإسراء ١٢

(٣) سورة يونس ٦٧ كان في الأصل تحريف في الآية .

وما جعل الله لها من سلطان للبلافة ما يستعمل بأداء حقوق تُنقلُ على الرقاب ،  
ومقابلة بلاغات تُنقلُ على الأبواب .

وما جاء من ذلك شعرا قول إبراهيم بن العباس :

لنا إبلٌ كُومٌ يَضِيقُ بها الفِضَا وَيَقْتَرُّ عنها أرضها وسماؤها  
فإن دورنها أن تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُنا وَمِنْ دوننا أن تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُها  
حِمْيَ وَقِرَى فَاَلْمُوتُ دُونَ مَرَامِها وَأُيسِرُ حَطْبِ يَوْمَ حُقِّ كَفَاؤُها<sup>(١)</sup>

وهذه الأبيات من نادر ما يحىء في هذا الباب معنى وترتيب تفسيره .

وما جاء منه أيضا قول أبي تمام :

وما هو إلا الوخى أوحده مُرَهَفٍ نُبَيْلٌ ظَبَاهُ أَخَذَ عَى كُلِّ ما قَلَّ  
فهذا دواء الداء من كلِّ عالم وهذا دواء الداء مِنْ كلِّ جاهل  
وكذلك قوله أيضا :

وكان لهم غَيْثًا وِرْطًا مُعْتَمِدٌ فَيَسْأَلُهُ أو باحثٌ فَيَسْأَلُهُ<sup>(٢)</sup>

وهذا من بديع ما يأتي في هذا للباب .

ومما ورد منه قول علي بن جبلة :

حقى وَقَفَ الأيَّامَ بالكُحْطِ والرضا على بَدَلِ عُرْفِ أو على حدٍ مُنْصَلٍ

ومن الحسن في هذا الباب قول أبي نواس :

(١) ديوان إبراهيم بن العباس بن محمد بن سول ١٦٣ كوم : جمع كوماه وهي الناقة الضخمة السنام

(٢) من لصيدته في مدح المتصم والأشبين التي مطلعها :

غدا الملك معمور الحمى وللنازل منور وحف الروض عذب الناامل

الديوان ٧٩/٣

(٣) الديوان ٣٢٧ في رثاء القاسم بن طوق

يَرْجُو وَيَحْشَى حَالَتَيْكَ الْوَرَى كَأَنَّكَ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ<sup>(١)</sup>

وكذلك ورد قول بعض المتأخرين ، وهو القاضي الأَرَجَانِي :

يَوْمَ الْمَتِيمِ فِيكَ حَوْلٌ كَامِلٌ يَتَعَابُ الْفَصْلَانِ فِيهِ إِذَا أُنِيَّ  
مَا بَيْنَ حَرٍّ جَوْيٍّ وَمَاءٍ مَدَامِجٍ إِنْ حَنَّ صَافٍ وَإِنْ بَكَى وَجَدَا شَتَا<sup>(٢)</sup>  
ومأخذ على الفرزدق في هذا الباب قوله :

لَقَدْ جِئْتَ قَوْمًا لَوْلَجَاتٍ إِلَيْهِمْ طَرِيدَ دِيمٍ أَوْ حَامِلًا تَقْلَ مَغْرَمٍ  
لَأَلْفَيْتَ مِنْهُمْ مُعْطِيًا أَوْ مُطَاعًا عِنَا وَرَأَاكَ شَزْرًا بِالْوَشِيحِ الْمَقْوَمِ<sup>(٣)</sup>

لأنه أصاب في التفسير وأخطأ في الترتيب ، وذلك أنه أتى بتفسير ما هو أول  
في البيت الأول ثانيًا في البيت الثاني ، والأولى أن كان أتى بتفسير ذلك مرتبًا ،  
ففسر ما هو أول في البيت الأول بما هو مكان في البيت الثاني .

(١) من نصيده التي مدح بها العباس بن الفضل بن الربيع ، التي مطلعها :

أَمْنِكَ لِلْمَكْتُومِ إِظْهَارِ أَمْ مِنْكَ تَغْيِيبِ وَإِنْكَارِ  
الديوان ٤٤٤ تغيب : دفاع هي

(٢) من مدحته للفقير جمال الدين بن الحسن بن سليمان ، ومطلعها :

يَا مَعْرُضًا قَدْ أَنْ أَنْ تَلَفْنَا تَعْدِيبِ قَلْبِي الْمَسْتَهَامِ لِي مَتَى

(٣) كان القمقام بن عوف بن معبد بن زرارة قد أصاب دما في بني سعد بن زيد مناة  
وهرب ، فشكاه بنو سعد إلى والي البصرة حينئذ عبيد الله بن زياد ، فبعث وراءه رئيس  
شرطته هبيرة بن ضمضم المجاشعي ، وقال له : لئن لم تأتي به قتلتك ، فظفر به هبيرة ، فامتنع عليه ،  
فصوب إليه هبيرة الرمح ليستسلم وهو لا يريد قتله ، فأصابه الرمح في جوفه فات مكانه ،  
وعاد هبيرة خائبًا ، فقال الفرزدق أياتًا يعرض فيها بضمضم ، مطلعها .

وقائلة والدمع يحدر كحلها لبئس المدى أجرى إليه ابن ضمضم  
والبيتان في الديوان هكذا :

لَقَدْ خَنَتْ قَوْمًا لَوْلَجَاتٍ إِلَيْهِمْ طَرِيدَ دِمٍ أَوْ حَامِلًا تَقْلَ مَغْرَمٍ  
لَأَلْفَيْتَ مِنْهُمْ مُعْطِيًا وَمُطَاعًا عِنَا وَرَأَاكَ شَزْرًا بِالْوَشِيحِ الْمَقْوَمِ  
( الديوان ٧٤٩/٢ شزرا : المراد في غضب . الوشاح المقوم : الرمح .



واعلم أن الناظم لا ينكر عليه الذي ينكر على النار ، لأن الناظم يضطره  
الوزن والقافية إلى ترك الأولى .

وأما فساد التفسير فإنه أفصح من فساد ترتيبه ، وذلك أن يؤتى بكلام ثم  
يفسر تفسيراً لا يناسبه ، وهو عيب لا تسامح فيه بحال . وذلك كقول بعضهم :

فيا أيها الحيرانُ في ظلمة الدجى ومن خاف أن يلقاه بنى من العدا  
تعالَ إليه تلقَ من نور وجهه ضياءً ومن كفيه بجزأ من الندى

وكان يجب على هذا الشاعر أن يقول بإزاء بنى العدا ما يناسبه من النصرة  
والإعانة أو ما جرى مجراها ليكون ذلك تفسيراً له ، كما جعل بإزاء الظلمة  
الضياء ، وفسرها به ، فأما أن جعل بإزاء ما يتخوفُ منه مجراً من الندى ،  
فإن ذلك غير لائق .

### النوع الخامس والعشرون

## في الاقتصاد والتفريط والإفراط

اعلم أن هذه المامى الثلاثة من الاقتصاد والتفريط والإفراط توجد في  
كل شيء من علم وصناعة وخلق ، ولا بد لنا من ذكر حقيقتها في أصل اللغة ،  
حتى تتبين نقلها إلى هذا النوع من الكلام .

فأما الاقتصاد في الشيء فهو من القصد الذي هو الوقوف على الوسط الذي لا يميل  
إلى أحد الطرفين ، قال الله تعالى : « فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصدٌ ومنهم سابق  
بالخيرات <sup>(١)</sup> » فظلم النفس والسبق بالخيرات طرفان ، والاقتصاد وسط بينهما .

وقال تعالى : « والذين إذا أنفقوا لم يُسرفوا ولم يُقتروا وكان بين ذلك قَوَامًا<sup>(١)</sup> » فالإسراف والإقتار طرفان، والقَوَام وسطٌ بينهما .

وقال الشاعر<sup>(٢)</sup> .

عليك بالقصد فيما أنت فاعله إن التخلق يأتي دونه الخلقُ  
وأما التفريط فهو التقصير والتصنيع ، ولهذا قال الله تعالى : « ما فرطنا  
في الكتاب من شيء »<sup>(٣)</sup> أي ما أهملنا ولا ضيعنا .

وأما الإفراط فهو الإسراف وتجاوز الحد ، فيقال أفرط في الشيء إذا أسرف  
وتجاوز الحد ، والتفريط والإفراط هما الطرفان البعيدان ، والاقتصاد هو  
الوسط المعتدل .

وقد نُقِلَت هذه المسامى الثلاثة إلى هذا النوع من علم البيان .

أما الاقتصاد فهو أن يكون المعنى للضمير في العبارة على حسب ما يقتضيه المعبرُ  
عنه في منزلته .

وأما التفريط والإفراط فهما ضدان ، أحدهما أن يكون المعنى للضمير في  
العبارة دون ما يقتضيه منزلة المعبر عنه ، والآخر أن يكون المعنى فوق منزلته .

[ التفريط ]

والتفريط في إيراد المعاني الخطأية قبيح لا يجوز استعماله بوجه من الوجوه ،  
والإفراط يجوز استعماله ، فنه الحسن ، ومنه دون ذلك ،

(١) سورة الفرقان ٦٧ .

(٢) هو سالم بن إبسة . شرح المهاسة للبريزي ٢/٢٣٦ وللرزوقي ٧١٠ .

(٣) سورة الأنعام ٣٨

فما جاء من التفريط قول قول الأعشى :

وما مُزِيدٌ من خليج الفسرا ت جَوْنٌ فَوَارِبُهُ تَلْتَعِمُ  
بأجودَ منه بَمَاعُورِهِ إِذَا مَا سَمَاؤُهُمْ لَمْ تَقِمِ (١)

فإنه مدح ملكا بالجد بما عونه ، والماعون كل ما يستعان من قدوم أو  
خصعة أو قدير أو ما أشبه ذلك ، وليس للوك في بذله مدح ، ولا لأوساط  
الناس أيضا ، وفي مدح السوقه به قولان ، ومدح الموك به عيب وذم فاحش ،  
وهذا من أفتح التفريط .

وما يجرى هذا المجرى قول الفرزدق :

ألا ليتنا كنا ببييرين لا رِزْدٌ على حاضرٍ إلا نُنْشَلُ ونُقَذَفُ  
كلانا به عرٌّ يخافُ قرانهُ  
طَلَى النَّاسِ مَطْلِي المَـشَاعِرِ أَخْشَفُ (٢)

(١) من قصيدته في مدح قيس بن معد يكرب ، التي مطاها :

أتهجر غائبه أم نلم أم الجبل واه بها منجذم  
الديوان ٣٥ .

(٢) من إحدى نقائضه (الديوان ٢ / ٥٥١) والبيتان في الديوان هـ - كذا :

فإليتنا كنا ببييرين لا نرد على منهل إلا نشل ونقذف  
كلانا به عر يخاف قرانه على الناس مطلق الماعر أخشف  
وكان بالأصل (قرانه) و(المشاعر) .

المنهل : الماء . نشل : نظرد . العر بفتح العين : الجرب وضمها فرح ليست بالجرب .  
القراف : الخاضة وداة يقتل البعير . الماعر : أصول النخزين والإبطن ، لأنها أول  
ما يشتد فيها الجرب . ويروي الأشاعر . الأخشف : الجلد اليابس من الجرب .

ولكثير عزة أمنية مثل هذه في قوله :

ألا ليتنا ياعر من غير ريبة  
كلانا به عر فن يرنا يقل  
فكون لقي مال كثير مفضل  
إذا ما وردنا منها صاح أهله  
بميرات ترمى في الخلاء ونزب  
على حسنها جرباه تمدى وأجرب  
فلا هو برمانا ولا نحن نطلب  
طينا فلا تنفك ترمى ونضرب

(للوشم ١٥٥)

هذا رجل ذهب عنه حين نظم هذين البيتين ، فإن مراده منهما التفضل  
بمحبوبه ، وقد قصر تمنيه على أن يكون هو ومحبوبه كجهدين أجريين ،  
لا يقربهما أحدهما ولا يقربان أحداً إلا طردهما ، وهذا من الأمانى السخيفة ، وله  
في غير هذه الأمانة مندوحات كثيرة .

وما أشبه هذا بقول القائل :

يَا رَبِّ إِنْ قَدَّرْتَهُ امْتَبِلْ غَيْرِي فَلِلْأَفْدَاحِ أَوْ لِلْأَكْوَسِ

وَإِذَا حَكَمْتَ لَنَا بَعَيْنِ مُرَاقِبِ

فِي الدَّمْرِ فَلْتَكُ مِنْ عُيُونِ التَّرْجِسِ

فانظر كم بين هاتين الأمانيتين .

ومما أخذ على أبي نواس في قصيدته للبيبة اللوصوفة التي مدح بها الأمين  
محمد بن الرشيد وهو قوله :

أصبحت يا ابن زبيدة ابنة جعفر

أَمْلاً لَعَلَّ حِبَالَهُ اسْتَحْكَمَ (١)

فإن ذكر أم الخليفة في مثل هذا اللوضع قبيح .

وكذلك قوله في موضع آخر :

وليس كجدتيه أم موسى إذا نسيت ولا كاختران (٢)

(١) من قصيدته في مدح الأمين التي مطلعها :

بادار ما فعلت بك الأيام ضامتك والأيام ليس تضام

(الديوان ٤٠٧)

(٢) من مدحته للأمين ، التي أولها :

رضينا بالأمين من الزمان فأضحى الملك معمور المنان

وهذا النوع من الحديث لا فائدة فيه ، فإن شرف الأنساب إنما هو إلى الرجال لا إلى النساء . وبإلتي شمرى أما سمع أبو نواس قول قُتَيْبَةَ بنت النضر في النبي صلى الله عليه وسلم :

أحمد ولأنت نجلٌ كريمٌ  
من قومها والفحلُ فحلٌ مُعْرَقُ  
ما كان ضَرْكٌ لو مَنَنْتَ ورُبَّما  
مَنْ النَّتَى وهو المَنْيِظُ المَحْنَقُ (١)

فإنها ذكرت الأم بغير اسم الأم ، وأبرزت هذا الكلام في هذا اللباس الأنيق . وكذلك فليكن للدح إذا مدح ، وأبو نواس مع لطافة طبعه وذكاؤه يوما كان يوصف به من القطنلة قد ذهب عليه مثل هذا الموضع مع ظهوره .

وليس لقائل أن يتراض على ما ذكرته بقوله تعالى حكاية عن موسى وأخيه هارون عليهما السلام « قال يا ابن أمِّ لا تأخذْ بليحي ولا برأسِ » (٢) فإن الفرق بين الموضمين ظاهر ، لأن للنكر على أبي نواس إنما هو التحلف باسم الأم وهي زبيدة ، وكذلك اسم الجدَّة وهي الخيزران ، وليس كذلك ما ورد في الآية . فإن قيل قد ورد في القرآن الكريم ما بسوغ لأبي نواس مقالته وهو قوله تعالى :

(١) وفدت قتيبة بنت النضر بن الحارث على النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أمر بقتله عقب غزوة بدر، فألعدته أبياتا أولها:

ياراكبا إن الأئيل مظنة  
بلغ به ميتا فإن تحية  
من صبح خاسة وأنت موفق  
ما إن تزال بها الركائب تحقق .

سيرة ابن هشام (٣٥٩/١) والإصابة ٨٠٨ قسم النساء ومعجم البلدان (الأئيل) والسنة ٣٠/١  
وذكر ابن إسحاق في السيرة وأبو الفرج في الأغاني ٩/١ والمصري في زهر الأدب ٢٧/١  
أنها بنت الحارث ، وتكون إذا أخت النضر لابنته

الأئيل : موضع كان فيه قبر النضر . المظنة : المنزل المعلم : من صبح خاسة : تريد من  
من صبح ليلة خامسة ليلة التي تبدأ فيها السير إلى الأئيل وأنت على الطريق غير عادل عنه  
تحقق : تضرب وتتهرك .

(٢) - ورة طه ٩٤

« وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي آلتي من دون الله<sup>(١)</sup> » فناداه باسم أمه ، فقلت الجواب عن ذلك من وجهين .

أحدهما أن عيسى عليه السلام لم يكن له أب فنودي باسم أمه ضرورة ؛ إذ لو كان له أب لنودي باسم أبيه .

الوجه الآخر أن هذا النداء إنما هو من الأهل إلى الأدنى ، إذ الله سبحانه وتعالى هو الرب وعيسى عليه السلام عبده ، وهذا لا يكون تفریطاً ، لأنه لم يعبّر عنه بما هو دون منزلته .

على أن أبا نواس لم يوقفه في هذه العترة إلا ما سمعه عن جرير في مدح صهر بن عبد العزيز كقوله :

وَنَبِيَّ الْمَجْدِ يَا عَمْرَ بْنَ آيِلَى وَتَسْكُنِي الْمُهَجَّلِ السَّنَةِ الْجَمَادِ<sup>(٢)</sup>  
وكذلك قال فيه كثيرٌ عزّة أيضاً .

وليس للميب من هذا يخاف ، فإن العرب قد كان يعبّر بعضها بعضها بنسبته إلى أمه دون أبيه ، ألا ترى أن صهر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقال له ابن حنتمة ، وإنما كان يقول ذلك من بغض منه ، وإنما قول النبي صلى الله عليه وسلم للزبير بن صفيّة « بشرّ قاتل ابن صفيّة بالنار » فإن صفيّة كانت عمّة النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما نسبه إليها رفعا لقدره في قرب نسبه منه وإنه ابن عمته ، وليس هذا كالأول في الغرض من صهر رضى الله عنه في نسبه إلى أمه<sup>(٣)</sup> .

(١) سورة المائدة ١١٦

(٢) من قصيدته التي مطلعها :

أبت هيثاك بالمدن الرقادا وأنكرت الأماذق والبلاذ

( الديوان ١٣٤ )

(٣) لم يكن النسب إلى الأم تحقيرا ، كما توهم ابن الأثير .

فقد كانت له بواعث شتى ، منها تكريم الأم المنجبة وتمجيدها ، ومنها الفخر بها لرافقتها ، ومنها مدح أبنائها بنسبهم إليها ، ومنها أن تكون الأم أعظم شهرة من الأب وعزاقة .

وكان في قابل من الأحيان للتحقير ( المرأة في الشهر الجاهل للدكتور أحمد الحوفي ٨٠ )

وقد طاب بعض من يتهم نفسه بالمعرفة قول أبي نواس في قصيدته السينية  
التي أولها « نَبِيَّةٌ أَدْرِيكَ قَدْ نَمَسَ » . فقال من جعلها :

وَرِثَ الْخِلَافَةَ خَامِسًا      وَبَخِرَ سَادِسَهُمْ سَدَسًا<sup>(١)</sup>

قال وفي ذكر السادس نظر ، وباعجباله مع معرفته بالشعر ، كيف ذهب  
عليه هذا الموضع ، أما قرأ سورة الكهف ؟ يريد قوله تعالى : « ويقولون خمسة  
سادسهم كلهم<sup>(٢)</sup> » وهذا ليس بشيء ، لأنه قد ورد في القرآن الكريم ما ينقضه  
وهو قوله تعالى « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَلْعَلُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ  
نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ<sup>(٣)</sup> » .

وعما عبته على البحترى قوله في مدح الفتح بن خاقان في قصيدته المشهورة  
عند لقائه الأسد التي مطلعها « أَجِدُّكَ مَا يَنْفِكُ يَمْرِي زَيْنِيَا » . قال :

شَهِدْتُ لَقَدْ أَنْصَتَهُ      حِينَ تَنْبَرِي      لَهُ مُصَلِّيًا عَضْبًا مِنْ الْبَيْضِ بِقَضْبًا  
فَلَمْ أَرْضِرْ غَامِثِينَ أَبْصَدَقَ مِنْكُمْ      حِرًّا كَأِذَا الْهَيْبَةُ لِلنُّكْسِ كَذَّبًا<sup>(٤)</sup>

قوله إذا الهيباة النكس تقريظ في المدح ، بل كان الأولى أن يقول إذا  
البطل كذب ؛ وإلا فأى مدح في إقدام المقدم في الموضع القدي يفر منه الجبان .

(١) من قصيدته في مدح الأمين ( الديوان ٤١٧ )

والمعروف أنه سادس خلفاء بني العباس ، والخمسة هم عبد الله السفاح والنصور والهادي والمهدي  
والرشيد . وسدسهم صار لهم سادسا

(٢) سورة الكهف ٢٣ .

(٣) سورة المجادلة ٧

(٤) مطلع القصيدة :

أَجِدُّكَ مَا يَنْفِكُ يَمْرِي زَيْنِيَا      خِيَالٌ إِذَا آبُ الظَّلَامِ تَأْوَبَا

وفي الأصل تبتري بدلا من تبرى ( الديوان ٥٦/١ )

الأقال كما قال أبو تمام :

فَقِيَّ كَمَا ارْتَادَ الشَّجَاعُ مِنَ الرَّدَى مَفْرًا اغْدَاةَ الْمَازِقِ ارْتَادًا مَهْرَعًا<sup>(١)</sup>

وهي أسلوب البهتري ورد قول بعضهم من شعراء الحماسة :

وَأَنى لِقَوْلِ لَعَافٍ مَرَحَبًا وَلِلطَّالِبِ الْمَعْرُوفِ إِنَّكَ وَاجِدُهُ

وَأَنى لَمَنْ أَسْطُ الْكَفِّ بِالْأَنْدَى إِذَا شَنِجَتْ كَفَّ الْبَخِيلِ وَسَاعِدُهُ<sup>(٢)</sup>

وهذا معيب من جهة أنه لا فضل في بسط يده عند قبض يد البخيل ،

وإنما الفضيلة في بسطها عند قبض الكرام أيديهم .

ومن هذا الباب قول أبي تمام .

يَقِظُ وَهُوَ أَكْثَرُ النَّاسِ إِفْضًا ، عَلَى نَائِلٍ لَهُ مَسْرُوقٌ<sup>(٣)</sup>

فإنه أراد أن يمدح قدم

وعما هو أقبح من ذلك قوله أيضا :

تَشَقَّى الْحَرْبُ مِنْهُ حِينَ تَنْتَلِي مَرَاجِلَهَا بِشَيْطَانٍ رَجِيمٍ<sup>(٤)</sup>

وقد استعمل هذا في شعره حتى أغش كقوله :

(١) من رثائه ل محمد بن حميد ، ومطلع القصيدة :

أصم بك الناعي وإن كان أسما وأصبح مفتي الجود بمدك بلقا

وقد تقدمت القصيدة .

(٢) الفائل هو إياس بن الأرت (شرح الحماسة للبربري ٤/٢١٨) وللرزوقي ٤/١٦٨٥

العاق : طالب للمروف أو الطعام . شنجت كفه وساعده : كتابة من ظهور الجذب والبخل .

(٣) من قصيدته في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف ؛ ومطلعها :

ما عهدنا كذا بكاء المشوق . كيف والدم آية المشوق

الديوان ٢ / ٤٣٠ .

(٤) من مدحته لبعض بني عبد الكرم الطائين (الديوان ٢١٧) ومطلعها :

أرامة كنت مألّف كل ريم لو استمعت بالأنس المقيم

تنق : تجعل لها أناق وهي الحجارة التي ينصب عليها القدر . المراجيل : القدور . وفي الأصل

(ينق الحرب) . ليست القصيدة بالديوان .



أَنْتَ ذَكْوٌ وَذُو السَّمَاحِ أَوْ مَوْ سَى قَلِيبٌ وَأَنْتَ ذَلْوٌ الْقَلِيبِ<sup>(١)</sup>

ومراد من ذلك أنه جعله سبباً لمطاء المشار إليه ، كما أن الذلوة سبب في امتزاج الماء من القليب ، ولم يبلغ هذا المعنى من الإغراب إلى حدّ يُدَنِّدُنْ أبو تمام حوله هذه الدبذنة ويلقيه في هذا المثال السخيف ، على أنه لم يقنع بهذه السقطة القبيحة في شعره ، بل أوردتها في مواضع أخرى منه فمن ذلك قوله :

مَا زَالَ بَهْنَدِي بِالْمَسْكَارِمِ وَالْمَلَا حَقِي ظَنْنَا أَنَّهُ مَحْمُومٌ<sup>(٢)</sup>

فإنه أراد أن يبالغ في ذكر المدح بالهج بالمسكارم والملا ، فقال ما زال بهندي ، وما أعلم ما كانت حاله عند نظم هذا البيت .

وعلى نحو منه جاء قول بعض المتأخرين :

وَيَلْحَقُهُ عِنْدَ الْمَسْكَارِمِ هَزَةٌ كَمَا انْتَقَضَ الْمَجْهُودُ مِنْ أُمِّ مِلْدَمٍ<sup>(٣)</sup>

وهذا وأمثاله لا يجوز استعماله ، وإن كان المعنى المقصود به حسناً ، وكم من يقاؤل معنى كريماً فأساء في التصدير عنه حتى صار مذموماً كهذا وأمثاله .

---

(١) القليب : البئر . ليست القصيدة بالديوان . البيت بالصناعتين ٣٥٦

(٢) من مدحه لأبي الحسين محمد بن شبابة بن الهيثم التي مطلعها :

أَسْفَى طَوْلَهُمْ أَجْشُ هَزِيمٍ وَهَدَّتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةَ وَتَعِيمٍ

(الديوان ٢٨٩/٣) والبيت في الديوان هكذا :

ما زال بهندي بالموهوب دائماً حتى ظننا أنه محموم

ويروي بالموهوب والندی .

أجش : يوصف به الرعد كأن به جشة وقوة . هزيم : رعد ذو صوت ، أو رعد بمطر .

(٣) أم ملدم : الحمى .

ومن أحسن ما قيل في مثل هذا الموضع قول ابن الرومي :

ذهب الفين تهرتهم مُدَاهِمُ هَزَّ الكُمَاةِ عَوَالِي المُرَانِ  
كانوا إذا مُدِحُوا رأوا ما فيهمُ فالأزيمية منهمُ بمكان (١)

ومن شاء أن يمدح فليمدح هكذا وإلا فليسكت .

ووجدت أبا بكر محمد بن يحيى المعروف بالصولي قد هاب على حسان بن ثابت  
رضى الله عنه قوله :

إنا الجففاتُ الفرءُ يلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرن من بجمدة دما (٢)

وقال إنه جمع الجففات والأسياف جمع قلة وهو في مقام نخر ، وهذا مما  
يحط من المعنى ويضع منه ، وقد ذهب إلى هذا غيره أيضا ، وليس بشيء لأن  
الفرض إنما هو الجمع ، سواء أ كان جمع قلة أم جمع كثرة .

(١) الديوان ٤٧٤ من لصيدة ، طلعتها :

للمادحون اليوم أهل زماننا أولى من الحاجين بالجرمان

(٢) كان النابغة الذياني تضرب له قبة من آدم بسوق هكاظ ، يجتمع إليه فيها الشعراء ،  
فدخل إليه حمان بن ثابت وهنئه الأعتى وقد أنشده شعره ، وأنشدته الحنساء إحدى مراتبها ،  
فقال النابغة : لولا أن أبا بصير أنشدني قبلك ، لقلت إنك أشعر الناس ، أنت والله أشعر من  
كل ذات مثانة ، فقات والله ومن كل ذى خصيتين . فقال حسان : أنا والله أشعرك ومنها  
قال النابغة : حيث تقول ماذا ، قال حيث أقول :

لنا الجففات الفرء يلمعن بالضحا وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولدنا بني العنقاء وابني محرق فأكرم بناخالوا أكرم بنا ابنا

فقال النابغة : إنك لشاعر ، لولا أنك قلت عدد جفانك ، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر  
بمن ولدك . وفي رواية أخرى أنه قال له : قلت الجففات فقلت المدد ، ولو قلت الجفان لكان  
أكثر ، وقلت يلمعن في الضحا ، ولو قلت يبرقن بالدجا لكان أبلغ في المديح ، لأن الضيف  
بالليل أكثر طروقا ، وقلت يقطرن من نجدة دما ، فدالت على قلة القتل ، ولو قلت يجررن  
لكان أكثر ، لانصباب الدم ، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك . فقام حسان  
منكسرا منقطعا .

ويدل على ذلك قوله تعالى « إن إبراهيم كان أمةً قانتاً حينما ولم يك من المشركين ، شاكراً لأنمه اجتهاداً وهداه إلى صراطٍ مستقيم » (١) أتري نعم الله كانت قليلة على إبراهيم صلوات الله عليه ؟

وكذلك ورد قوله عز وجل في سورة النمل « وأذخلك في جيبك تخرجُ بيضاء من غير سوء في تسع آياتٍ إلى فرعونَ وقومه إنهم كانوا قوماً فاسقين ، فلما جاءتهم آياتنا مبصرةً قالوا هذا سحر مبين . وحججوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين » (٢) فقال واستيقنتها أنفسهم فجمع النفس جمع قلة ، وما كان قوم فرعون بالقليل حتى يجمع نفوسهم جمع قلة ، بل كانوا مئين ألوفا ، وهذا أيضاً مما يبطل قول الصولي وغيره في مثل هذا الموضوع ،

وكذلك ورد قوله عز وجل « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها » (٣) والنفوس الكفوارة والنائمة لا ينتهي إلى كثرتها كثرة لأنها نفوس كُُل من في العالم .

وأعلم أن للمدح ألفاظاً تخصه وللاذم ألفاظاً تخصه ، وقد تعمق قوم في ذلك حتى قالوا من الأدب ألا نخطب الملوك ومن يقاربه بكاف الخطاب ، وهذا غلط بارد ، فإن الله الذي هو مَلِكُ الملوك قد خطب بالكاف في أول كتابه العزيز فقيل « إياك نعبدُ وإياك نستعين » .

وقد ورد أمثال هذا في مواضع من القرآن غير محصورة ، إلا أني قد راجعت نظري في ذلك فرأيت الناس بزمانهم أشبهتهم بآبائهم (٤) والعوائد لا حكم لها ،

(٢) سورة النمل ١٢ - ١٤  
(٤) كانت في الأصل ( بآبائهم )

(١) سورة النحل ١٢٠ - ١٢١  
(٣) سورة الزمر ٤٢

ولا شك أن العادة أوجبت للناس مثل هذا التعمق في ترك الخطاب بالكاف ،  
لكنني تأملت أدب الشعراء والكتاب في هذا الموضع فوجدت الخطاب لا يعاب  
في الشعر ، ويعاب في الكتابة إذا كان الخطاب دون الخطاب درجة ، وأما إن  
كان فوقه فلا عيب في خطابه إياه بالكاف ، لأنه ليس من التفريط في شيء ،  
فمن خطاب الكاف قول النابغة :

وإنك كالليل القدي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسم<sup>(١)</sup>

وكذلك ورد قوله أيضاً :

حلفت فلم أترك لنفسك ربيبة وليس وراء الله للمرء مذنب<sup>(٢)</sup>

وعليه جاء قول بعض المتأخرين أيضاً فقال أبو تواس :

إليك أبا المصور عذبتُ نافتى زيارة خيلٍ وامتحان كريم

لأعلم ما تأتي وإن كنت طالاً بأنك مما تأت غير ملوم<sup>(٣)</sup>

وكذلك ورد قول السلايمي<sup>(٤)</sup> :

إليك طوى عرض البسيطة جاعل قصارى المطايا أن يلوح لها القصر

وبشرت آمالي بملك هو الوري وداري الدنيا ويوم هو الدهر<sup>(٥)</sup>

(١) من قصيدته في الاعتذار إلى النعمان بن المنذر (الديوان ٧١)

(٢) من اعتذاره للنعمان بن المنذر (الديوان ١٧)

(٣) من قصيدة في مدح الفضل بن الربيع ، مطلقها :

لمن دس تزاد حسن رسوم على طول ما أدوت وطيب نسيم

(الديوان ٤٤٧)

(٤) من أشهر شعراء العراق ولد بكرخ بباداد ٣٣٦ هـ وينسب إلى بني مخزوم (بنيمة

الدهر ٣٩٥/٢)

(٥) قصارى المطايا : مدقها وفاتيها . وكانت بالأصل نصار الطابا (بنيمة الدهر ٤٠١/٢)

وعليه ورد قوله البحرى :

واقعد أنيتك طالبا فبسطت من

أقبل وأطاب جودك كمنك مطلي<sup>(١)</sup>

وجل خطاب الشعراء المدوحين إنا هو بالكاف .

وذلك محذور على الكتاب ، فإنه ليس من الأدب عندم أن يخاطب الأذى الأعلى بالكاف ، وإنما يخاطبة مخاطبة النائب لا مخاطبة الماضر .

على أن هذا الباب بجملة 'يوكل' النظر فيه إلى فطانة الخطيب والشاعر ، وإس مما يوقف فيه على المسوع خاصة .

ومن اللطف ما وجدته أنك إذا خاطبت المدوح أن تترك الخطاب بالأمر بأن تقول افعل كذا وكذا ونخرجه مخرج الاستفهام ، وهذا الأسلوب حسن جدا ، وعليه مسحة من جمال ، بل عليه الجمال كله .

فما جاء منه قول البحرى فى قصيده أولها . « بؤدى لو يهوى الذول ويعشق » فقال فيها :

فهل أنت يا ابن الراشدين محتبى بياقوتة تبهى على وتشرق<sup>(٢)</sup>؟

وهذا من الأدب الحسن فى خطاب الخليفة ، فإنه لم يخاطبه بأن قال ختمنى بياقوتة على سبيل الأمر ، بل خاطبه على سبيل الاستفهام ، وقد أعجبني هذا المذهب وحسن عندى .

(١) الديوان ٢٠/١

وفيه (إني أنيتك) . أطلب جودك كمنك مطلي : أعطاني ما طلبت

(٢) من قصيدته فى مدح المعتز بالله ، والشطر الثانى من البيت هو :

فيلم أسباب الهوى كيف تطلق

(الديوان ١٢٤/٢)

تبهى : تحسن وتجميل . ويصح أن تكون تبهى على وزن تطلى والمعنى واحد . . .

وقدحذا حذو البحترى شاعر من شعراء عصرنا ، فقال في مدح الخليفة الناصر  
محمد بن الله أبي المباس أحمد من قصيدته على قافية الدال ، فقال من أبيات يصف  
بها قصيدته :

أَمْقَبُولَةٌ يَا ابْنَ الْخِلَافَةِ مِنْ نَبِيٍّ لَمْ يَكْ بَوْصِفِي غَاذَةُ الشَّعْرِ رُوْدُهُ (١)

فقوله أمقبولة من الأدب الحسن الذي نسج فيه على منوال البحترى .

وهذا باب مفرد ، وهو باب الاستفهام في الخطاب ، وإذا كان الشاعر فطنًا  
عالمًا بما يعضه من الألفاظ والمعاني تصرف في هذا الباب بضرور التصرفات ،  
واستخرج من ذات نفسه شيئاً لم يسبقه إليه أحد .

واعلم أن من المعاني ما يُعبَّرُ عنه بألفاظ متعدّدة ، ويكون المعنى المندرج تحتها  
واحداً ، فمن تلك الألفاظ ما يليق استعماله بالمدح ، ومنها ما يليق استعماله بالذم ،  
ولو كان هذا الأمر يرجع إلى المعنى فقط لسكانت جميع الألفاظ الدالة عليه سواء  
في الاستعمال ، وإنما يُرجعُ في ذلك إلى العرف دون الأصل .

ولنضرب له مثالا ، فنقول : هل يجوز أن يخاطب الملك فيقال له وحق دماغك  
قياساً على وحق رأسك ؟ وهذا يرجع إلى أدب النفس دون أدب الدريس ، فإذا  
أراد مؤلف الكلام أن يمدح ذكرَ الرأسِ والمائةَ والكاهلَ وما جرى هذا  
الجرى ، فإذا أراد أن يهجوَ ذكرَ الدماغِ والقفالَ (٢) وما جرى هذا  
الجرى ، وإن كانت معاني الجميع مقاربة . ومن أجل ذلك حسنت الكناية في  
الموضع الذي يقبح فيه التصريح .

(١) الرؤد والرأد والرئد : الشابة المسنة . المعنى هل تقبل في مدحى لك غاذة من شعري

(٢) قال : مجتمع مؤخر الرأس

ومن أحسن ما بلغني من أدب النفس في الخطاب أن عثمان بن عفان رضى الله عنه سأل قَبَاتَ بنِ أَشِيْمٍ فقال له : أنت أ كَبِيرُ أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أ كبر مني ، وأنا أقدم منه في الميلاد .

فانظر إلى أدب هذا العربي القدي من شأنه وشأن أمثاله جفاء الأخلاق ، والبعد عن فطانة الآداب .

ابو فرط :

وأما الإفراط فقد ذمه قوم من أهل هذه الصناعة وحده آخرون ، وللذهب عندي استعماله ، فإن أحسن الشعر أ كذبه ، بل أصدقه أ كذبه ، لكنه تفاوت درجاته ، فمنه المستحسن القدي عليه مدار الاستعمال ، ، ولا يطلق على الله سبحانه وتعالى ، لأنه مهما ذكر به من المغالاة<sup>(١)</sup> في صفاته فإنه دون ما يستحقه .

ومما ورد من ذلك في الشعر قول عنتره :

وأنا المنيّة في المواطنِ كلِّها      والطننُ مني سابقُ الآجالِ<sup>(٢)</sup>

وقد يروى<sup>(٣)</sup> بالياء وكلا المعنيين حسن إلا أن الياء أكثر غلوا .

ومما جاء على نحو ذلك قول بشار :

إذا ما غضبنا غضبةً مُضْرِبَةً      هتكنا حجابَ الشمسِ أو قطرت دما<sup>(٤)</sup>

(١) كانت الكلمة بالأصل ( المعاملات )

(٢) ديوان عنتره ١٢٩ والبيت بالديوان هكذا :

وأنا المنية حين تشتجر القنا      والطنن مني سابق الآجال

(٣) يروى سابق الآجال ، أي يسوقها .

(٤) روى البيت هكذا بالدمر والشعراء لابن قتيبة ١٧٨ والبيت بالأغانى ٣١/٣ هكذا

إذا ما غضبنا غضبة مضربة هتكنا حجاب الشمس أو قطرت النما

ومنه ما يستهجن ، كقول النابغة الذبياني :

إذا ارتفعتْ خاف الجبانُ رعاها ومن يتعلّق حيث علّق . يفرّق (١)

وهذا يعرف طول قامتها (٢) لكفه من الأوصاف المنكرة التي خرّجت بها المغالاة عن حيز الاستحسان .

وكذلك ورد قول أبي نواس :

وأخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التي لم تخلق (٣)

وهذا أشد إفراطاً من قول النابغة .

وبروي أن العتاني لقي أبا نواس فقال له أما استحييت الله حيث تقول ،  
وأشده البيت ، فقال له : وأنت ماراقت الله حيث قلت :

مازلت في عمّرات الموت مطرّحاً يضيّق عني وسيمع الرأي من حيلي  
فلم تزل دائماً تسقى بلطفك لي حتى اختلّت حياتي من يدي أجلى

فقال له العتاني : قد علم الله وعلمت أن هذا ليس مثل قولك ، ولكنك قد  
أعددت لكل ناصح جواباً :

(١) من أبيات له في النزول ، وبعده :

وإن ضحكك للعصم ظلت روايا إليها وإن تبسم لل المزن يبرق  
وتعتت : تقرط ، الرهنة : القرط

الديوان من مجموعة دواوين طبعة المطبعة الأهلية ببيروت ص ٥٦

(٢) لعله يريد طول عنقها ، لأن البيت كناية عن طول الرقبة لاطول القامة

(٣) من مدحة لرشيد ، مطالعها :

خلق الشباب وشرنى لم تخلق ورميت في مرض الزمان بأفوق

الديوان ٣٦٨ خلق مل وزن سمع وكرم ونصر : بل . الفقرة : الحدة والنشاط . مرض ::  
هدف . أفوق : سهم كسر فوفه أى موضع الوتر من السهم :



وقد أورد أبو نواس هذا المعنى في قالب آخر فقال :  
كَدَّتْ مَنَادِمَةُ الدَّمَاءِ سُيُوفَهُ فَاتَّقَلْنَا تَمْتَّازُهَا الأَجْفَانُ  
حَقِي النَّدَى فِي الرَّحْمِ لَمْ يَكُ صُورَةً لِفُؤَادِهِ مِنْ خَوْفِهِ خَفَقَانُ<sup>(١)</sup>

وما يحىء في هذا الباب ما يجري هذا الجرى .

وقد استعمل أبو الطيب المتنبى هذا القسم في شعره كثيراً فأحسن في مواضع  
منه ، فن ذلك قوله :

هَجَا جَا تَمْتَرُ العِقبَانُ فِيهِ كَانَ الجُرُوءُ وَعَثَّ أَوْ خَبَارُ<sup>(٢)</sup>

ثم أعاد هذا المعنى في موضع آخر فقال :

هَقَدَّتْ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا هَيْثَرًا لَوْ تَبَقَّصِي مَنَفَا عَلَيْهِ لَأَمْكَنَا<sup>(٣)</sup>

(١) من مدحه للرشيده ، مطلعها :

حَى الدِيَارِ إِذِ الزَّمَانِ زَمَانٍ وَإِذِ الشَّبَاكِ لَنَا حَرَى وَمَعَانٍ

الديوان ٤٠٤

الرحم : بكسر الراء وسكون الحاء ، وبكسرهما مما مقر الجنيين في بطن أمه . الشباك :  
جم شبكة . حرى : خليق بنا . معان : هون . يريد أن شباك الهوى فيها مضى كانت تصيب .

(٢) من مدحه لسيف الدولة ، مطلعها :

طَوَالَ لَنَا تَطَاهُنَهَا قِصَارٍ وَقَطَرَكِ فِي نَدَى وَوَفَى بِحَارٍ

الديوان ٢٤٣

هَجَا جَا : منصوبة على التبعية لما قبلها في بيت سابق . والمعراج : النيار .

العقبان : جم عقاب وهو طير جارح . الوعث : المسكان السهل اللين الذي تنفوس فيه  
الأقدام . الحبار : ملان من الأرض واسترخى . يريد أن العقبان التي تسير فوق الجيوش تمر  
في ذلك الحبار السكثيف ، فكأن الجوارض لينة تنفوس فيها أرجلها .

(٣) من قصيدة في مدح بدر بن عمار (الديوان ٤٢٠/٤) السنايك : جم سنبك وهو

طرف مقدم الحافر . العثير : النيار . العنق : سير شديد .

وهذا أكثر مغالاة من الأول .

ومن ذلك قوله أيضاً :

كأَنَّ تَتَلَقَّامَ لَتَسْلُكُهُمْ فَالطَّنُ يُفْتَحُ فِي الْأَجْوَانِ مَايَسَّعُ (١)

وعلى هذا ورد قول قيس بن الخطيم :

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتَقَسَّهَا يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَاوَرَاءَهَا (٢)

لكن أبو الطيب أكثر غلواً في هذا المعنى ، وقيس بن الخطيم أحسن ، لأنه قريب من المسكن ، فإن الطعنة تنفذ حتى يتبين فيها الضوء ، وأما أن يجعل للظنون مسلكاً يسلك كما قال أبو الطيب فإن ذلك مستحيل ، ولا يقال فيه بهيد .

أوفتصاه :

وأما الاقتصاد فهو وسط بين المنزلتين ، والأمثلة له كثيرة لا تحصى ، إذ كل ماخرج عن الطرفين من الإفراط والتفريط فهو اقتصاد .

ومن أحسنه أن يجعل الإفراط مثلاً ، ثم يستثنى فيه بلواً ويكاد وماجرى مجراها .

فمن ذلك قوله تعالى « يكاد البرق يخطف أبصارهم (٣) » وكذلك قوله عز وجل : « وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه إبداً (٤) » وقد ورد هذا في القرآن الكريم كثيراً .

(١) من مدح حيف الدولة ، مطلع القصيدة :

غبرى بأكثر هذا الناس ينخدع إن قاتلوا جنبوا أو حدثوا شجعوا

الديوان ٣٩٢/٢

(٢) شرح الحامسة للرزوق ( ١٨٤/١ ) يصف طعنته لابن عبد القيس :

طعنت ابن عبد القيس طعنة نائر لما نفذ لولا الشراع أضاءها

الشراع : يفتح الشين الدم المتفرق ، يريد أن الطعنة كانت تظهر الضوء لولا الدم المنبثق

من الجرح . (٣) سورة البقرة ٢٠ (٤) سورة الجن ١٩

ومما ورد منه شعرا قول الفرزدق :

يَسْكَدُ يُسْكِكُهُ عِرْقَانِ رَاحَتِهِ      رُكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ<sup>(١)</sup>  
وكذلك ورد قول البحتري :

فلو أن مشتاقا تسكَّانَ فوق ما      في وَسْمِهِ لَسَمَى إِلَيْكَ الْمُنْبَرُ<sup>(٢)</sup>  
وهذا هو اللذهب المتوسط .

النوع السادس والعشرون

### في الاشتقاق

اعلم أن جماعة علماء البيان يَفْضِلُونَ الاشتقاق عن التجنيس ، وليس الأمر كذلك ، بل التجنيس أَسْرَعُ لَهُمْ لِهَذَيْنِ النَوْعَيْنِ وَمِنَ الْكَلَامِ ، وَذَلِكَ أَنَّ التَّجْنِيسَ فِي أَصْلِ الْوَضْعِ مِنْ قَوْلِهِمْ : جَانَسَ الشَّيْءُ الشَّيْءَ إِذَا مَاتَهُ وَشَابَهُ ، وَلَمَّا كَانَتْ

(١) من قصيدة منسوبة للفرزدق ، وليست في ديوانه مطالعها :

هذا ابن خير عباد الله كلهم      هذا النقي النقي الطاهر العلم

وذلك أن هشام بن عبد الملك كان يطوف بالبيت ، فأراد استلام الحجر فلم يقدر ، فنصب له منبر ، جلس عليه ، وبينما هو كذلك إذ أقبل علي بن الحسين فطاف ، وأنى ليستلم الحجر ، فتنحى له الناس هيبة وإجلالا ، فعاظ ذلك هشاما ، فقال رجل من أهل الشام : من هذا الذي أكرمه الناس وأعظموه ؟ فقال هشام : لا أعرفه ، لئلا يعظم في نفوس أهل الشام ، فقال الفرزدق - وكان حاضرا - هذه القصيدة .

( زهر الآداب ٦٥/١ والأغاني ٤٠/١٩ ) وتروى القصيدة للحزب السكتاني

عمرو بن عبيد بن وهب في مدح عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، وتروى لداود بن سلم في مدح ثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس . وتروى لابن المنقري في علي بن الحسين .

(٢) من قصيدته في مدح المتوكل وتمنيته بعيد الفطر ، مطالعها :

أخني هوى لك في الضلوع وأظهر      وآلام في كدم عليك وأعذر

( الديوان ٢١١/١ ) وبالأصل ( لو أن )

الحال كذلك ووجدنا من الألفاظ ما يتماثل ويتشابه في صيغته وبنائه علمنا  
أن ذلك يُطلقُ عليه اسمُ التجنيسِ .

وكذلك لما وجدنا من المعاني ما يتماثل ويتشابه علمنا أن ذلك يُطلقُ عليه  
اسمُ التجنيسِ أيضا .

فالتجنيس إذا ينقسم قسمين : أحدهما تجنيس في اللفظ ، والآخر  
تجنيس في المعنى .

فأما الذي يتعلق باللفظ فإنه لم يُنقل عن بابه ولا غيّر اسمه ، وقد تقدم  
ذكره في باب الصناعة اللفظية .

وأما الذي يتعلق بالمعنى فإنه نُقل عن بابه في التجنيس ، وسمى الاشتقاق «  
أى أحد المعنيين مُشتقٌ من الآخر . وهو على ضربين : صغير وكبير ، فالصغير أن  
تأخذ أصلا من الأصول فتجعم بين معانيه وإن اختلفت صيغته ومبانيه ،  
كتركيب ( س ل م ) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه ، نحو سَلِمَ وسَلِمَ  
وسَلِمَانٌ وسَلَمَى والسَلِيمُ اللدبع أطلق عليه ذلك تفاؤلا بالسلامة .

والأصل في ذلك أن يضع واضع اللغة اسما أول لمسمى أول ، ثم يجد مسمى  
آخر أو مسميات شبيهة بالمسمى الأول ، فيضع لها اسما كالاسم الأول ،  
كقوله ضَرِيرٌ اسمُ الأعمى ، والضَّرَضُ النفع ، والضَّرَاءُ الشدة من الأسر ،  
والضَّرَّةُ بالضم المزال وسوء الحال ، والضَّرُّ الضيقُ والضَّرَّةُ إحدى  
الزوجتين ، فإن هذه المسميات كلها تدل على الأذى والشر ، وأسمائها متشابهة  
لم تخرج عن الضاد والراء ، إلا أنا الآن لانلم ما هو الأول منها حتى نحكم على  
الثاني أنه مشتق منه ، لكن نعم في السليم اللدبع أنه مشتق من السلامة ، لأنه

خدها ، قيل من أجل التفاؤل بالسلامة ، وعلى هذا جاء غيره من الأصول ،  
كقولنا هَشَمَكَ هاشم ، وحاربك محارب ، وسالمك سالم ، وأصاب الأرض  
صَيَّب ، فهذه الألفاظ كلها أفعالها واحد ومعناها واحد ، أما هاشم فإنه لم يسم بهذا  
الاسم إلا لأنه هَشَمَ الثريد في عام مَحَلٍ فسمى بذلك ، وأما محارب فإنه اسم  
فاعل من حارب فهو محارب ، وأما سالم فمن السلام وهو اسم فاعل من سلم ،  
وأما الصَيَّب فهو المطر الذي يشتد صوتُه أي وقفه على الأرض .

ولا يقاس على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم «أَسَلِمُ سَأَلَهُ اللهُ ،  
وَرِغْفَارٌ غَفَرَ اللهُ لَهَا ، وَعُصَيَّةٌ عَصَتْ اللهُ ، فَإِنْ أَسَلِمُ وَغَفَارٌ وَعُصَيَّةٌ أَسْمَاءُ  
مُجَابِلٌ ، وَلَمْ تَسْمِ أَسَلِمٌ مِنَ السَّالَةِ ، وَلَا غَفَارٌ مِنَ الْغَفْرِ ، وَلَا عُصَيَّةٌ مِنَ التَّصْنِيرِ  
عَصَا . وهذا هو التجنيس ، وليس بالاشتقاق ، والنظر في مثل ذلك يحتاج إلى فكرة  
موتدبر ، كي لا يختلط التجنيس بالاشتقاق .

ومما جاء من ذلك شعرا قول البحري :

أَجِئْتِي سَلَمِي بِكَاطِبَةٍ اسَلَمًا<sup>(١)</sup>

وكذلك قول الآخر :

وما زال مَعْقُولًا مَعْقَالٌ مِنَ النَّدَى وَمَا زَالَ مَجْبُوسًا عَنِ الْخَيْرِ حَابِسٌ<sup>(٢)</sup>

وربما ظن أن هذا البيت وما يجري مجراه تجنيس ، حيث قيل فيه معقول  
ومعقال ومجبوس وحابس ، وليس الأمر كذلك .

وهذا الموضوع يقع فيه الاشتباه كثيرا على من لم يتقن معرفة . وقد تقدم القول

(١) مظم تصديته في مدح أحمد وإبراهيم ابني المدير . وعجزه : ( وتعلم أن الهوى  
ماهجتا ) الديوان ٢/٣٣٩ .

(٢) جرير في هجاء الفرزدق . والبيت في الديوان ( ٣٢٦ ) هكذا .  
فأزال مَعْقُولًا مَعْقَالًا عَنِ الْمَلَا وَمَا زَالَ مَجْبُوسًا عَنِ الْمَجْدَابِسِ

أن حقيقة التجنيس هي اتفاق اللفظ واختلاف المعنى ، وعقال ومعقول وحابس  
ومحبوس اللفظ فيها واحد والمعنى أيضا واحد ، فهذا مشتق من هذا ، أى قد شق منه .  
وكذلك ورد قول عنقره :

لقد علم القبايل أن قومي لهم حد إذا ليس الحديد<sup>(١)</sup>  
فإن حدا وحديدا لفظها واحد ومعناها واحد .

وأما الاشتقاق الكبير فهو أن تأخذ أصلا من الأصول فتعقد عليه وعلى  
راكيبه معنى واحدا يجمع تلك التركيب وما تصرف منها ، وإن تباعد شيء من  
ذلك عنها رُدَّ باطاف الصنعة والتأويل إليها ، ولتضرب لذلك مثلا فنقول إن  
لفظة ( ق م ر ) من الثلاثي لها ست تراكيب وهي ق م ر ، ق م ر ، ر ق م ،  
ر م ق ، م ق ر ، م ر ق فهذه التراكيب الستة يجمعها معنى واحد وهو القوة والشدة ،  
فأقرب شدة شهوة اللحم ، وقمر الرجل إذا غاب من يقامره والرقم الداهية  
وهي الشدة التي تلحق الإنسان من دهره ، وعيش مرق أى ضيق ، وذلك وع  
من الشدة أيضا ، والمقر شبه الصبر يقال أمقر الشيء أمره ، وفي ذلك شدة على  
الذائق وكراهة ، ومرق السم إذا نفذ من الرمية ، وذلك لشدة مضائه وقوته .  
واعلم أنه إذا سقط من تراكيب الكلمة شيء فجاز ذلك في الاشتقاق ، لأن  
الاشتقاق ليس من شرطه كمال تركيب الكلمة ، بل من شرطه أن الكلمة  
كيف تقلبت بها تراكيبها من تقديم حروفها وتأخيرها أدت إلى معنى واحد يجمعها .

فمثال ما سقط من تركيب الثلاثي لفظه ( وس ق ) فإن لها خمس تراكيب  
وهي وس ق ، وق س ، س وق ، ق وس ، وس ق ، وسقط من جملة التراكيب

(١) في شرح الحماسة للمرزوقي ٢٨٨/١ نسبة البيت إلى حيان بن ربيعة . وروايته هكذا:

لقد علم القبايل أن قومي ذو وجود إذا ليس الحديد

قسم واحد وهو س ق و ، وجميع الخمسة المذكورة تدل على القوة والشدة أيضا ، قالوسق من قولم استوسق الأمرأى اجتمع وقوى ، والوقس ابتداء الحرب ، وفي ذلك شدة على من يصيبه وبلاء ، والسوق متابمة للسير ، وفي هذا عناء وشدة على السائق والمسوق ، والقسوة شدة القلب وغلظه ، والقوس معروفة ، وفيها نوع من الشدة والقوة لزعها المهم وإخراجه إلى ذلك المرمى المتباعد .

واعلم أنا لا ندعى أن هذا يطرده في جميع اللغة ، بل قد جاء شيء منها كذلك ، وهذا مما يدل على شرفها وحكمتها ، لأن الكلمة الواحدة تنقلب على ضروب من التقليل ، وهي مع ذلك دالة على معنى واحد ، وهذا من أعجب الأسماء التي توجد في لغة العرب وأغربها ، فاعرفه .

إلا أن الاستعمال في النظم والنثر إنما يقع في الاشتقاق الصغير دون الكبير ، وسبب ذلك أن الاشتقاق الصغير تكثر الألفاظ الواردة عليه ، والاشتقاق الكبير لا يكاد يوجد في اللغة إلا قليلا ، وأيضا فإن الحُسنَ اللفظي الذي هو الفصاحة إنما يقع في الاشتقاق الصغير ولا يقع في الاشتقاق الكبير ، ألا ترى إلى هذين الأصلين الواردين هاهنا وهما ( ق ر م ) و ( و س ق ) إذا نظرنا إلى تراكيبهما ، وأردنا أن نَسُبُكُهما في الاستعمال باتٍ منهما ومثل ما يأتي في الاشتقاق الصغير حسنا وروثنا ، لأن ذاك لفظه لفظ تجنيس ، ومعناه معنى اشتقاق ، والاشتقاق الكبير ليس كذلك .

## النوع السابع والعشرون

### في التضمين

هذا النوع فيه نظر بين حسن يكتب به الكلام طلاوة ، وبين معيب عند قوم ، وهو عندم معدود من عيوب الشعر ، ولكل من هذين القسمين مقام .

التضمين المحمى

فأما الحسن الذى يكتب به الكلام طلاوة فهو أن يُضمّن الآيات والأخبار النبوية ، وذلك يراد على وجهين: أحدهما تضمين كلّى ، والآخر تضمين جزئى .

فأما التضمين الكلى فهو أن تُذكر الآية والخبر بجملة ، وأما التضمين الجزئى فهو أن تُدرج بعض الآية والخبر فى ضمن كلام ، فيكون جزءا منه ، كالتى أوردته فى حل الآيات والأخبار فى الفصل العاشر من مقدمة الكتاب .

وقد قيل إنه لا يجوز درج آيات القرآن الكريم فى غضون الكلام من غير تبين ، كى لا يشبهه ، وهذا القول لا أقول به ، فإن القرآن الكريم أبين من أن يحتاج إلى بيان ، وكيف يتخفى وهو للعجز الذى لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ، فإن كانت المناوضة فى التفرقة بينه وبين غيره من الكلام إذا أُدرج فيه مع جاهل لا يعرف الفرق فذاك لا كلام معه ، وإن كان الكلام مع عالم بذلك فذاك لا يحتجى به القرآن الكريم من غيره .

ومذهبى فى هذا هو ما تقدم ذكره فى الفصل العاشر من مقدمة الكتاب ، وهو أحسن الوجهين عندى ، وذاك أنه لا تؤخذ الآية بكاملها ، بل يؤخذ جزء منها ويجعل أولاً لكلام أو آخرها ، هذا إذا لم يقصد به التضمين ، فأما إذا



خَصِدَ التَّضْمِينُ فُتُوْخَذُ الْآيَةُ بِكُلِّهَا ، وَتُدْرَجُ دَرَجًا ، وَهَذَا يَنْكُرُهُ مَنْ لَمْ يَذُقْ مَادِقَتَهُ مِنْ طَعْمِ الْبَلَاغَةِ ، وَلَا رَأَى مَارَأَيْتَهُ .

### التضمين المغيب

وأما المغيب عند قوم فهو تضمين الإسناد ، وذلك يقع في بيتين من الشعر أو فصائين من الكلام المنثور ، على أن يكون الأول منهما مُسْتَفْتًا إِلَى الثَّانِي ، فَلَا يَقُومُ الْأَوَّلُ بِنَفْسِهِ ، وَلَا يَتِمُّ مَعْنَاهُ إِلَّا بِالثَّانِي ، وَهَذَا هُوَ الْمَعْدُودُ مِنْ عِيُوبِ الشَّعْرِ . وَهُوَ عِنْدِي غَيْرُ مَغِيْبٍ ، لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ سَبَبَ عَيْبِهِ أَنْ يُعَلِّقَ الْبَيْتُ الْأَوَّلُ عَلَى الثَّانِي فَلَيْسَ ذَلِكَ بِسَبَبٍ يُوْجِبُ عَيْبًا ، إِذْ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْبَيْتَيْنِ مِنَ الشَّعْرِ فِي تَعَلُّقِ أَحَدِهِمَا بِالْآخَرِ وَبَيْنَ الْفَقْرَتَيْنِ مِنَ الْكَلَامِ الْمُنْثُورِ فِي تَعَلُّقِ أَحَدِهِمَا بِالْآخَرِي ، لِأَنَّ الشَّعْرَ هُوَ كُلُّ لَفْظٍ مَوْزُونٍ مُعْتَمِدٌ عَلَى مَعْنَى ، وَالْكَلامُ الْمَسْجُوعُ هُوَ كُلُّ لَفْظٍ مُعْتَمِدٌ عَلَى مَعْنَى ، فَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا يَظَعُ فِي الْوِزْنِ لَا فِي غَيْرِ .

وَالْفَقْرَةُ الْمَسْجُوعَةُ الَّتِي يَرْتَبِطُ بِمَعْضَا بِمَعْضٍ قَدْ وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي مَوَاضِعَ مِنْهُ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الصَّافَّاتِ « فَأَقْبَلْ بِمَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ، قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنْ كَانَ لِي قَرِينٌ يَقُولُ أَنْتَ لِمَنِ الْمَصْدُقِينَ ، أَتُؤْمِنُ بِمَا وَكَدَّاتِرَابًا وَعِظَامًا أَنَا كَلْدِيْنُونَ <sup>(١)</sup> » .

فهذه الفقرة الثلاث الأخيرة مرتبطة بمعضها بمعض ، فلا تفهم كل واحدة منهن إلا بالتي تليها ، وهذا كالأبيات الشعرية في ارتباط بعضها بمعض ، ولو كان عيبها لما ورد في كتاب الله عز وجل .

وكذلك ورد قوله تعالى في سورة الصافات أيضًا « فَإِنْ كُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلَّا مِنْ هَوَاسٍ الْجَحِيمِ <sup>(٢)</sup> » ، فَالْآيَاتَانِ الْأُولَيَانِ لَا تَفْهَمُ إِحْدَاهُمَا إِلَّا بِالْآخَرِي .

(١) سورة الصافات ٥١ - ٥٢

(٢) سورة الصافات ١٦١ - ١٦٢

وهكذا ورد قوله عز وجل في سورة الشعراء: «أفرأيت إن متّعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يُمتّعون»<sup>(١)</sup> ، فهذه ثلاث آيات لا تقم الأولى ولا الثانية إلا الثالثة ، ألا ترى أن الأولى والثانية في معرض استفهام يفتقر إلى جواب ، والجواب هو في الثالثة ؟ .

ومما ورد من ذلك شعرا قول بعضهم :

ومن البلوى التي لي س لها في الفام كفته

أن من يعرف شيئا يدعى أكثر منه

ألا ترى أن البيت الأول لم يقم بنفسه ولا يرم معناه إلا بالبيت الثاني ؟

وقد استعملته العرب كثيرا ، وورد في شعر حول شعرائهم ، فمن ذلك قول امرئ القيس :

قلت له لما تمطى بصلبه وأزدف أمجازا وناه بكلكل

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى بصبح وما الإصباح منك بأمثل<sup>(٢)</sup>

وكذلك ورد قول الفرزدق :

وما أحد من الأقوام عدوا عروق الأكرمين إلى التراب

محتفظين إن فضلتونا عليهم في القديم ولا غضاب<sup>(٣)</sup>

(١) سورة الشعراء ١٠٥ - ١٠٧

(٢) من معلقته ، في وصف الليل ( الديوان ١٨ ) وقيل البيتين :

وليل كوج البحر أرخى سدوله على بأنواع الموم ليتلى

(٣) من فخر الفرزدق لما اجتمع هو وجريه وكثير وابن الرطاح عند سليمان بن عبد الملك

وقال لهم : أنشدونا من فخرم شيئا حسنا ، فبدرهم الفرزدق فقال :

ولو رفع السحاب إليه قوما علونا في السماء إلى السحاب

( الأغانى ٢٣/١٩ والديوان ٣٦/١ )

وكذلك ورد قول بعض شعراء الحماسة:

أَعْمَرِي أَرَدْتُ الْمَرْءَ خَيْرٌ بَقِيَّةً عَلَيْهِ وَإِنْ عَالَوْا بِهِ كَلِمَةٌ مَرٌّ كَبِ  
مِنَ الْجَانِبِ الْأَقْصَى وَإِنْ كَانَ ذَاغِيٌّ جَزِيلٌ وَلَمْ يُخَيِّرْكَ مِثْلُ مَجْرَبٍ (١)  
الضرب الثاني من التضمن ، وهو أن يضمن الشاعر شعره والناثر نثره  
كلاماً آخر لغيره ، قصداً للاستعانة على تأكيد المعنى المقصود ، ولو لم يذكر ذلك  
التضمن لكان المعنى تاماً .

وربما ضمن الشاعر البيت من شعره بنصف بيت أو أقل منه كما قال جعظة :  
قَمِ قَاتِقِيهَا يَا غِلَامٌ وَغَنِّي ذَهَبَ الْقَيْنِ يُعَاشُ فِي أَكْنَاهِمُ (٢)  
ألا ترى أنه لو لم يقل في هذا البيت ذهب القين يعاش في أكناهم لكان  
المعنى تاماً لا يحتاج إلى شيء آخر ، فإن قوله قم قاتقها يا غلام وغنى فيه كفاية ،  
إذ لا حاجة له إلى تعيين الغناء ، لأن في ذلك زيادة على المعنى المفهوم لأعلى  
الغرض المقصود .

وقد ورد هذا في عدة مواضع من شعر أبي نواس في الحمريات ، كقوله  
في مخاطبة بعض خلطائه على مجلس الشراب :

قَلْتُ هَلْ لَكَ فِي الصَّبَاءِ تَأْخُذُهَا مِنْ كَفِّ ذَاتِ هَمِّ الْقَالِمِشْ مُقْتَبِلُ  
جِرَّةٍ كَشَمَاعِ الشَّمْسِ صَافِيَةٌ يُحِيطُ بِالسَّكَّاسِ مِنَ الْأَلْمَاهِ شُعْلُ

== والرواية في الديوان :

مروى الأكرمين على انساب  
عليهم في القدم ولاغضب

فا أحد من الأقوام عدوا  
محتفظين إن فضلتونا

محتفظين : غضاب من الفيظة بمعنى الغضب

(١) شرح المروزي للحماسة ٣٥٨/١ والفاصل هو خالد بن فضلة كان الحيوان ٦٠٣/٣

والبيان والديبين ٢٥٠/٣

(٢) الشطر الثاني صدر بيت لليد بن ربيعة :

وبقيت في خلف كجلد الأجر

ذهب الذين يعاش في أكناهم

«قال هاتِ وأسمنا على طربِ»  
وكذلك قوله أيضاً :  
(١)

وظني خُوبِ اللفظِ خُوبِ كلامه  
نَحَلْتُ له منها نَحْرًا لَوْجِبِهِ  
فَقَمْتُ إليه والسكرى كَحُلِّ عَيْنِهِ  
إلى أن نَجَلِي نَوْمَهُ عن جُفُونِهِ  
فَأَعْرَضَ مُزَوَّرًا كَأَن بُوْجِبِهِ  
فَمَا زَلْتُ أَرْقِيهِ وَأَلِيمَ خَدِهِ  
إلا قَانَسِي بِأَدَارِي عَلَى الْبَلِيَّ  
مُقَبِّلُهُ سَهْلًا وَجَانِبُهُ وَغَرُّ  
وَأَمَكَنَّ مِنْهُ مَا تَحِيْطُ بِهِ الْأَرْزُ  
فَقَبَّلْتُهُ وَالصَّبُّ لَيْسَ لَهُ صَدْرُ  
وَقَالَ: كَسَبَتِ الذَّنْبَ قَالَتْ: لِي الْأُذُنُ  
تَهْفَقُو رُمَانٍ وَقَدْ بَرَدَ الصَّدْرُ  
إلى أن تَقْنِي رَاضِيًا وَبِهِ سُيْكُرُ  
وَلَا زَالَ مِنْهُلَا بَجْرَ عَائِكَ الْفَطْرُ (٢)

وقد استعمل هذا الضرب كثيرا الخطيبُ عبد الرحمن بن نباتة رحمه الله ،  
فن ذلك قوله في بعض خطبه وهو : « فيا أيها النقلة المطرقون ، أما أنتم بهذا  
الحديث مُصدِّقون ، فالكم منه لا تُشفقون ، فوربَّ السماء والأرض إنه لحق مثل  
ما أنكم تنطقون (٣) » .

٣٧٤

(١) الديوان ١١٦ كانت بالأصل ( ذات حر ) و ( وتطير بالكاس ) و ( غبنا على  
طرب ) ذات هن : ذات فرج . مقبل : نصير . حبرية : منسوبة إلى الحبرة بالمرأ . لأنها:  
بريقها والشر الأخير من مطلع قصيدة الأعمى :  
ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وهاها أيها الرجل  
( الديوان ٥٥ )

(٢) الديوان ١٠١

وق الديوان ( سكت له منها ) و ( راضيا وله الشكر ) . نَحَلْتُ : أعطيت . تَهْفَقُو رمان: رمان  
متكسر ، يريد حمرة الوجه من الحجل أو الأثار التي فيه من تلك الليلة . الليت الأخير لى  
الرمة . الجرعاء : الرملة الطيبة للنبث لاوهونة فيها أو السكتيب جانب منه ومل وجانب حجارة  
(٣) ( فوربَّ السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ) سورة القاربات ٢٣

الحمد لله  
بسم محمد بن نباتة

وكذلك قوله في ذكر يوم القيامة وهو: « فيَوْمٍ مِّنْذُ تُنْفِذُ الْخَلَائِقَ عَلَىٰ آهَاتِهِمْ »  
فيحاسبهم على ما أحاط به علما ، وينفذ في كل عامل بعلمه حكما ، وعنت الوجوه  
لحى القيوم وقد خاب من حمل ظانا (١) .

ألا ترى إلى براءة هذا التضمين الذي كأنه قد رُصع في هذا اللوضع رصنا ؟  
وعلى نحو من ذلك جاء قوله في ذكر يوم القيامة وهو: « هناك يقع الحساب  
على ما أحصاه الله كتاباً ، وتكون الأعمال المشوبة بالفناء سرايا ، يوم يقوم  
الروح ولللائكة صفا ، لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا (٢) »

ومما ينتظم بهذا السلك قوله في خطبة أخرى وهو: « أسكنهم الله الذي  
أنطقهم ، وأبدم الذي خلقهم ، وسيجدّم كما أخلقهم ، ويجمعهم كما فرقهم ،  
يسيدُ الله العالمين خلقا جديدا ، ويحمل الظالمين ل نار جهنم وقوداً ، ويوم تكونون  
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ، يوم تجد كل نفس ما عملت من  
خير مخضراً ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً (٣) » .

ومن هذا الباب قوله أيضا : « هناك يُرْفَعُ الحجاب ، ويوضع الكتاب ،  
ويُجْمَعُ مَنْ وَجَبَ له الثواب ومن حُقَّ عليه العقاب ، فيضرب بينهم بسور  
له باب ، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب (٤) »

وأمثال هذه التضمينات في خطبة كثيرة ، وهي من محاسن ما يبىء في هذا النوع .

---

(١) ( وعنت الوجوه .. ظلما ) سورة طه ١١١ هم : ليس بهم شيء مما كان في الدنيا نحو  
البرص والرج ، أو مرارة ( الفلوس المحيط مادة بهم )

(٢) ( إلا من أذن... صوابا ) سورة التبا ٣٨

(٣) ( يكون الرسول عليكم شهيدا ) سورة البقرة ١٤٣ ( يوم تجد كل نفس ... أمداً  
بيدا ) سورة آل عمران ٣٠

(٤) ( بسور ... العذاب ) سورة الحديد ١٣

## النوع الثامن والعشرون

### الإرصاد

وحقيقته أن يبني الشاعر البيت من شعره على قافية قد أُرصد لها ، أى  
أَعَدَّها في نفسه ، فإذا أُنشد صدرَ البيت عَرَفَ ما يأتى في قافيته ، وذلك من  
عمود الصنعة ، فإن خبر الكلام مادل بعضه على بعض .

وفي الافتخار بذلك يقول ابن نُباتة السعدي :

خُذْهَا إِذَا أُنشِدْتَ فِي التَّوْمِ مِنْ طَرِبِ      صُدُورُهَا عُرِفَتْ مِنْهَا قَوَائِفُهَا  
يَنْدَى لَهَا الرَّابِكُ الْمَجْلَانُ حَاجَتَهُ      وَيُصْبِحُ الْحَاسِدُ الْغَضْبَانُ يُطْرِبُهَا<sup>(١)</sup>  
فمن هذا الباب قول النابغة :

فِدَاءٌ لِمَرِيءٍ سَارَتْ إِلَيْهِ      بِعِذْرِ رَبِّهَا عَمِي وَخَالِي  
وَلَوْ كَفَى الْبَيْنَ بِنَتِكَ خَوْفًا      لِأَفْرَدْتُ الْبَيْنَ عَنِ الشَّالِ<sup>(٢)</sup>

الآ ترى أنه يُعَلِّمُ إذا عرفت القافية في البيت الأول أن في البيت الثاني  
ذكر الشال ؟

وكذلك جاء قول البحتری :

أَحَلَّتْ دَمِي مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَحَرَمَتْ      بِلَا سَبَبٍ يَوْمَ الْقَاءِ كَلَامِي  
فَلَيْسَ الَّذِي حَلَّتْهُ بِمَحَلِّ      وَلَيْسَ الَّذِي حَرَمْتَهُ بِمَحْرَامِ<sup>(٣)</sup>

(١) يتيمة الدهر ٣٧٩/٢ وكان بالأصل يطويها .

(٢) من مدحه للنعمان بن المنذر والاعتذار له

وبالأصل « ولو كفى البين نفتك خوفا »

(٣) من قصيدته في مدح المتوكل ، التي مطامها .

الأهل أناها بالمقرب سلاى وهل خبرت وجدى بها وغراى

(الديوان ٢٢٢/٢)

فليس يذهب على السامع - وقد عرف البيت الأول وصدر البيت الثاني -  
أن عجزه هو ما قاله البحرى .

وقد جاء الإرساد في الكلام المنشور كما جاء في الشعر .

فمن ذلك قوله تعالى : « وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ، ولولا كلمة  
سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون <sup>(١)</sup> » .

فإذا وقف السامع على قوله تعالى ( لقضى بينهم فيما فيه ) عرف أن بعده  
يختلفون ، لما تقدم من الدلالة عليه .

ومن ذلك أيضا قوله عز وجل : « فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ، ومنهم  
من أخذته الصيحة ، ومنهم من حسفنا به الأرض ، ومنهم من أغرقنا ، وما كان  
الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون <sup>(٢)</sup> » وعلى نحو منه جاء قوله تعالى :  
« مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ، وإن  
أودق البيوت لبيت العنكبوت <sup>(٣)</sup> » فإذا وقع السامع على قوله عز وجل  
( وإن أوهن البيوت ) يعلم أن بعده بيت العنكبوت .

ورأيت أبا هلال العسكري قد سمي هذا النوع التوشيح <sup>(٤)</sup> ، وليس

(١) سورة يونس ١٩

(٢) سورة العنكبوت ٤٠

(٣) سورة العنكبوت ٤١

(٤) في كتاب الصناعتين ٣٨٢ « سمي هذا النوع التوشيح ، وهذه التسمية غير لازمة  
بهذا المعنى ، ولو سمي تبيينا لكان أقرب ، وهو أن يكون مبتدأ الكلام ينبنى عن مقطعه ،  
وأوله يخبر بآخره ، وصدره يشهد بعجزه ، حتى لو سميت شعرا ، أو عرفت زاوية ، ثم سميت  
صدر بيت منه وفتت على عجزه قبل بلوغ السماع إليه . . . » ومن هذا يبدو أن ابن الأثير  
قد وهم في نسبة لسمية هذا الفن ( التوشيح ) إلى أبي هلال العسكري ، والحقيقة أن الذى سماه  
بذلك قدامه بن جعفر ، لأنه حمل التوشيح من أنواع ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر  
معنى البيت ، وقال في تعريفه : هو أن يكون أول البيت شاهدا بقافيته ومعناها متعلقا به ، حتى  
أن الذى يعرف قافية القصيدة إذا سم أول البيت منها عرف آخره ، وبانت له قافيته ( نقدا للصر )

كذلك ، بل تسميته بالإرصاد أولى ، وذلك حيث ناسب الاسم سَمَاءً ولاق به ،  
وأما التوشيح فإنه نوع آخر من علم البيان ، وسيأتى ذكره بعد هذا النوع  
إن شاء الله تعالى .

وأعلم أنه قد اختلف جماعة من أرباب هذه الصناعة في تسمية أنواع علم  
البيان ، حتى إن أحدهم يضع لنوع واحد منه اسمين اعتقاداً منه أن ذلك النوع  
نوعان مختلفان ، وليس الأمر كذلك ، بل هما نوع واحد .

فمن غلط في ذلك الغامبي<sup>(١)</sup> ، فإنه ذكر باباً من أبواب علم البيان وسماه  
التبليغ ، وقال : هو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاماً من غير أن يكون للقافية  
فيها ذكره صنع ، ثم يأتي بها لحاجة الشعر إليها ، حتى يتم وزنه ، فيباغ بذلك  
الغاية القصوى في الجودة ، كقول امرئ القيس :

كَانَ عَيْونَ الوَحْشِ حَوْلَ خِيَانِنَا وَأَرْحَلُنَا الجَزْعُ القَدِي لَمْ يُتَقَبِّ<sup>(٢)</sup>

فإنه أتى بالتشبيه تاماً قبل القافية ، ولما جاء بها بلغ الأمد الأقصى في المبالغة .

ثم إن الغامبي ذكر بعد هذا الباب باباً آخر وسماه الإشباع ، فقال : هو  
أن يأتي الشاعر بالبيت مُمَلَّقَ القافية على آخر أجزائه ، ولا يكاد يفعل ذلك  
إلا حذائق الشعراء ، وذلك أن الشاعر إذا كان بارعاً جَلَبَ بقدرته وذكاؤه  
وظفته إلى البيت - وقد تمت معانيه واستغنى عن الزيادة فيه - قافية متممة  
لأعاريضه ووزنه ، فجاءها نعتاً للمذكور ، كقول ذي الرمة :

(١) أبو العلاء بن غانم المعروف بالغامبي كان من فضلاء عصره وشعرائه

(الباب ٣/١٦٦)

(٢) الديوان ٥٣ الجزع القدي لم يتقب : شبه عيون الوحش فيها من سواد وبياض  
بجزع غير منقب لأن ذلك أصفى له وأتم لحسنه .



قَفِ الْعَيْسَ فِي أَطْلَالِ مَيَّةٍ فَاسْأَلِ رُسُومًا كَأَخْلَاقِ الرَّدَاءِ لِلسَّلْسَلِ (١)

هذا كلام الغامى بعينه ، والبايان المذكوران سواء ، لا فرق بينهما بحال .  
والدليل على ذلك أن بيت امرئ القيس يتم معناه قبل أن يُؤْتَى بِقَافِيته ،  
وكذلك بيت ذى الرمة ، ألا ترى أن امرأ القيس لما قال : « كان عمون الوحش  
حول خباتنا ، وأرحلنا الجزع » أتى بالتشبيه قبل القافية ، ولما احتاج إليها جاء بزيادة  
حسنة ، وهى قوله لم « يثقب » .

وهكذا ذو الرمة فإنه لما قال :

قَفِ الْعَيْسَ فِي أَطْلَالِ مَيَّةٍ فَاسْأَلِ رُسُومًا كَأَخْلَاقِ الرَّدَاءِ ...  
أتى بالتشبيه أيضاً قبل أن يأتي بالقافية ، ولما احتاج إليها جاء بزيادة حسنة  
وهى قوله : المسلسل .

واعلم أن أبا هلال العسكري قد سمي هذين القسمين بوجهما الإيصال (٢) ،  
وقال هو أن يستوفى الشاعر معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه ، ثم يأتي بالمقطع

---

(١) ديوان ذى الرمة ٧٢ العيس : التوفى البيض . أخلاق الرداء : الرداء القى صلب  
خلقا وقطعا

(٢) الصناعتين ٣٨٠ « هو أن يستوفى معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه ، ثم يأتي  
بالمقطع فيزيد معنى آخر يزيد به وضوحا وشرحا وتوكيدا وحسنا . وأصل الكلمة من قولهم  
وغل في الأمر إذا أبعد القهاب فيه .

وقد وهم ابن الأثير هنا أيضا في نسبة تسمية هذا الفن (الإيصال) إلى أبي هلال العسكري .  
والحقيقة أن هذا الفن من مستخرجات قدامة ، وهو واضح لقبه ، وجعله من أنواع  
اثنلاف القافية مع سائر معنى البيت ، وروى قدامة أن عماد بن يزيد النحوى قال : حدثنى  
التوزى قال : قلت للأصمعي : من أشعر الناس ؟ فقال : من يأتي إلى المعنى الضعيف فيجعله  
بإفظة كبيرا ، أو إلى الكبير فجعله خسيسا ، أو ينقضى كلامه قبل القافية ؛ فإذا احتاج إليها أفاد  
بها معنى . قال : قلت نحو من ؟ قال : نحو ذو الرمة ، وأورد البيت المذكور هنا . ثم قال :  
فتم كلامه قبل « المسلسل » ثم قال « المسلسل » فزاد شيئا . ثم قال ذو الرمة

أظن الذى يجدى عليك سؤالها دموعا كتبديد الجمان المفصل

فتم كلامه ثم احتاج إلى القافية فقال « المفصل » فزاد شيئا

فيزيد فهمه معنى آخر ، وأصل الإيفال من أوغل في الأمر إذا أبعده الذهاب فيه ، ثم مثل أبو هلال ذلك بقول ذي الرمة (قف العيس في أطلال مية فاسأل) وهذا أقرب أمدأ من الغامى ، لأنه ذكره في باب واحد ، وسماه بامم واحد ، ولم يذكره في باب آخر كما فعل الغامى .

وليس الأخذ علم الغامى في ذلك مناقشته على الأسماء ، وإنما المناقشة على أن ينتصب لإيراد علم البيان وتفصيل أبوابه ، ويكون أحد الأبواب التي ذكرها داخل في الآخر فيذهب عنه ويخفى عليه<sup>(١)</sup> ، وهو أشهر من فلق الصباح .  
وهاهنا ما هو أغرب من ذلك ، وذلك أنه قد سلك قوم في منشور الكلام ومنظومه طرقا خارجة عن موضوع علم البيان ، وهي بنجوة عنه ، لأنها في واد وعلم البيان في واد .

فمن فعل ذلك الحريري صاحب المقامات ، فإنه ذكر تلك الرسالة<sup>(٢)</sup> التي هي

- (١) في الأصل (فيذهب عليه ويخفى عنه) فرجنا هذا التصويب .  
(٢) في المقامة الحلبية (السادسة والأربعون) عشر مقطعات من الأبيات في كل مقطعة ثلاث لفظي . فن ذلك الأخياف أى كلمة مهملة وأخرى معجمة مثل قوله :  
اسمح فيث السماح زين      ولا تحب آملا تضيف  
ولا تظن الدهور تبقى      مال ضنين ولو تلتف  
ومن ذلك العوائل أى الخالية من الحروف المعجمة ، مثل :  
أعدد لحسادك حد السلاح      وأورد الأمل ورد السماح  
ومن ذلك العرائس أى المعجمة كلها مثل :  
شفتنى بجهن طي غضيب      غنج يقتضى تفيض جفى

الخ الخ

وفى المقاومة السمر قندية (الثامنة والعشرون) خطبة مهملة الحروف مثل قوله :  
أحمده حمد موحد مسلم ، وأدعوه دعاء مؤمل مسلم ؟ وهو أفة لا إله إلا هو الواحد الأحد ،  
العادل الصمد ، لا والده ولا ولد ، ولا دره معه ولا مساعد ، أرسل عمدا للإسلام مبهدا ،  
وللملة موطلا

وفى للمقامة الرقطاء (السادسة والعشرون) رسالة مكونة من كلمات حرف مهملة  
وتاليه معجم ، مثل :

أخلاق سيدنا تحب ، وبمقوته ياب ، وقربه تحف ، ونأبه تلف ، وخطبه نسب ، وقطيعته  
نصب ، وغربه تألق ، وشبهه تألق الخ

كلمة معجبة وكلمة مهمة ، والرسالة التي حرف من حروف ألفاظها معجم والآخر غير معجم ، ونظم غيره شعراً آخر كل بيت منه أول البيت الذي يليه ، وكل هذا وإن تضمن مشقة من الصناعة فإنه خارج عن باب الفصاحة والبلاغة ، لأن الفصاحة هي ظهور الألفاظ مع حسنها على ما أشرت إليه في مقدمة كتابي هذا ، وكذلك البلاغة فإنها الانتهاء في محاسن الألفاظ والمعاني ، من قولنا بلنت المكان إذا انتهت إليه .

وهذا الكلام المصوغ مما أتى به الحريري في رسالته وأورده ذلك الشاعر في شعره لا يتضمن فصاحة ولا بلاغة ، وإنما يأتي ومعانيه غثة باردة ، وسبب ذلك أنها تستكره استكرهاها ، وتوضع في غير مواضعها ، وكذلك ألفاظه فإنها تبيح مكرهه أيضاً غير ملائمة لأخواتها ، وعلم البيان إنما هو الفصاحة والبلاغة في الألفاظ والمعاني ، فإذا أخرج عنه شيء من هذه الأوضاع المشار إليها لا يكون ممدوداً منه ولا داخلاً في بابها .

ولو كان ذلك مما يوصف بحسن في ألفاظه ومعانيه لورد في كتاب الله عز وجل وهو مدن الفصاحة والبلاغة ، أو ورد في كلام العرب للفصحاء ، ولم يره في شيء من أشعارهم ولا خطبهم .

ولقد رأيت رجلاً أديباً من أهل المغرب وقد تغفل في شيء عجيب ، وذلك أنه شجرة شجرة ونظامها شعرا ، وكل بيت من ذلك الشعر يقرأ على ضروب من الأصاليب انبعاثاً لشعب تلك الشجرة وأغصانها ، فتارة تقرأ كذا وتارة يكون جزء منه هاهنا ، وتارة هاهنا ، وتارة يقرأ مقلوباً ، وكل ذلك الشعر وإن كان له معنى إلا أنه ضرب من الهذيان ، والأولى به وبأمتنا أن يلتحق بالشعبذة والمعالجة والمصارعة لا بدرجة الفصاحة والبلاغة .

ورأيت أبا محمد بن عبد الله بن سنان الخفاجي قد ذكر بابا من الأبواب في كتابه<sup>(١)</sup> فقال : ينبغي ألا تستعمل في الكلام المنظوم والمنثور ألفاظ المتكلمين والنحويين والمهندسين ومعانيمهم ، ولا الألفاظ التي تختص بها بعض المهن والعلوم ، لأن الإنسان إذا خاض في علم وتكلم في صناعة وجب عليه أن يستعمل ألفاظ أهل ذلك العلم وأصحاب تلك الصناعة<sup>(٢)</sup> ، ثم مثل ذلك بقول أبي تمام :  
مَوَدَّةٌ ذَهَبٌ أَثْمَارُهَا شَبُهٌ وَهَيْئَةٌ جَوْهَرٌ مَعْرُوفٌ عَرَضٌ<sup>(٣)</sup>  
وبقوله أيضا :

خَرْقَاءٌ يَلْعَبُ بِالْمَقُولِ حَيَاتُهَا كَتَلْعَبِ الْأَفْعَالِ بِالْأَسْمَاءِ<sup>(٤)</sup>

وهذا الذي أنكره ابن سنان هو عين المعروف في هذه الصناعة .

إن الذي تكرهون منه هو الذي يشبهه قلبي

وسأبين فساد ما ذهب إليه فأقول : أما قوله إنه يجب على الإنسان إذا خاض في علم أو تكلم في صناعة أن يستعمل ألفاظ أهل العلم وأصحاب تلك الصناعة ،

(١) سر الفصاحة ١٥٩

(٢) تكملة كلام الخفاجي : وبهذا شرف كلام أبي عثمان الجاحظ ، وذلك أنه إذا كاتب لم يعدل عن ألفاظ الكتاب ، وإذا صنف في الكلام لم يخرج من عبارات المتكلمين ، فكأنه في كل علم يخوض فيه لا يعرف سواه ، ولا يحسن غيره (١٥٩)

(٣) من قصيدته في عتاب هياش بن لهيعة التي مطلعها :

ذل السؤال شجبا في الخلق معترض من دونه شرق من تحته جرض الديبواز ٤٠٠ طيمة محمد جمال .

الجوهر والعرض من اصطلاحات علماء الكلام . الجرض : الفضة .

(٤) الديوان ٣٣/١ من قصيدته في مدح محمد بن حسان الضبي ، وهذا البيت من خرباته فيها ، خرقاء : وصف الخمر بالخرق وهو في الأصل العجز من إحسان العمل ، يقال للمرأة خرقاء ، أي أن الخمر لا تحسن أن تعمل شيئا لكنها تلعب بالعقوق ، ويفيرها من حال إلى حال ، كانتعمل الأفعال بالأسماء ، فترفعها تارة وتنصبها تارة . الحياض : طرائق الماء فيها إذا مزجت

فهذا مسلم إليه ، ولكنه شذ عنه أن صناعة المنظوم والنثور مستمدة من كل علم وكل صناعة ، لأنها موضوعة على الخوض في كل معنى ، وهذا لا ضابط له يضبطه ولا حاصر يحصره ، فإذا أخذ مؤلف الشعر أو الكلام المنثور في صوغ معنى من المعاني وأداه ذلك إلى استعمال معنى قهوى أو نحوى أو حسابى أو غير ذلك فليس له أن يتركه ويحذفه عنه ، لأنه من مقتضيات ذلك المعنى الذى قصده .

الآن نرى إلى قول أبي تمام فى الاعتذار :

فإن يك جرمٌ عنَّ أو تلكُ ذفوةٌ      هل خطأ منى فمُذرى على عمدٍ (١)

فإن هذا من أحسن ما يجيء فى باب الاعتذار عن الذنب ، وكان ينبغي له على ما ذكره ابن سنان أن يترك ذلك ولا يستعمله حيث فيه لفظنا الخطأ والعمد اللتان هما من أخص ألفاظ الفسحاء .

وكذلك قول أبي الطيب المتنبي .

ولقيتُ كلَّ الفاضلين كأنما      ردَّ الإلهُ نفوسهم والأغصرا  
نُسقوا لنا نسقَ الحسابِ مقدِّما      وأتى ذلك إذ أتيت مؤخرًا (٢)

(١) الديوان ١١٧/٢ من مدحه لأبي المنيث الرافقى واعتذاره له

(٢) من قصيدته فى مدح أبي الفضل محمد بن العميد ، التى مطلعها :

باد هودك صبرت أم لم تصبرا      وبكاك إن لم يجر دمعك أو جبرى

وقوله لقيت كل الفاضلين ، معطوف على كلام سابق يتحدث فيه عن مثل فلاسفة وعلماء

وعظماء وكرماة فى شخص ابن العميد . (الديوان ٣١٦ / ٢ ) نسقوا : سردوا . فذلك : حكاية

قول المحاسب إذا أجل حسابه ، فهى فاعل أتى أى أن هؤلاء الفاضلين تتابعوا متقدمين عليك

فى أزمانك ، فلما أتيت بدمج ما كان فيهم من فضائل ، فكنت بمثابة إجمال الحساب الذى

تذكر تفاصيله أولا ، ثم تجمل فيكتب فى آخرها ذلك كذا وكذا

( الديوان ٣١٦/٢ )

وهذا من المعاني البديعة ، وما كان ينبغي لأبي الطيب أن يأتي في مثل هذا  
الوضع بلفظة ذلك التي هي من ألفاظ الحساب ، بل كان يترك هذا المعنى الشريف  
الذي لا يتم إلا بتلك اللفظة موافقة لابن سنان فيما رآه وذهب إليه ، وهذا محض  
الخطأ وعين الخطأ .

وأما أنكره على أبي تمام في قوله :

مَوَدَّةٌ ذَهَبٌ أَمَارًا شَبَّهِهُ وَهَيْئُهُ جَوْهَرٌ مَعْرُوفٌ عَرَضُ

فإن هذا البيت ليس مفكرا لما استعمل فيه من ألفاظ الجواهر والعرَض  
التيين هما من خصائص ألفاظ المتكلمين ، بل لأنه في نفسه ركيك ، لتضمنه  
لفظة الشبهة فإنها لفظة عامية ركيكة وهي التي أسخفت بالبيت بجملة ، ورب  
قليل أفسد كثيرا ، وأما لفظا الجواهر والعرَض فلا عيب فيهما ولا ركاكة عليهما .

وأما البيت الآخر وهو :

خَرَقَاهُ يَلْعَبُ بِالْقَوْلِ حَبَابُهَا كَتَلَمَّ بِ الْأَفْعَالِ بِ الْأَسْمَاءِ .

فليس بمنكر ، وهل يشك في أن التشبيه الذي تضمنه واقع في موقعه ؟ ألا  
ترى أن الفعل ينقل الاسم من حال إلى حال ، وكذلك تفعل الخمر بالمقول في  
تنقل حالها ، فما الذي أنكره ابن سنان من ذلك ؟  
وقد جاء لبعض المتأخرين من هذا الأسلوب مالا يُدافع في حسنه ، وهو قوله :

عَوَامِلُ رَزَقٍ أَعْرَبَتْ لَفْظَ الرَّدَى فَجِسْمٌ لَهُ خَفِضٌ وَرَأْسٌ لَهُ نَصَبٌ

فإنه لما حصل له للشابهة في الاسمية بين عوامل الرياح والعوامل النحوية  
حسن موقع ما ذكره من الخفض والنصب ، وعلى ما ذكر ابن سنان فإن ذلك  
غير جائز ، وهو من مستحسنات المعاني هذا من أعجب الأشياء

وهل هذا الأسلوب ورد قول بعضهم :

وفى من مازين فاق أهل البصره  
أمه معرفة وأبوه نكيره

وهل يشك في حسن هذا المعنى ولطافته ؟

وكذلك ورد من هذا النوع في شعر بعض العراقيين بهجو طيبيا ، فقال :

قال حمارُ الطيب توما لوأ نصفوني لكنت أركب  
لأنى جاهلٌ بسيط وراكبي جبهه مُركب

وهذا من المعنى الذى أغرب في الملاحه ، وجمع بين خفة السخرية ووقار  
النفصاحه .

وقد تقدم القول في صدر كتابي هذا أنه يجب على صاحب هذه الصناعة  
أن يعلق بكل علم وبكل صناعة ، ويخوض في كل فن من الفنون ، لأنه مكافئ  
بأن يخوض في كل معنى ، فأضمم يدك على ما ذكرته ونصت عليه ، وارك  
ماسواه ، فليس القائل بمله واجتهاده كالقائل بظنه وتقليده .

وهذا النوع إذا استعمل على الوجه المرصى كان حسنا ، وإذا استعمل  
بخلاف ذلك كان قبيحا ، كما جاء في كلام أبى العلاء بن سليمان المعري وهو قوله  
في رسالة كتبها إلى بعض إخوانه « حرس الأسعادات ما أذنت التاء في الظاه ،  
وتلك سعاده بغير انتهاء » وهذا من الفث البارد ، لكن قد جاء في الشعر ما هو  
حسن فائق كقوله :

قدونكم خفص الحياة فإننا نصبنا المطايا في الفلاة على اللطام<sup>(١)</sup>

(١) شرح التنوير على سقط الزند ١٠٩/٢ نصبنا المطايا : أمددناها للسير . خفص  
الحياة : لينها ونميتها .

والخفض والنصب من الإعراب النحوي ، والخفض رفاهة الميش ، والقطع من منصوبات النحو ، والقطع قطع الشيء يقال قطمته إذا بترته .

### النوع التاسع والعشرون

## في التوشيح

وهو أن يبنى الشاعر أبيات قصيدته على بحرین مختلفین ، فإذا وقف من البيت على القافية الأولى كان شعرا مستقيا من بحر على عروض ، وإذا أضاف إلى ذلك ما بنى عليه شعره من القافية الأخرى كان أيضا شعرا مستقيا من بحر آخر على عروض ، وصار ما يضاف إلى القافية الأولى للبيت كالوشاح ، كذلك يجزى الأمر في الفقرتين من الكلام المنشور ، فإن كل فقرة منهما تصاغ من سبعتين ، وهذا لا يكاد يتعمل الا قليلا وليس من الحسن في شيء ، واستعماله في الشعر أحسن منه في الكلام المنشور .

فن ذلك قول بعضهم :

اتلمّ ودُمّت على الحوادث مارتا ركذا تبيير أو هضاب حراء<sup>(١)</sup>  
ونل المراد ممكنا منه على رغم الدهور وفز بطول بقاء

وهذا الجيد الذي يأتي في هذا النوع ، إلا أن أثر التكلف عليه باذظاهر ، وإذا نظر إلى هذين البيتين وجدواهما يذكران على قافية أخرى وبحر آخر ، وذلك أن يقال :

(١) تبيير : جبل بظاهر مكة . حراء : جبل بمكة به غار تحنت فيه رسول الله .



أسلم ودُمتَ على الحوا دث مازسا ركنا شير  
ونل للراد ممكنا منه على رغم الدهور

وقد استعمل ذلك الحريري في مقامته نحو قوله :

ياخاطِبَ الدنيا الدنيَّةِ إنها شَرَكَ الردى وقَرارةُ الأ كَدَّارِ  
دارمى ما أضحكَّتْ فى يومها أبكَّتْ فداً بُدأ لها مِن دار  
وإذا أَظَلَّ سحابها لم يَنْتَقِمِ منه صَدى لَجْهائِه القَرارِ<sup>(١)</sup>

واعلم أن هذا النوع لا يستعمل إلا متكلفاً عند تماطى التمكن من صناعة  
النظم ، وحسنه متوطناً بما فيه من الصناعات لا بما فيه من البراعة .

الآتى أنه لو نُظِمَ عليه قصيد من أوله إلى آخره يتضمن غزلاً ومديحاً على  
ما جرت إعادة القصائد أليس أنه كان يجيء بارداً غثاً لا يسلم منه على محك النظر  
عشره ؟ والعشر كثير ، وما كان على هذه الصورة من الكلام فإننا يستعمل  
أحياناً على الطبع لا على التكلف ، وهو وأمثاله لا يحسن إلا إذا كان يسيراً كالرقم  
فى التوب أو الشية فى الجلد .

(١) من الممكن أن تقرأ الأبيات هكذا ، وقد وردت على الوجهين فى المقامة الشعرية  
( الثالثة والعشرون ) ١٦٦

ياخاطب الدنيا الدنيا  
دارمى ما أضحكَّتْ فى يومها أبكَّتْ فداً  
وإذا أَظَلَّ سحابها لم يَنْتَقِمِ منه صَدى لَجْهائِه القَرارِ  
لم ينتقم منه صدى : لم يرتو منه عطش

## النوع الثلاثون

### في السرقات الشعرية

ولربما أعترض معترض في هذا الموضوع فقال قد تقدم نثر الشعر في أول الكتاب ، وهو أخذ النثر من الناظم ، ولا فرق بينه وبين أخذ الناظم من الناظم ، فلم يكن إلى ذكر السرقات الشعرية إذاً حاجة ، ولو أنعمَ هذا المعترض نظره لظهر له الفرق ، وعلم أن نثر الشعر لم يُتعرَّض فيه إلى وجوه المأخذ وكيفية التوصل إلى مداخل السرقات ، وهذا النوع يتضمن ذكر ذلك مفصلاً .

واعلم أن الفائدة من هذا النوع أنك تعلم أين تضع يدك في أخذ المعاني ، إذ لا يستغنى الآخر عن الاستعارة من الأول<sup>(١)</sup> ، لكن لا ينبغي لك أن تمجّل في سبك اللفظ على المعنى المسروق فتنادى على نفسك بالسرقة ، فكثيراً ما رأينا من عجّل في ذلك ففتر وتعاطى فيه البدئية فمقر .

والأصل المعتمد عليه في هذا الباب التورية والاختفاء<sup>(٢)</sup> بحيث يكون ذلك أخفى من سقاة الغراب ، وأطرف من عَنقَاء مُتَرَبِّبٍ في الإغراب .

---

(١) قال أبو هلال السكري : ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني من تقدمهم ، والسب على قوالب من سبقهم ، ولكن عليهم إذا أخذوها أن يكسوها ألفاظاً من عندهم ، ويبرزوها في معارض من تأليفهم . (الصناعتين ١٩٦)

(٢) قال القاضي الجرجاني : فإن الشاعر الماذق إذا علق المعنى المختلس عدله عن نوعه وصنعه ، وعن وزنه وفظه ، وعن رويه وقافيته . فإذا مر بالنبي الفحل وجدما أجنبيين متباهدين ، وإذا تأملهما الفطن الذكي عرف قرابة ما بينهما ، والوصلة التي تجمعهما (لوساطة ١٩٩) وقال أبو هلال : والماذق يخفي ديبه إلى المعنى يأخذه في مسترة فيحك له بالسبق إليه أكثر من يحمره (الصناعتين ١٩٨)

وقد ذهب طائفة من العامة إلى أنه ليس لقائل أن يقول إن لأحد من المتأخرين معنى مبتدعاً، فإن قول الشعر قديم منذ نطق باللغة العربية وإنه لم يبق معنى من المعاني إلا وقد طرق مراراً .

وهذا القول وإن دَخَلَ في حيز الإمكان إلا أنه لا يُلتَمَتُ إليه ، لأن الشعر من الأمور المتناقلة ، والذي تَفَلَّتُهُ الأخبار وتواردت عليه أن العرب كانت تنظم المقاطيع من الأبيات فيما يعين لها من الحاجات ، ولم يزل الحال على هذه الصورة إلى عهد امرئ القيس ، وهو قبل الإسلام بمائة سنة زائداً فناقصاً ، فقصد القصائد ؛ وهو أول من قصد ؛ ولو لم يكن له معنى اختص به سوى أنه أول من قصد القصائد لكان في ذلك كفاية . وأى فضيلة أكبر من هذه الفضيلة ؟ ثم تقابح المقصدون واختير من القصائد تلك السبع التي علفت على البيت ، وانفتح للشعراء هذا الباب في التفصيل . وكثرت المعاني المقولة بسببه ، ولم يزل الأمر ينمى ويزيد ، ويؤتى بالمعاني الغربية واستمر ذلك إلى عهد الدولة العباسية وما بعدها إلى الدولة الحمدانية ، فمظم الشعر وكثرت أساليبه ، وتشعبت طرقه ، وكان ختامه على الثلاثة المتأخرين وهم أبو تمام حبيب بن أوس وأبو عبادة الوليد بين عبيد البحرى وأبو الطيب المتنبى .

فإذا قيل إن المعاني المبتدعة سبق إليها ولم يبق معنى مبتدع عورض ذلك بما ذكرته .

والصحيح أن باب الابتداع للمعاني مفتوح إلى يوم القيامة . ومن القدي يحجر على الخواطر ، وهي قاذفة بما لانهاية له ؟ إلا أن من المعاني ما يتساوى الشعراء فيه ، ولا يطاق عليه اسم الابتداع لأول قبل آخر ، لأن الخواطر تأتي به من غير حاجة إلى تباع الآخر الأول ، كقولهم في الغزل :

عَفَتِ الدِّيارُ وما عَفَتِ آثارُهنَّ من القلوبِ

وكقولهم إن الطيف يجود بما يَبْخَلُ به صاحبه ، وإن الواشى لو علم بمزار

الطيف لساءه ، وكقولهم في المديح إن عطاءه كالبحر وكالسحاب ، وإنه لا ينح  
عطاء اليوم عطاء غد ، وإنه يجود ابتداء من غير مسألة وأشباه ذلك ، وكقولهم  
في المرأى إن هذا الرزء أول حادث ، وإنه استوى فيه الأبعد والأقرب ،  
وإن الذاهب لم يكن واحدا وإنما كان قبيلة ، وإنه بعد هذا الذاهب لا يمد  
للنية ذنب ، وأشباه ذلك .

وكذلك يجرى الأمر في غير ما أشرت إليه من معان ظاهرة تتوارد الخواطر  
عليها من غير كلفة ، وتستوى في إيرادها ، ومثل ذلك لا يُطْلَقُ على الآخر  
فيه اسم السرقة من الأول ، وإنما يطلق اسم السرقة في معنى الخصوص كقول  
أبي تمام :

لانتكروا ضَرْبِي له مَنْ دُونَهُ      مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْيَاسِ  
فَاللهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَّ لِنُورِهِ      مَثَلًا مِنَ الْمَشْكَاةِ وَالنَّهْرَاسِ

فإن هذا معنى مخصوص ابتدعه أبو تمام ، وكان لا ابتداعه سبب والحكاية  
فيه مشهورة ، وهي أنه لما أنشد أحمد بن المعتصم قصيدته السينية التي مطلعها  
« ما في وقوفك ساعة من باس »<sup>(١)</sup> انتهى إلى قوله :

إقدام عمرو في سماحة حاتم      في جِلْمِ أَحْنَفَ فِي ذَكَاءِ إِيَّاسِ

فقال الحكيم الكِنْدِيُّ : وأى فخر في تشبيه ابن أمير المؤمنين بأجلاف  
العرب ؟ فأطرق أبو تمام ، ثم أنشد هذين البيتين معتذرا عن تشبيه إياه  
بعمر وحاتم وإياس ، وهذا معنى يشهد به الحال أنه ابتدعه ، فمن أتى من بعده  
بهذا المعنى أو بجزء منه فإنه يكون سارقا له .

(١) من قصيدته في مدح أحمد بن المعتصم (الديوان ٢٤٢/٢)

وكذلك ورد قول أبي الطيب المتنبي في عضد الدولة وولديه :  
وأنت الشمسُ تَبْهَرُ كُلَّ عَيْنٍ فَكَيْفَ وَقَدْ بَدَتْ مَعَهَا اثْنَتَانِ  
فَمَا شَأْنُ عَيْشَةِ الْقَمَرَيْنِ بِمُحْيَا بِضَوْسُهُمَا وَلَا يَتَحَاسَدَانِ  
وَلَا مَلَكَ سِوَى مَلِكِ الْأَعَادِي وَلَا وَرِثًا سِوَى مَنْ تَقْتَلَانِ  
وَكَانَ أَبْنَا عَدُوًّا كَأَثَرِهِ لَهُ يَأْتِي حُرُوفِ أَنْبِيَاءِ (١)

وهذا معنى لأبي الطيب ، وهو الذي ابتدعه أى أن زيادة أولاد عدوك  
كزيادة التصغير ، فإنها زيادة نقص .

وما ينبغي أن يقال إن ابن الرومي ابتدع هذا المعنى الذى هو :

تُشْكِي الْحَبَّ وَتُلْفَى الدَّهْرَ شَاكِيَةً (٢)

كألقوسٍ تُضْمِي الرَّمَايَا وَهِيَ يِرْنَانٌ

فإن علماء البيان يزعمون أن هذا المعنى مبتدع لابن الرومي ، وليس كذلك  
ولكنه مأخوذ من المثل المضروب ، وهو قولهم ( يَلْدَغُ وَيَهِي ) (٣) .  
ويضرب ذلك لمن يبتدىء بالأذى ثم يشكو ، وإنما ابن الرومي قد ابتدع معانى

(١) الديوان ٤٨٦/٤ من قصيدته التى مطلعها :

مفانى الشدب طيبا فى المفانى بمنزلة الريح من الزمان

(٢) اشكى الحب . تزيد أذى وتفعل به ما يوجب شكواه : تصمى الرمايا : تصيب  
المصيد فتقتله مكانه . وى الأصل ( يشكى ويانى ) ، لكن قبل البيت قوله :

يارب حسنة منهن قد فعلت سوءا رقد تفعل الأسواء حسنا  
وهذا يعين تأنيث الفعلين .

(٣) يهى : يهى ، من صامت المقرب تصمى إذا صاحت ، ومنه حديث على رضى الله عنه

« أنت مثل المقرب تلدغ وتهى » ، أى تلدغ وهى صائحة . تاج العروس مادة صأى

آخر غير ما ذكرته ، وليس الغرض أن يؤتى على جميع ما جاء به هو ولا غيره من المعاني المتقدمة ، بل الغرض أن يبين المعنى المبتدع من غيره . والقى عندي في السرقات أنه متى أورد الآخر شيئاً من ألفاظ الأول في معنى من المعاني ولو لفظة واحدة فإن ذلك من أدل الدلائل على سرقة .

واعلم أن علماء البيان قد تكلموا في السرقات الشعرية فأكثرها ،<sup>(١)</sup> وكنت ألفت فيها كتاباً ، وقسمته ثلاثة أقسام : نسخاً وسَلْحاً ومَسْحاً .

أما النسخ فهو أخذ اللفظ والمعنى رمة من غير زيادة عليه ، مأخوذاً ذلك من نسخ الكتاب .

وأما السَلْحُ فهو أخذ بعض المعنى ، مأخوذاً ذلك من سَلْحَ الجلد القى هو بعض الجسم المسلوخ .

وأما المسح فهو إحالة المعنى إلى مادونه ، مأخوذاً ذلك من مسح الأدميين قرده

وما هنا قسمان آخران أخلقتَ بذكرهما في الكتاب القى ألقته ؛ فأحدهما أخذ المعنى مع الزيادة عليه ، والآخر عكس المعنى إلى ضده ، وهذان القسمان أيضاً بنسخ ولا سَلْحَ ولا مسح :

---

(١) من العلماء والنقاد الذين درسوا السرقات القاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجاني مؤلف الوساطة ، فقد قسم المعاني ثلاثة أقسام : المعاني المشتركة التي لا يجوز ادعاء السرقة فيها ، والمعاني المتبدلة التي كانت في أصلها مخترعة ثم استفاضت وتوقلت فليس أحد أولى بها من أحد ، والمعاني المختصة التي حازها المبتدع فلصحتها ، فصار المتدى مختلساً سارقاً (الوساطة ١٧٩)

وكذلك أبو هلال العسكري الذي أفاض في الكلام في السرقات وضرورها وتكلم في الأخذ الحسن ووسائله والبيع وضروره (الصناعتين ١٩٦)

وكل قسم من هذه الأقسام يتفرع ويتفرع به للقسم إلى مسالك  
دقيقة ، وقد استأنفت ما فاتني من ذلك في هذا الكتاب ، والله الموفق  
للصواب .

ومن المعلوم أن السرقات الشعرية لا يمكن الوقوف عليها إلا بحفظ الأسماء  
الكثيرة التي لا يحصرها عدد ، فن رام الأخذ بنواصيها والاشتغال على قواصيها  
بأن يتصفح الأسماء تصحفا ويقنع بتأملها ناظرا ، فإنه لا يظفر منها إلا بالحواسي  
والأطراف ،

وكنت سافرت إلى الشام في سنة سبع وثمانين وخمسة ، ودخلت مدينة دمشق  
فوجدت جماعة من أدبائها يلهجون بيت من شعر ابن الخياط في قصيدة لها ولها :

خذ من صبا نجد أمانا لقلبه (١) .

ويزعمون أنه من المعاني الغريبة ، وهو .

أغارُ إذا آنتُ في الحمى أنه حذارا عليه أن تكون لُله

(١) تكلمة البيت : « فقد كاد رايها يطير بلبه »

وهو مطلع قصيدة لطيفة منها :

ويا كما ذاك النسيم فإنه	متى هب كان الوجد أيسر خطبه
خليلى لو أحببتنا لعلمتا	محل الهوى من مفرم القلب صبه
تذكر والذكرى تشوق وذو الهوى	يتوق ، ومن يعلق به الحب يصبه
غرام على يأس الهوى ورجائه	وشوق على بعد المزاد وقربه
وفى الركب مطوى الضلوع على جوى	متى يدعه داعى الغرام يلبه
إذا خطرت من جانب الرمل نفضة	تضمن منها داؤه دون صحبه
ومحتجب بين الأسننة معرض	وفى القلب من إعراضه مثل حجه
أغار إذا آنت في الحمى أنه	حذارا وخوفا أن تكون لُله

والأبيات لأحمد بن محمد بن علي بن صدقة النضلي المعروف بابن الخياط الشاعر الدمشقي

قلت لهم : هذا البيت مأخوذ من شعر أبي الطيب المتنبي في قوله :

لَوَقَاتِ الدَّنَفِ المَشُوقِ فَدَيْتُهُ      عَمَّا بِهِ لِأَعْرَتِهِ بِفِدَائِهِ (١)

وقول أبي الطيب أدقُّ معنى ، وإن كان قولُ ابن الخياط أرقَّ لفظاً .  
ثم إنى وَقَفْتُهُمْ عَلَى مواضع كثيرة من شعر ابن الخياط قد أخذها من  
شعر المتنبي .

وسافرت إلى الديار المصرية في سنة ست وتسعين فوجدت أهلها يُعجبون  
ببيت من الشعر يعزُّونه إلى شاعر من أهل اليمن يقال له عمارة (٢) ، وكان حديث  
عهد زماننا هذا في آخر الدولة العلوية بمصر ، وذلك البيت من جهة قصيدة له  
يمدح بها بعض خلفائها عند قدومه عليه من اليمن وهو :

فهل دَرَى البَيْتُ أنى بعدُ فُرَّقَ      ما سِيرْتُ من حَرَمٍ إلا إلى حَرَمٍ (٣)

قلت لهم : هذا البيت مأخوذ من شعر أبي تمام في قوله مادحا لبعض

(١) من قصيدته التي مطلعها :

القلب أهلٌ ياعذول بدائه      وأحقُّ منك بجفنه وبمائه  
الديوان ١/١ أى أن القلب أدرى منك أيها اللأم بدائه وما أدرك من ألم الهوى ، فهو يبتس  
شفاه في البكاء ويامر الجفن به .

الدنف : المريض من العشق . أغرته : بقتله على النيرة . بدائه : بفدائك إياه .  
(٢) عمارة البجلي : شاعر سياسي كبير ولد سنة ٥١٥ هـ باليمن ، ثم رحل إلى مصر  
سنة ٥٥٠ هـ في عهد الخليفة الفائز ووزيره يومئذ طلائع بن زريك ، ونال من الكرم  
ما ألج لسانه بالشكر .

ولما سقطت الدولة الفاطمية حزن عليها حزنا شديدا ، لكنه اضطر إلى مدح صلاح الدين  
الأيوبي . ثم انهم بالاشتراك في مؤامرة لخلع صلاح الدين ، فسلم فبمن صلحوا سنة ٥٦٩ هـ

(٣) من قصيدته في مدح الخليفة الفائز بن الظاهر ووزيره الصالح ، التي مطلعها :

الحمد لله ليس بعد العزم والهمم      حمدا يقوم بما أولت من النعم

( ديوان عمارة البجلي )



الخلفاء في حَبَّة حَبَّهَا ، وذلك بيت من جملة أبيات خمسة :

يا من رأى حَرَمًا يَسْرِي إلى حَرَمٍ طُوبَى لِمُسْتَلِيمٍ يَا تَبِي وَمُنْتَزِمٍ (١)  
ثم قلت في نفسى يالَّ العجب ! ليس أبو تمام وأبو الطيب من الشعراء  
الذين دَرَسَتْ أَسْمَارُهُمْ ، ولاهما من لم يُعْرَفْ ولا اشتهر أمره ، بل هما كما يقال  
أشهر من الشمس والقمر ، وشعرهما دأر في أيدي الناس ، بخلاف غيرها ،  
فكيف خَفِيَ على أهل مصر ودمشق بيتا ابن الخياط وهمارة المأخوذان من  
شعرهما ؟ وعلت حينئذ أن سبب ذلك عدم الحفظ للأشعار والافتقار بالنظر  
في دواوينها .

ولما نصبت نفسى للخوض في علم البيان ودرمت أن أكون معدوداً من  
علمائه ، علمت أن هذه الدرجة لا تنال إلا بنقل ما في الكتب إلى الصدور ،  
والاكتفاء بالحفوظ عن المسطور .

ليس بِبَلِيمٍ مَا حَوَى الفِطْرُ مَا القَلَمُ إلا ما حَوَاهِ الصَّدْرُ

ولقد وقعت من الشعر على كل ديوان ومجموع ، وأنفذت شطرا من العمر  
في الحفوظ منه والمسموع ، فألقيه بحر الأبوَاف على ساحله ، وكيف يُدْتَمَى  
إلى إحصاء قول لم يخص أسماء قائله ؟ فمعد ذلك اقتصرت منه على ما تكثر  
فوائده ، وتنشعب مقاصده ، ولم أكن ممن أخذ بالتقليد والتسليم في اتباع من  
قَصَرَ نظره على الشعر القديم ، إذ المراد من الشعر إنما هو إبداع المعنى  
الشريف في اللفظ الجزل واللطيف ، فتمى ووجد ذلك فكل مكان خِيَمَتْ  
فهو بابل .

(١) ليس البيت بديوانه

وقدا كتفتت في هذا بشعر أبي تمام حبيب بن أوس وأبى عبادة الوليد  
(البحترى) وأبى الطيب المنبى ، وهؤلاء الثلاثة هم لآت الشعر وعزاه  
ومناؤه<sup>(١)</sup> ، الذين ظهروا على أيديهم خسنانه ومستحسناته ، وقد حوت أشعارهم  
قرابة المحدثين .

(١) يريد أنهم آله الشعر .

اللات : صنم كان لأهل الطائف وكانت قريش وسائر العرب تعظمه ، وهو صخرة مربعة  
وسموا به فقالوا : زيد اللات وتم اللات ( الأضنام لابن السكلى ١٦ ) وقيل إنه بيت كان  
بنخلة فميدته قريش ( تفسير الطبرى ٣٥/٢٧ ) ويرى بروكلمان أن اللات هى الإلهة التى كانت  
تعرف فى الطائف بالربة أى السيدة ، وهى تقابل الأم الكبرى للالهة عشتار عند الساميين  
الشماليين ( العرب والامبراطورية الميرية ٢٧ ) وذكر الطبرى أن اللات مشتقة من الله ،  
ألحقت به التاء فأنت ، كما قيل عمرو للمذكر وللأنثى عمرة ( تفسير الطبرى ٣٤/٢٧ )  
وطلت اللات لى فجر الإسلام إذ بعث النبي أباصفيان والمغيرة بن شعبه لهدمها بالطائف .  
( دخلان ٣٧٩/٢ ) بعد أن أسلمت ثقيف ، وهلاها المغيرة يضرب بالمعول ، وخرجت نساء  
ثقيف حسرا يبكين عليها ويتهمن بالجين رجالهن لأنهم لم يدافعوا عنها ( ابن هشام ١٩٨/٤ )  
المرى :

كانت المرى أعظم الأصنام عندهم . وكانت بواد من نخلة الشامية يقال له حراض ، فبنى  
عليها بيت ؟ وكانوا يسمعون فيه الصوت . وسموا بها فقالوا هب المرى . وكانوا يزورونها  
ويهدون إليها ويتقربون بالذبيح عندها ( الأضنام ١٨ ) ويختلف المؤرخون فى عبادتها ،  
فابن هشام يذكر أنهم قريش وبنو كنانة ( السيرة ٨٧/٤ ) وغيره يذكر أنهم غطفان . وهى  
شجرة سمرة بعث إليها النبي خالد بن الوليد فقطعها . وزعموا أنها خرجت منها شيطانة مكشوفة  
الرأس ناضرة الشعر ، تضرب رأسها وتولول فضربها خالد بالسيف فقتلها وهو يقول :

يا عز كفر الله لا سبحانك لاني رأيت الله قد أهانك

فلما رحم إلى النبي أخبره بما فعل ، فقال : تلك المرى ولن تمديدا ( أخبار مكة لللازرق  
٧٤/١ والنيسابورى على هامش الطبرى ٤١/٢٧ ) والزيبي دخلان على هامش السيرة الحلبية  
٣٤٠/٢ . وتسمية المرى مشتقة من اسم الله تعالى العزيز أو هو مؤنث الأعز كما ذهب  
النيسابورى ( الطبرى ٣٤/٢٧ ) والنيسابورى على هامشه )  
مناة :

أقدم أصنامهم ؟ كانت تعظمه الأوس والمزرج ومن ينزل يثرب ومكة وماحولها ،  
ويذبحون له ويهللون ، وضموا به فقالوا هب مناة وزيد مناة ( الأضنام ١٣ ) . وهى صخرة  
سميت بذلك لأن دماء القرابين كانت تنعى عندها أى تراق وظلت قائمة إلى أن بعث النبي  
سعد بن زيد أو أباصفيان بن حرب أو على بن أبى طالب فهدمها ( الزبيبي دخلان ٣٤٢/٢ )  
ويرى بروكلمان أنها إلهة القضاء والقدر ، وكانت معروفة فى مكة ، ثم شاعت عبادتها  
على الخصوص بين قبائل هذيل البدوية المجاورة ( العرب والإمبراطورية الميرية ٧٧ )

إلى فصاحة القدماء ، وجهت بين الأمثال السائرة وحكمة الحكماء .

أما أبو تمام فإنه رَبُّ معانٍ ، وصَيْقَلُ ألبابٍ وأذهانٍ ، وقد شَهِدَ له بكل معنى مبتكر لم يَمْشِ فيه على أثرٍ ، فهو غير مُدَاْفِعٍ عن مقام الإغراب الذي رَزَّ فيه على الأضراب .

ولقد مارستُ من الشعر كل أولٍ وآخرٍ ، ولم أقل ما أقول فيه إلا عن تنقيبٍ وتنقيحٍ ، فمن حفظ شعر الرجل وكشَفَ عن غامضه ، وراضٍ في فكره برائضه ، أطاعته أَعِنَّةُ الكلام ، وكان قوله في البلاغة ما قالت أذام ، نَحْذَرُ في ذلك قول حكيم ، وتعلم تفوق كل ذي علم عليم .

وأما أبو عبادَةَ البحتري فإنه أَحْسَنَ في سَبْكِ اللفظ على المعنى ، وأراد أن يَشْمَرَ فَنَتَى ، ولقد حاز طرفي الرقة والجزاة على الإطلاق ، فبينما يكون في شَطَفِ نَجْدٍ إِذْ تَشَهَّتْ رِيْفُ العِراقِ .

وسئل أبو الطيب المتنبي عنه وعن أبي تمام وعن نفسه فقال : أنا وأبو تمام حكيمان ، والشاعر البحتري . ولعمري إنه أنصف في حكمه ، وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه ، فإن أبا عبادَةَ أتى في شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء ، في اللفظ المصوغ من سلاحة الماء ، فأدرك بذلك بُعدَ المرام مع قربهِ إلى الألفهام . وما أقول إلا أنه أتى في مدانيه بأخلاق الفألية<sup>(١)</sup> ، ورَقِيَ في ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية .

وأما أبو الطيب المتنبي فإنه أراد أن يسلك مسلك أبي تمام فقَصُرَتْ عنه خطاه ، ولم يُعْطِهِ الشعر من قواده ما أعطاه ، لسكنه حظي في شعره بالحكم

والأمثال ، واختصَّ بالإبداع في وصف مواقف القتال .  
وأنا أقول قولاً لست فيه مُتَأَمِّماً ولا منه مَتَلَمِّماً ، وذلك أنه إذا خاض في  
أَمْضَى من نِصَالِها ، وأشجع من أَبْطَالِها ، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها ، حتى  
وصف معركة كان لسانه تظن الفريقين قد تقابلا ، والسلاحين قد توأصلا ،  
فطريقته في ذلك تَضِلُّ بسلكه ، وتقوم بعذر تاركه . ولا شك أنه كان يشهد  
الحروب مع سيف الدولة ابن حمدان فيصف لسانه ما أدى إليه عيانه . ومع هذا فإن  
وأيت الناس عادلين فيه عن سَنَنِ التوسط ، فإِما مُفَرِّطٌ في وصفه وإِما مُفَرِّطٌ .  
وهو وأن انفرد بطريق صار أبا عُذْرِهِ ، فإن سعادة الرجل كانت أكبر  
من شعره ، وعلى الحقيقة فإنه خاتم الشعراء ، ومهما وصف به فهو فوق الوصف  
وفوق الإطراء .

ولقد صدق في قوله من أبيات يمدح بها سيف الدولة :

لا تظَلِّينَ كَرِيماً بعد رؤيته      إن الكرام بأَسْخامِ يَدَا خَتَمُوا  
ولا تُبَلِّ بشعْرِ بعد شاعِرِهِ      قد أُنْفِدَ القولُ حَقَّ أَجْدِ الصَّمَمِ (١)

ولما تأملت شعره بعين المَدَدَةِ البعيدة عن الهوى ، وعين المعرفة التي ماضل  
صاحبها وما عَوَّى ، وجدته أقساماً خمسة : خمسٌ في الغاية التي انفرد بها دون غيره ،  
وخمسةٌ من الشعر الذي يساويه فيه غيره ، وخمسٌ من متوسط الشعر ، وخمسةٌ  
دون ذلك ، وخمسةٌ في الغاية المتفجرة التي لا يُبْأَى بها ، وعدمها خير من وجودها ،

(١) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

عني أئيبين على عفى الرضى ندم      ماذا يزرك في إلبامك القسم  
لأنه يفتنه أن الطريق أئيب عند ملكك أن يهزم سيف الدولة ، فلما حارب سيف الدولة هزمه  
الهيوان ١٦٧/٤ . شاعره : يزيد نفسه .

ولو لم يقلها أبو الطيب لوقاه الله شرها فإنها هي التي ألبسته لباس الملام ، وجعلت  
عرضه شارة لسهام الأقوام . ولما نزلها هنا أن يسأل ويقول : لم عدت إلى  
شعر هؤلاء الثلاثة دون غيرهم ؟ .

فأقول : إنى لم أعدل إليهم اتفاقاً ، وإنما عدت إليهم نظراً واجتهاداً ،  
وذلك أنى وقتت على أشعار الشعراء قديمها وحديثها ، حتى لم أترك ديواناً لشاعر  
مُفلق يثبّت شعره على المحك إلا وعرضته على نظري ، فلم أجد أجمع من ديوان  
أبي تمام وأبي الطيب للعاني الدقيقة ، ولا أ كثر استخراجاً منها لطيف الأغراض  
والمقاصد ، ولم أجد أحسن تهذيباً للألفاظ من أبي عبادة ، ولا أنقى ديباجة  
ولا أبهج سبكاً ، فاخترت حينئذ دواوينهم ، لاشتغالها على محاسن الطرفين من  
للعاني والألفاظ . وما حفظتها ألفت ما سواها مع ما بقي على خاطري من غيرها .

وقد أوردت في هذا الموضوع من السرقات الشعرية ما لم يورده غيري ،  
ونبت على غوامض منها ، وكنت قدمت القول أنى قسمتها إلى خمسة أقسام ،  
منها الثلاثة الأول ، وهي النسخ والسلك والمسخ ، ومنها القسمان الآخران ، وما أظن  
أبين ما تنقسم إليه هذه الأقسام من تشعبها وتفريعها فأقول :

## (الفسخ)

أما النسخ فإنه لا يكون إلا في أخذ المعنى واللفظ جميعاً ، أو في أخذ المعنى  
وأكثر اللفظ ، لأنه مأخوذ من نسخ الكتاب ، وعلى ذلك فإنه ضربان :

المؤول :

يسمى وقوع الحافر على الحافر<sup>(١)</sup> ، كقول امرئ القيس :

وقوفاً بها صحبي على مطيئهم يقولون لا تهلك أمتي وتجدل<sup>(٢)</sup>  
وكقول طرفة :

وقوفاً بها صحبي على مطيئهم يقولون لا تهلك أمتي وتجدل<sup>(٣)</sup>  
وقد أكثر الفرزدق وجريز من هذا في شعرهما ، فنه ماوردًا فيه مورد  
امرئ القيس وطرفة في تخالفهما في لفظة واحدة كقول الفرزدق :

أتمدل أحساباً لثاماً حمانها بأحسابنا إني إلى الله راجع<sup>(٤)</sup>  
وكقول جرير :

أتمدل أحساباً كراماً حمانها بأحسابكم إني إلى الله راجع<sup>(٥)</sup>

(١) ذكر أبو هلال البتيني والآتين وغيرها ، على أنه ما أخذ بلفظه ومعناه ، وادعى  
أخذه أو ادعى له أنه لم يأخذه ، ولكن وقع له كما وقع للأول ، ثم علق على ذلك بأنه معيب  
وإن ادعى الآخر أنه لم يسمه قول الأول ، بل وقع لهذا كما وقع لذلك ، فإن صحة ذلك لا يعلمها  
إلا الله عز وجل ، والمعيب لازم للآخر (الصناعتين ٢٢٩) .

(٢) من معلقته — الديوان ٩

(٣) من معلقته . جبهة أشعار العرب ١٣٠

(٤) البيت بديوان الفرزدق :

أتمدل أحساباً لثاماً أدقة بأحسابنا إني إلى الله راجع

(الديوان ٢/٥١٩)

(٥) البيت كذلك في ديوانه ٣٧١

ومنه ما تساوبا فيه انظا بلفظ كقول الفرزدق :

وغر قد نسقتُ مُشَمَّرَاتٍ طوالمَ لا تطيقُ لها جوابا  
بسكل مُذَيِّةٍ وبسكل تَقَرِّ غرائمهن تنفتسبُ انتسابا  
بَلَّغْنَ الشمسَ حين تسكون شرقا ومسقط رأسيها من حيث غابا<sup>(١)</sup>

وذلك قال جرير من غير أن يزيد .

وقد حكى أن امرأة من عقيل يقال لها ليل كان يتحدث إليها الشباب ،  
ودخل الفرزدق إليها وجعل يحدّثها ، وأقبل فتى من قومها كانت تألفه ، فدخل  
إليها فأقبلت عليه ، وتركت الفرزدق ، ففاض ذلك فقال لفتى : أتصارعني ؟  
فقال : ذلك إليك ، فقام إليه فلم يلبث أن أخذ الفرزدق فصرة وجلس على  
صدره ، فصرط فوثب الفتى عنه ، وقال يا أبا فراس ، هذا مقام المائذ بك والله  
ما أردتُ ما جرى فقال : ويحك والله ما بى أنك صرعتني ، ولكن كأني ببن  
الأتان - - - يعني جريرا - - - وقد بلغه خبري فقال يهجونى :

جلستَ إلى ليلي لتَحظى بِقُرْبِها نغانك دُبرٌ لا يزال يَمحُون  
فلو كنتَ ذا حزمٍ شددتَ وِكاها كما شدَّ جِرْبَانَ الدِّلاصِ قِيون

قال فوالله ما مضى إلا أيام حتى بلغ جريرا الخبر ، فقال فيه هذين البيتين<sup>(٢)</sup>  
وهذا من أغرب ما يكون في مثل هذا اللوح وأعجبه .

(١) الديوان ١٢٣/١ من هجائه لجرير . والبيت الأول في الديوان هكذا :

وغر قد نسقت مشمّرات طوالم لا تطيق لها جوابا  
وفيه ( غواربهن ) . وفي الأصل ( وسقت )

(٢) ليس البيتان في ديوان جرير

ويقال إن الفرزدق وجريرا كانا ينطقان في بعض الأحوال عن ضمير واحد ، وهذا عندي مستبعد ، فإن ظاهر الأمر يدل على خلافه ، والباطن لا يعلمه إلا الله تعالى ، والا فإذا رأينا شاعرا متقدما الزمان قد قال قولا ، ثم سمعناه من شاعر أتى من بعده علمنا بشهادة الحال أنه أخذ منه . وهب أن الخواطر تتفق في استخراج المعاني الظاهرة المتداولة ، فكيف تتفق الألسنة أيضا في صوغها الألفاظ ؟

ومما كنت أستحسنه من شعر أبي نواس قوله من قصيدته التي أولها :  
(دع عنك لومي فإن اليوم إقراء<sup>(١)</sup>) .

دارت على فتية ذل الزمان لهم      فإصابتهم إلا بما شاءوا  
وهذا من على الشعر ، ثم وقفت في كتاب الأغاني لأبي الفرج على هذا البيت في أصوات معتد وهو :

لنفي على فتية ذل الزمان لهم      فإصابتهم إلا بما شاءوا  
وما أعلم كيف هذا<sup>(٢)</sup> .

(١) ديوان أبي نواس ٦ والبيت بالديوان هكذا :

دارت على فتية ذل الزمان لهم      فإصابتهم إلا بما شاءوا  
(٢) رواية الأغاني (٢٤/١) : قال الوليد بن يزيد يوما : لقد اشتقت إلى معبد ، فوجه البريد إلى المدينة ، فأتى بمعبد ، وأمر الوليد ببركة قد هيئت ، فقلت بالبحر والماء ، وأتى بمعبد فأجلس والبركة بينهما ، وبينهما ستر قد أرخى ، فقال له : غنى بمعبد ، ففناه هذه الأبيات  
لنفي على فتية ذل الزمان لهم      فإصابتهم إلا بما شاءوا  
ما زال يعدو عليهم ريب درهم      حتى تفتانوا وريب الدهر هداه  
أبكي فراقهم عيني وأرقها      إن التفرق للأحباب بكاء  
وفي الأغاني رواية أخرى ١٢٣/٦ تنوير هذه ، ملحظها أن الحنين بن الضحاك قال في قصيدة له مطلعها :

بدلت من نفعات الورد باللاء      ومن صبوحك دار الإبل والشاة



الضرب الثاني من الفسخ :

وهو الذي يؤخذ فيه المعنى وأكثر اللفظ ، كقول بعض المتقدمين يمدح  
مقيداً صاحب الغناء :

أجاد طويسٌ والشَّرِيجِيُّ بعده وما قَصَبَاتُ السَّبْقِ الأَلْمَعِيدِ

ثم قال أبو تمام .

محاسنُ أصنافِ المغنينِ جَمَّةٌ وما قَصَبَاتُ السَّبْقِ الأَلْمَعِيدِ

وهذه قصيدة أولها :

غَدَتْ تَسْتَجِيرُ الدَّمْعَ خَوْفَ نَوَى غَدِ

فقال :

وقائِمُ أَصْلُ النَّصِيرِ فِيهَا وَفَرُّعُهُ إِذَا عُدَّ الإِحْسَانَ أَوْ لَمْ يُعَدِّدِ

فهما تكن من وقعةٍ بَعْدُ لَا تَكُنْ سِوَى حَسَنِ مِمَّا فَعَلَتْ مُرَدِّدِ<sup>(١)</sup>

محاسن أصناف المغنين جهة البيت .

---

== أأيانا ، أعجب بها ؛ فقال له سامعها : أنت تحوم حول أبي نواس في قوله :

دع هناك لوى فإن اللوم لإغراء وداوئي بالنى كانت هي الداء

وتفاضيا ، فاستدل سامعه بأبيات أبي نواس ( دارت على فتية ) ، وفي رواية أخرى أن  
أبا نواس والحسين بن الضحاك تناحدا لصيدبتهما ، وحكما بينهما ابن مناذر .

(١) من قصيدته في مدح أبي سميء محمد بن يوسف الطائي ، ومطامها في الديون

٢٢/٢ هكذا :

سرت تستجير الدمع خوف نوى غد وعاد فتادا عندهما كل مرقد

## السلخ

وأما السلخ فإنه ينقسم إلى اثني عشر ضرباً ، وهذا تقسيم أوجبته القسمة ،  
وإذا تأملته علمت أنه لم يبق شيء خارج عنه .

**فالأول :** أن يؤخذ المعنى ويستخرج منه ما يشبهه ولا يكون هو إياه ، وهذا  
من أدق السرقات مذهباً ، وأحسنها صورةً ، ولا يأتي إلا قليلاً ،  
فن ذلك قول بعض شعراء الحماسة :

أقد زادني حُباً لنفسِي أني بفيض إلى كل أسرى غير طائل<sup>(١)</sup>

أخذ المتنبى هذا المعنى ، واستخرج منه معنى آخر غيره ، إلا أنه شبيه به ، فقال :  
وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأنني فاضل<sup>(٢)</sup>

والعبرة بأن هذا المعنى أصله من ذلك المعنى عسر خامض ، وهو غير متبين  
الإن أعرق في ممارسة الأشعار ، وخاص في استخراج المعاني ، وبيانه أن الأول  
يقول إن بفض الذي هو غير طائل إياي مما زاد نفسي حُباً إلي ، أي جعلها في  
عيني ، وحسنها عندي ككون الذي هو غير طائل مبغض ، والمتنبى يقول : إن ذم  
الناقص إياي شاهد بفضي ، فذم الناقص إياه كبغض الذي هو غير طائل ذلك

---

(١) الشعر للطرماح بن حكيم الطائي (شرح الحماسة للرزوقي ١/٢٢٧ والأفاني ١٠/١٥٠)

غير طائل : غير فاضل ، دون خسيس .

(٢) من قصيدته في مدح القاضي أبي الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكي ، ومطلعها :

لك يا منازل في القلوب منازل ألفت أت ومن منك أوامل

ورواية الديوان (بأنى كامل) وهي أولى من (فاضل) لتضاد كلمة ناقص الديوان ٣/٤٦٨

الرجل ، وشهادة ذم الناقص إياه بفضله كتحسين بنض الذي هو غير طائل  
نفس ذلك الرجل عنده .

ومن هذا الضرب ما هو أظهر مما ذكرته وأبين ، كقول أبي تمام :

رَعْتَهُ الْفِيَّافِي بَعْدَ مَا كَانَ حَقِيْبَةً رَعَاهَا وَمَا هِ الرَّوْضَ يَنْتَلِ سَاكِبَةً (١)

أخذ البحرى هذا المعنى واستخرج منه ما يشابهه ، كقوله في قصيدة يفخر فيها بقومه :

شَيْخَانٌ قَدْ تَقَلَّ السَّلَاحُ عَلَيْهِمَا وَعَدَا مَا رَأَى السَّمِيْعُ الْمُبْصِرُ

رَكِبَا الْفَنَاءَ مِنْ بَعْدِ مَا حَمَلَا الْقَنَاءَ فِي عَسْكَرٍ مُتَحَامِلٍ فِي عَسْكَرٍ (٢)

فأبو تمام ذكر أن الجبل رعى الأرض ثم سار فيها فرعته ، أى أهزنته ،

فكانها فطت به مثل ما فعل بها . والبحرى نقل هذا إلى وصف الرجل

بمُلُوِّ السن والهرم ، فقال : إنه كان يحمل الرمح في القتال ، ثم صار يركب عليه ،

أى يتوكأ منه على عصا ، كما يفعل الشيخ الكبير .

وكذلك ورد قول الرجلين أيضا فقال أبو تمام :

لَأُظْلِمَ النَّأْيُ قَدْ كَانَتْ خَلَاثَتُهَا

من قَبْلِ وَشَكِ النَّوْىُ عِنْدِي نَوْىٌ قَدْ فَا (٣)

(١) من قصيدته في مدح أبي العباس عبد الله بن طاهر ، التي مطلعها :

هن عوادى يوسف وصواحيه فمز ما فعدما أدرك السؤل طالبه  
(الديوان ٢٣٠/١) الفيافي : الأماكن الخالية والقفار ، يريد أن مركوبه هزل من سيره  
في القفار بعد ما كان سميئا ، فكانها رعته بعد ما رعى نبتها .

(٢) من رثائه لقومه (الديوان ٤٥/٢) وفي الديوان البيت الثاني قبل الأول

(٣) من قصيدته في مدح أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي التي مطلعها :

أما الرسوم فقد أذكرن ماسلفا فلا تكمن عن شأنك أو يكفا  
(الديوان ٣٥٩/٣) فذف بضم القاف والقال وفتحهما بعيدة ، أى لا أكذب على النأى  
فأقول إنه فرق بيننا ، فقد كانت أخلاقها لي قبل الفراق فرقا يعنى الوصول إليها .

أخذه البحترى فقال :

أَعَانِكُ مَا كَانَ الشَّبَابُ مُقَرَّبِي  
إِلَيْكَ فَأَلْحَى الشَّيْبَ إِذْ هُوَ مُبْعِدِي<sup>(١)</sup>  
وهذا أوضح من الذى تقدمه وأكبر بياناً .

الضرب الثانى من الملح :

أن يؤخذ المعنى مجرداً من اللفظ ، وذلك مما يصعب جداً ، ولا يكاد  
يأتى إلا قليلاً .

فمنه قول عروة بن الورد من شعراء الحماسة :

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَاهِيَالٍ وَمُقْتَرَا  
مِنَ الْمَالِ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحٍ  
لِيَبَاعَ عُدْرًا أَوْ يَفَالَ رَغِيْبَةً وَمُبَاغُ نَفْسٍ عُدْرَاهَا يَمُثَلُ مُنْجِحٌ<sup>(٢)</sup>  
أخذ أبو تمام هذا المعنى فقال :

فَسَقَى مَاتَ بَيْنَ الضَّرْبِ وَالطَّمَنِ مَيْتَةً  
تَقُومُ مَقَامَ النَّصْرِ إِذْ فَاتَهُ النَّصْرُ<sup>(٣)</sup>

فَعُرُوَّةُ بْنُ الْوَرْدِ جَمَلَ اجْتِهَادَهُ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ عُدْرًا يَقُومُ مَقَامَ النَّجَاحِ ،

(١) الديوان ١/١٩٦ من قصيدته فى مدح أحمد بن المدبر

(٢) شرح الحماسة للرزوق ١/٤٦٥ وديوان عروة بن الورد ٨٨ وفيهما (أو يصيب

رغيبه)

(٣) من رثائه لمحمد بن حميد الطوسى ، ومطالع القصيدة :

كَذَا فليجبل الخطب وليقدح الأمر فليس لعين لم يفنن ماؤها عذر

الديوان ٣١٩ وفى الأغاني ١٥/٩٩ أبيات منها .

وأبو تمام جعل الموت في الحرب الذي هو غاية اجتهاد الجتهد في لقاء العدو قائما  
مقام الانتصار ، وكلا المعنيين واحد ، غير أن اللفظ مختلف .

وهذا الضرب في مرقاة المعاني من أشكلمها وأدقها وأغربها وأبعدها  
مذهبها ، ولا يتفطن له ويستخرجها من الأشعار إلا بعض الخواطر دون بعض .  
وقد يجيء منه ما هو ظاهر لا يبلغ في الدقة ما بلغ هذه الأبيات المشار إليها ، كقول  
ابن المقفع في باب الرثاء من كتاب الحماسة :

فقد جسرنا نفاً فقدنا لك أنفاً

أمننا على كدل الرزايا من المزعج<sup>(١)</sup>

وجاء بعده من أخذ هذا المعنى فقال :

وقد عزى ربيعة أن يوماً عليها مثل يومك لا يعود

وهذا من البديع النادر .

وهاهنا ما هو أشد ظهوراً من هذين البيتين في هذا الضرب من السرقات  
الشعرية ، وذلك يأتي في الألفاظ المترادفة التي يقوم بعضها مقام بعض ، وذلك  
لا اعتداد به لمكان وضوحه

---

(١) من رثاء عبد الله بن المقفع ليحيى بن زياد أو لابن أبي العوجاء عبد الكريم شرح  
الحماسة للمرزوق ٨٦٣/٢ والتبريزي .

وابن المقفع هو أبو محمد عبد الله بن المقفع أحد الباناء الأولين والمترجمين السابقين ، وهو  
من سلالة فارسية . كان أبوه المقفع مجوسياً ، وسبب تلقيبه بالمقفع أنه كان يعمل في جباية  
الحراج لولاية الرائق زمن بني أمية فخان في بعض المال فضربه الوالي حتى تقفعت يده أي تشنجت .  
ولد ابن المقفع حوالي ١٠٦ هـ وسماه أبوه روزبة ، ونشأ بالبصرة ، وتعلم على علماء عصره  
وطى أبيه ، وأجاد العربية والفارسية ، ثم كتب لولاية من بني أمية ومن بني العباس ، وترجم  
كثيراً من كتب الفرس إلى العربية وقتل سنة ١٤٢ هـ لضغينة سياسية ولأنهاه بالزندقة

لكن قد يحىء منه ما هو وصفه من صفات الترادف، لا الاسم نفسه، فيكون  
حسنا كقول جرير:

ولا تَمْنَعَكَ من أربٍ لِحَامِهِمْ سِوَا ذُو العِمَامَةِ وَالخِمَارِ (١)  
أخذ أبو الطيب المتنبي هذا المعنى فقال:

وَمَنْ في كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاءٌ كُن في كَفِّهِ مِنْهُمْ خِصَابٌ (٢)

الضرب الثالث من السلمخ:

وهو أخذ المعنى ويسير من اللفظ، وذلك من أفصح السرقات وأظهرها  
شناعة على السارق، فمن ذلك قول البحرى في غلام:

فَوَيْلٌ لِمَنْ خَفَّ الصَّغِيرَ إِنْ وُكِّلَ الْأُمُورُ

إِلَيْهِ وَدُونَ كَيْدِ الْكِبَارِ (٣)

سبقة أبو نواس فقال:

لَمْ يَخْفَ من كِبَرٍ عَمَّا يُرَادُ بِهِ من الْأُمُورِ وَلَا أُرْدَى من الصَّغِيرِ (٤)  
وكذلك قوله (البحرى) أيضا:

كُلُّ عِيدٍ لَهُ إِقْضَاءٌ وَكُنْفَى كُلِّ يَوْمٍ من جُودِهِ في عِيدِ (٥)

(١) من قصيدته في حجاج الفرزدق والبعيث (الديوان ١٩٢) وقيل البيت بيت لاحتس .  
الأرب: الحاجة القبيحة التي ذكرها في البيت السابق

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة بعد أن أوقع بهني كلاب الحارثيين عليه، التي مطلعها  
بغيرك راعياً عسباً الزناب وغيرك صارماً نلم الضراب  
وهو يعير في البيت إلى ما فعله سيف الدولة بهم؛ إذ سب نساءهم، فصار الرجال كالنساء ذلاً  
وخزياً .

(٣) من قصيدته في مدح أبي جعفر بن حميد واسمها به غلاما (الديوان ٢٥/٢) وفي  
الديوان (الضار) بدلا من (الصغير) .

(٤) ليس البيت في ديوانه

(٥) ليس البيت في ديوانه .

أخذه من علي بن جبلة :

لأعيد يوم من الأيام منتظراً والناس في كل يوم منك في عيد<sup>(١)</sup>

وكذلك قوله (البحري) :

جاد حتى أفنى السؤال فلما باد منّا السؤال جاد ابتداء<sup>(٢)</sup>

أخذه من علي بن جبلة :

أعطيت حتى لم تدع لك سائلاً وبدأت إذ قطع الغفاة سؤالها

وقد انتضح البحري في هذه المأخذ غاية الافتضاح ، هذا على بسطة باعه في الشعر وغناه عن مثلها .

وقد سلك هذا الطريق نحو الشراء ، ولم يستكفوا من سلوكها ،

فمن ذل ذلك أبو تمام فإنه قال :

قد قلصت شفتاه من حنيطته فخيّل من شدة التعميس مئتمها<sup>(٣)</sup>

سبهه عبد السلام بن رغبان المعروف بديك الجن فقال :

وإذا شئت أن ترى الموت في صو

رة ليت في لبدتي رثباً

فالقته غير أننا لبدته أبيض صارم وأسمر قال

تلحق لينا قد قلصت شفتاه فبرى ضاحكا لعين الصيال

(١) هاء مجيد المدح وبخاصة مدح أبي دلف المجل وحيد الطوسي والأأمون (طبقات

الشعراء لابن الأثير ١٧٠ والضر والدمراء ٥٥٠)

(٢) من قصيدته في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف (الديوان ١٣/١)

(٣) من قصيدته في مدح إسحاق بن إبراهيم (الديوان ١٦٥/٣) قلصت : أبرزت

أسنانه من شدة الغضب

وكذلك قال أبو تمام .

فلم أمدحك تفخيما بشعري ولكنني مدحت بك المدح<sup>(١)</sup>

أخذه من حسان بن ثابت في مدحه للنبى صلى الله عليه وسلم حيث قال :

ما إن مدحت محمدا بمقاتي لكن مدحتُ مقاتي بمعد<sup>(٢)</sup>

ولاشك أن أبا بكر رضى الله عنه سمع قول حسان حيث استخلف عمر رضى الله عنه ، فقال له عمر : استخلف غيرى ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : ما حيوّناك بها ، وإنما حبوناها بك .

وهكذا فعل ابن الرومى ، فما جاء له قوله :

جرّخته العيونُ فاقْتَصَّ منها بجوى في القلوب دامي الندوب<sup>(٣)</sup>

سبقة أبو تمام فقال :

ذميتُ بالاحْظَاتِ وَجَنَّتَهُ فاقتَصَّ ناظرُهُ من القلب<sup>(٤)</sup>

---

(١) من مدحه لإسحاق بن إبراهيم (الديوان ١/٣٤٥)

(٢) ليس البيت بديوان حسان .

وحسان هو حسان بن ثابت الأنصارى الخزرجى التجارى أشعر شعراء رسول الله . وقد عمر طويلا حتى كلف بصره في حياته ، ومات سنة ٦٤ هـ زمن معاوية عن عشرين ومائة سنة . كان حسان من بيت عريق في الشعر ، إذ كان أبوه وجدته شاعرين ، وكان ابنه عبد الرحمن وحفيده سعيد بن عبد الرحمن شاعرين . واشتهر حسان بأنه شاعر الأنصار في الجاهلية ، وشاعر النبي زمن النبوة ، وشاعر النبيين كلها في الإسلام .

(٣) ديوان ابن الرومى ١٧٣/٢

الندوب : الجروح . الجوى : الألم والوجد .

(٤) لم نجد البيت في ديوانه



وكذلك قول ابن الرومي :

وَكَلْتُ مُحَمَّدًا فِي اقْتِضَائِكَ حَاجَتِي      وَكُنِّي بِهِ مُتَقَاضِيًا وَوَكِيلًا<sup>(١)</sup>  
سببه أبو تمام فقال :

وَإِذَا الْجُدُّ كَانَ عَرْنِي عَلَى الْمَرْءِ      تَقَاضَيْتُهُ بِتَرْكِ التَّقَاضِي<sup>(٢)</sup>  
وكذلك قال ابن الرومي :

وَمَالِي عَزَاءٌ عَنْ شِبَابِي عَلِمْتُهُ      سِوَى أَنِي مِنْ بَعْدِهِ لَا أُخَلِّدُ<sup>(٣)</sup>  
سببه منصور البري فقال :

قَدْ كِدْتُ أَقْضِي عَلَى فَوْتِ الشَّبَابِ أُمِّي      لَوْلَا تَعَزَّيْتُ أَنْ الْعَيْشَ مُنْقَطِعٌ<sup>(٤)</sup>  
وكذلك فعل أبو الطيب المتنبّي ، فما جاء منه قوله :

فَدَى نَفْسَهُ بِضَمَانِ النَّضَارِ      وَأَعْطَى صُدُورَ الْقَنَا الذَّابِلِ<sup>(٥)</sup>

(١) ليست بديوانه المطبوع .

(٢) من قصيدته في مدح ابن دواد التي مطلعها :

بدلت هجرة من الإجماع يوم شدوا الرجال بالأغراض  
(الديوان ٢ / ٣١٦)

(٣) الديوان ٣٩٤ من قصيدته التي مطلعها :

أبين ضلوعي حجرة تتوقد على ما مضى أم حسرة تتجدد

(٤) من قصيدته في مدح الرشيد (الأغاني ١٢ / ١٨) ومنها في الشباب :

ما تنقض حسرة مني ولا جزع إذا ذكرت شباباً ليس يرتجم  
بان الشباب وفاتني بلذته صروف دهر وأيام لها خدع  
ما كنت أوفي شبابي كنه غرته حتى اقتضى فاذا الدنيا له تبسم  
ومنصور النمرى كان هند الرشيد مقدما ، وكان الرشيد يعطيه ويجزل له ، وكان يتظاهر  
بأنه عباسي المذهب وهو في باطن نفسه شيعي .

(٥) من قصيدته في مدح سيف الدولة لما استنقذ من أسر الحارثي أبا وائل تغلب بن

داود ، ومطلعها :

إلام طماعية الماذل      ولا رأي في الحب للعائل =

أخذه من قول الفرزدق :

كَانَ الْفِدَاءَ لَهُ صُدُورُ رِمَاحِنَا      وَالخَيْلُ إِذْ رَهَجَ الْعُبَارُ مُشَارًا<sup>(١)</sup>

وكذلك قوله (المتنبي) أيضاً :

أَيْنَ أَرْمَمْتَ أَيُّهَا هَذَا الْهَامُ      نَحْنُ نَبَتُ الرُّبَا وَأَنْتَ النَّامُ<sup>(٢)</sup>

أخذه من بشار حيث قال :

كَانَ النَّاسَ حِينَ تَغِيْبُ عَنْهُمْ      نَبَاتُ الْأَرْضِ أَخْطَاهُ الْقَطَارُ<sup>(٣)</sup>

وكذلك قوله (المتنبي) :

فَلَا زَالَتْ دِيَارُكَ مُشْرِقَاتٍ      وَلَا دَانَيْتَ يَا شَمْسُ الْفُرُوبَا

لَأُضْبِحَ آمِنًا فِيكَ الرَّزَايَا      كَمَا أَنَا آمِنٌ فِيكَ الْعُيُوبَا<sup>(٤)</sup>

---

== (الديوان ٣ / ١٨٦) النضار : الذهب . القنا الذابل : الرماح . أى ضمن لهم الذهب ثم أعطاهم صدور الرماح . وذلك أن سيف الدولة استغنىه من أيديهم بغير فداء، إذ أتى الخارجى بجيشه وقتله وأتخذ أبا وائل .

(١) من قصيدة له في مناقضة جرير (الديوان ٢ / ٤٦٩)

(٢) مطلع قصيدته في مدح لالتنبي حينما عزم على الرحيل عن أنطاكية .

(الديوان ٤ / ٧٩) .

(٣) من قصيدته في الفخر (الديوان ٣ / ٢٤٧) والبيت في الديوان :

كَانَ النَّاسَ حِينَ تَغِيْبُ عَنْهُمْ      نَبَاتُ الْأَرْضِ أَخْلَفَهُ الْقَطَارُ  
القطار : بكسر القاف جمع قطار وقطرة والمراد المطر ، وبضم القاف المطر الغزير .

(٤) من قصيدته في مدح علي بن محمد بن سيار التميمي .

(الديوان ١ / ١٦٧) التي مطلعها :

ضروب الناس عشاق ضروبا      فأعذرهم أشفهم حبيبا

أخذه من ابن الرومي حيث قال :

أَسْلِمٌ قَدْ سَلِمَتْ مِنَ الصُّيُوبِ      أَلَا قَسَلَمٌ كَذَاكَ مِنَ الْخَطُوبِ (١)

والذي عندي في الضرب للشار إليه أنه لابد من مخالفة المتأخر المتقدم ،  
إما بأن يأخذ المعنى فيزيده معنى آخر ، أو يوجز في لفظه ، أو يكسوه عبارة  
أحسن من عبارته .

ومن هذا الضرب ما يستعمل على وجه يزداد قبحة ، وتكثر البشاعة به ،  
وهو أن يأخذ أحد الشعارين معنى من قصيدة لصاحبه على وزن وقافية ، فيودعه  
قصيدة له على ذلك الوزن وتلك القافية ، ومثاله في ذلك كمن سرق جوهرة من  
طوق أو نطاق ، ثم صاغها في مثل ماسرقتها منه ، والأولى به أن كان نظم تلك  
الجوهرة في عقد أو صاغها في سوار أو خلخال ليكون أكرم لأمرها .

ومن فعل ذلك من الشعراء قانقضح أبو الطيب المتنبي حيث قال في قصيدته  
التي أولها : ( غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع (٢) ) .

لم يُسَلِّمِ السِّكْرُ فِي الْأَعْقَابِ مُهْجَتَهُ      إِنْ كَانَ أَسْلَمَهَا الْأَضْحَابُ وَالشَّيْعُ

وهذه القصيدة مصوغة على قصيدة لأبي تمام في وزنها وقافيتها أولها :  
« أَى الْقُلُوبِ عَلَيْكُمْ لَيْسَ يَنْصَدِعُ (٣) » .

(١) من قصيدته في مدح سالم بن عبد الله بن عمر الأخباري (الديوان ١/٢٩٥)

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة ؛ التي مطلعها :

غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع      إن قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا

(الديوان ٣/٣٩٣) يقول إن هذه الوقعة التي هزم فيها المسلمون قد خذل فيها الجند سيف  
الدولة لكتبه كره على الأعداء بنفسه ، فدافعت نفسه عن نفسه

(٣) الديوان ٣٢٢ في رثاء بني حيد

وهذا المعنى الذى أورده أبو الطيب مأخوذاً من بيت منها وهو :  
ما طالب عنكم من الإقدام أكرمته في الرّوع إذ غابت الأنصار والشّيع  
وليس في السرقات الشعرية أفصح من هذه السرقة ، فإنه لم يكتب الشاعر  
فيها بأن يسرق للمنى حتى ينادى على نفسه أنه قد سرقة .

الضرب الرابع منه السليخ :

وهو أن يؤخذ المعنى فيعكس ، وذلك حسن يكاد يخرج منه حسنة عن حد  
السرقة ، فن ذلك قول أبي نواس :

قالوا عَشِقْتَ صغيرةً فأجبتهمُ أشهى المطىِّ إلى ما لم يُرَكَّبِ  
كم بين حبة لؤلؤٍ مَشْفُوءَةٍ لَيْسَتْ وَحَبَّةٌ لَوْلُؤٍ لَمْ تُشَقَّبِ (١)

فقال مسلم بن الوليد في عكس ذلك :

إن اللطية لا يلدُّ ركوبها حتى تُذَلَّلَ بالزمام وترُكَّبَا  
والحبُّ ليس بنافعٍ أرباباًه حتى يُفصَلَ في النِّظامِ ويُشَقَّبَا (٢)

ومن هذا الباب قول ابن جعفر :

ولما بدّا لي أنها لا تُريدني وأن هواها ليس عني بمنجلى  
تمنيتُ أن تهوى سيواى لعلما

تذوقُ صباياتِ الهوى فترقِّ لي (٣)

(١) الديوان ٢٩ (المطبعة العمومية)

(٢) الديوان ٣٠٥

(٣) هو علي بن عبد الله بن جعفر ينتمى نسبة إلى أبي طالب ، وهو قاتل هذين البيتين

(الأغانى ١٤٢/١٩) وفى الأغانى (لاوردنى)

وقال غيره :

ولقد سررتي صدودك عني في طلائيك وامتناعك مني  
حذراً أن أكون مفتاحَ غيري وإذا ما خلوت كنت التمني

أما ابن جعفر فإنه تذاب (١) وألقى عن منكبهِ رداء الغيرة ، وأما الآخر  
فجاء بالضد من ذلك وتعالى به غاية الغلو .

وكذلك ورد قول أبي الشَّيْص :

أجدُ اللامةَ في هواكِ قديزةً شغفاً بذكرِكِ فليلمني اليوم (٢)  
أخذ أبو الطيب للظن هذا المعنى وعكسه يقال :

أُحِبُّهُ وَأُحِبُّ فِيهِ مَلَامَةً إِنْ لِللَّامَةِ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ (٣)

وهذا من السرقات الخفية جداً ، ولأن يسمي ابتداء أولى من أن يسمي  
سرقه ، وقد توخيت في شيء من شرى فجاء حسناً ، فمن ذلك قولي :

(١) ورد في الأغاني ١٤٢/١٩ نسبة البيهقي إلى ابن جعفر أيضاً . وذلك أن التوكل  
سأله عن تدينه في البيهقي الأولين فقال له ابن جعفر : جعلت فداك ، اسم بيتين قاتهما في  
الغيرة ، وأنشد البيهقي .

(٢) تذاب وتذاب : استخفى وتحامل ، من تذاب لتناقة إذا استخفى لها مقبها  
بالذنب ليطلقها على غير ولدها .

(٣) في الأغاني أن علي بن عبد الله أنشد لنفسه أبيانا ، منها هذا البيت ( الأغانى  
١٤٢/١٩ ) وفي المقدم القريد ٣٧٤/٥ نسبتها إلى أبي الشَّيْص ، وكذلك في شرح الرزوقي  
للحماسة ٣٧٣/٣ . أما الشاعر فاسمه محمد بن عبد الله بن رزين ، وهو ابن عم دهل الشاعر  
وكان في زمن الرشيد معاصراً لأبي نواس ، والقيص معناه في الأصل التمر الردي .  
والآيات من :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم  
أجد اللامة في هواك قديزة حيا تذكرك فليلمني اليوم  
أشبهت أعدائي فصررت أحبهم إذ كان حظي منك حظي منهم  
وأمنت نفسي صاغرا مامن يهون عليك ممن يكرم  
(٤) من أبيات أجازها باقتراح سيف الدولة (الديوان ١/٦)

ولولا الكرامُ وما سَنَوهُ من كَرَمٍ لم يَدْرِ قاتِلُ شِعْرِ كَيْفَ يَمْتَدِّحُ  
أخذه من قول أبي تمام :

ولولا خِلالُ سَنَها الشَّرِّ ما دَرَى  
بُناةُ المَلا من ابنِ توتى للكارمِ (١)

الضرب الخامس من الملح :

وهو أن يؤخذ بعض المعنى ، فمن ذلك قول أمية ابن أبي الصلت يمدح  
عبد الله بن جُدعان :

عطاؤك زَيْنٌ لامرئٍ إن حَبَوْتَهُ      يَهْذِلُ وما كُلُّ العطاءِ يَزِينُ  
وليس بِشَيْنٍ لامرئٍ بَدَلُ وجهه      إليك كما بَعْضُ السَّؤالِ يَشِينُ (٢)

أخذه أبو تمام فقال :

قُدِّمَ عطاياهُ وفَرَّأَ وَهَى إن شِهرَتِ      كانت فِخاراً لمن يَفْهوه مُؤْتَنَقاً  
مازَلْتُ مَنظَرًا أُعْجِبُوبَةً زَمَنًا      حتى رَأيتُ سَوالاً يَجْتَنِي شَرَفًا (٣)

فأمية بن أبي الصلت أتى بمعنيين اثنين ؛ أحدهما أن عطائك زين ، والآخر أن

(١) من قصيدته في مدح أحمد بن دواد (الديوان ١٨٣/٣) وفي الديوان (بناة الندى)

(٢) الأغانى ٣/٨ والديوان ٦٣

أمية شاعر جاهل حفل ديوانه بالتوحيد والكونيات والبث والحساب الخ قال فيه  
الأصمعي ذهب أمية في شعره بعامية ذكر الآخرة، وذهب عنبرة بعامية ذكر الحرب، وذهب عمر بن  
أبي ربيعة بعامية ذكر الفسب (الأغانى ٤/١٢٥) وقد أدرك الإسلام وتوفي سنة ٩٠هـ وكان  
قد قرأ الكتب واتصل بالقدسيين وليس الموح وتنسك وحرم الخمر والوثان  
وعبد الله بن جُدعان جواد عربي مشهور ربما كان النبي يحضر طعامه ، وقد حضر في داره  
قبل النبوة خلفاً لرد الظالم

(٣) من مديحه لأبي ذلف الجبل مطلعها .

أما الرسوم فقد أذكرن ماسلفاً      فلا تكفى عن شائيك أو يسكفا  
(الديوان ٢/٣٦٥)

عطاء غيرك شين ، وأما أبو تمام فإنه أتى بالمعنى الأول لاغير .

ومن هذا الضرب قول علي بن جبلة :

وَأَثَلَ مَالِمْ بِمَجْهَدٍ مُتَقَدِّمٍ وَإِنْ نَالَ مِنْهُ آخِرٌ فَهُوَ تَائِبٌ

قال أبو الطيب المتنبي :

تَرَفَّعَ عَنْ عَوْنِ الْمَكَارِمِ قَدْرُهُ فَمَا يَفْعَلُ الْفَعْلَاتِ إِلَّا عَذَارِيًّا<sup>(١)</sup>

فعل بن جبلة اشتمل ما قاله على معنيين : أحدهما أنه فعل مالم يفعل أحد من تقدمه ، وإن نال منه الآخر شيئاً فإنما هو مقتدبه وتابع له . وأما أبو الطيب فإنه لم يأت إلا بالمعنى الواحد ، وهو أنه يفعل مالا يفعل غيره ، غير أنه أبرزه في صورة حسنة .

ومن ذلك قول أبي سام :

كَلِمَةُ رَبِّ الْمَجِيدِ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يُبْتَدَأْ عَرَفَ إِذَا لَمْ يُتَعَدِّمْ<sup>(٢)</sup>

قال البحرى :

وَبِمِثْلِكَ إِنْ أَبْدَى الْفَعَالَ أَحَادَهُ وَإِنْ صَنَعَ لِلْعُرُوفِ زَادَ وَتَمَّ<sup>(٣)</sup>

فأبو تمام قال إن المدح يَرُبُّ صنيعه ، أى يستديبه ، ويعلم أنه إذا لم

(١) من قصيدته في مدح كافور التي مطلعها :

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب النايا أن يكن أمانياً  
(الديوان ٥٢٨/٤ العون : جم عوان وهي التي فوق البكر دون الفارض . العذارى :  
جم عذراء وهي البكر ، أى أنه أجل قنرا من أن يفعل في المكرمات فعلا قد سبقه إليه  
أحد ، وإنما يأتي بها ابتداء

(٢) من مدحه لابن شيبانه ٢٤٨/٣

(٣) من قصيدته في مدح الفتح بن خالان التي مطلعها :

يهون عليهما أن آيت متيا أحالج شوقا في الضمير مكنيا  
(الديوان ٢٢٧/٢)

يستعمله فما ابتدأه ، والبحترى قال إنه يستعمله صنيعة لاغير ، وذلك بعض ما ذكره أبو تمام .

وكذلك قال البحترى :

اذْفَعْ بِأَمثالِ أَبِي غالِبٍ عَادِيَةَ العُدْمِ أو اسْتَمْتَفِ (١)

أخذه ممن تقدمه ، حيث قال :

انْتَجِ الفَضْلَ أو تَحْمِلْ عن الدُّنْيا فها تان غاية الهيم

قالبحترى أخذ بعض هذا المعنى ولم يستوفه .

وكذلك ورد قول ابن الرومي :

نَزَلْتُمْ على هام المعالي إذا ارتبتي إليها أناسٌ غيرُكم بالسَّلامِ (٢)

أخذه أبو الطوب المتنبى فقال :

فوقَ السماءِ وفوقَ ما طلبوا فإذا أرادوا غايةً نَزَلُوا (٣)

وهذا بعض المعنى الذى تضمنه قول ابن الرومي ، لأنه قال إنكم نزلتم على

هام المعالي وإن غيركم يرقى السهارجيا ، وأما المتنبى فإنه قال إنكم إذا أردتم غاية نزلتم ،

وأما قوله ( فوق السماء ) فإنه يعنى عنه قول ابن الرومي ( نزلتم على هام المعالي ) إذ

للمعالي فوق كل شيء ، لأنها مختصة بالعلو مطلقا .

---

(١) من قصيدته فى مدح أبي غالب بن الدبرالى مطلعها :

لم تبلغ الحق ولم تنصف عين رأيت بيناً فلم تذف

( الديوان ١٠٢/٢ )

(٢) ليست بديوانه المطبوع

(٣) من مدحه لمضد الدولة بقصيدة مطلعها :

انك فإنا أيها الطلل نبي وترزم تحتنا الإبل

( الديوان ٣٧/٤ )



الضرب السادس من السليح :

وهو أن يؤخذ المعنى فيزاد عليه معنى آخر، فما جاء منه قول الأخنس بن شهاب :  
إِذَا قَصُرَتْ أَسْيَانُنَا كَانَ وَصْلُهَا خَطَانًا إِلَى أَعْدَانَا فَضَارِبٌ (١)

أخذه مسلم بن الوليد فزاد عليه ، وهو قوله :

إِنَّ قَصَرَ الرَّمْعُ لَمْ يَنْشِ الْخَطَا عَدَدًا

أَوْ عَرَّدَ السِّيفُ لَمْ يَهْمَمْ بِتَعْرِيدٍ (٢)

وكذلك ورد قول جرير في وصف أبيات من شعره :

غَرَابُ أَلْفٍ إِذَا حَانَ وَرَدُهَا أَخَذَنَ طَرِيقًا لِقَصَائِدِ مُعَلَّمَا (٣)

أخذه أبو تمام فزاد عليه ، إذ قال في وصف قصيد له ، وقرن ذلك

بالممدوح :

غَرَابُ لَأَتَّ فِي فَنَائِكَ أَنْسَمَا

مِنَ الْمَجِيدِ فَهَيَّ الْآنَ غَيْرُ غَرَابٍ (٤)

(١) شرح الحماسة للمرزوق ٢/٢٧٧ وفيه ( وإن قصرت )

وهو الأخنس بن شهاب بن شريق ينتهي نسبه إلى تغلب ، شاعر جاهلي قديم قبل الإسلام بدمر . وهو غير الأخنس بن شريق الثقفي الصحابي

(٢) من قصيدته في مدح داود بن يزيد المهلبى (الديوان ١٥٩) تمرید : عدم قطع ، أى لم يهم بإبعاد السيف عن الضريبة

(٣) من قصيدته في هجاء البعيت (الديوان ٥٤٢) والنس في الديوان :

فإني لها جيبم بكل غريبة شرود إذا السارى بليل ترنما  
غرائب ألاف إذا حان وزدها أخذن طريقا لقصائد معلما

(٤) من مدحه لأبي دلف بقصيدة مطلعها :

على مثلها من أربع وملاعب أذيلت مصونات الدموع السواكب

(الديوان ١/٢٢١)

وكذلك ورد قول ولد منلة بن عبد الملك :

أذلّ الحياوة وكرة اللت وكلاً أراه طاماً وبيلاً  
فلن لم يكن غيرُ إحداها فنهدأ إلى اللوت سيراً جميلاً  
أخذه أبو تمام فقال :

مَثَلَ اللوتَ بينَ عينيه والذئبَ لَ وكلاً رآه خَطباً عظيماً  
ثم سارتَ به الحسيمةُ قدماً فأماتَ العدا وماتَ كريماً<sup>(١)</sup>  
فزاد عليه بقوله « فأمات العدا ومات كريماً » .

ويروي أنه نظر عبد الله بن علي رضي الله عنه عند قتال مروانة إلى فتى  
عليه أبهة الشرف ، وهو يبلى في القتال بلاء حسناً ، فناداه : يا فتى لك الأمان ،  
ولو كنت مروان بن محمد . فقال : إلا أكنه فلتتُ بدونه .

قال : فلك الأمان ، ولو كنت من كنت . فأطرق ثم تمثل هذين البيتين للذكورين .  
وكذلك ورد قول أبي تمام :

يَصُدُّ عن الدنيا إذا عنَّ سُوْدَدٌ ولو بَرَزَتْ في زِيٍّ عَذْرَاءُ نَاهِدٍ<sup>(٢)</sup>  
أخذه من قول ابن المعتز بن غيلان :  
ولستُ بنظاري إلى جانب الملاء إذا كانت التلياء في جانب النفر<sup>(٣)</sup>

(١) الديوان ٣٣٤ في رثاء جعفر الطائي

(٢) من مدحه لابن الحسن عمه بن المهيم بن شبابة التي مطلعها .

فقوا جعدوا من عهدكم بالمعاهد وإن هي لم تسع لشعدان ناشد

(الديوان ٦٨/٢)

(٣) تصويب اسمه من الأغاني ١٢ / ٥٤ وكان في الأصل المعتدل ، بغير ابن . =

إلا أنه زاده زيادة حسنة بقوله : « ولو برزت في زى عذراء ناهد » .

ومما يجرى هذا الجرى قول البحرى :

خَلَّ عَنَّا فَإِنَّمَا أَنْتَ فِينَا      وَأَوْعَمَّرُوا أَوْ كَالْحَدِيثِ لِلْمَعَادِ<sup>(١)</sup>

أخذه من قول أبي نواس :

قُلْ لِمَنْ يَدِي سَلِمِي سَفَاهَا      لَسْتَ مِنْهَا وَلَا قُلَامَةٌ ظَفِيرِ  
إِنَّمَا أَنْتَ مُلْصَقٌ مِثْلُ وَأَوِ      أَلْحَقْتَ فِي الْمَجَاءِ ظَلْمًا بِتَمَرٍ<sup>(٢)</sup>

إلا أن البحرى زاد على أبي نواس في قوله : أو كالحديث المعاد .

وهكذا ورد قول البحرى أيضاً :

رَكِبُوا الْفَرَاتَ إِلَى الْفَرَاتِ وَأَمَلُوا      جَذْلَانَ يُبَدِّعُ فِي السَّمَاحِ وَيُغْرِبُ<sup>(٣)</sup>

أخذه من مسلم بن الوليد في قوله :

رَكِبْتُ إِلَيْهِ الْبَحْرَ فِي مَوْخِرَاتِهِ      فَأَوْفَتْ بِنَانٍ بَعْدَ بَحْرِ إِلَى بَحْرِ<sup>(٤)</sup>

== وهو عبد الصمد بن المنذر بن غيلان . وفي الأغاني :

ولست بيمال إلى جانب الفنى      إذا كانت الفلياء في جانب الفقر  
وإني لصبار على ما ينوبني      وحسبك أن ألقه أنني هل الصبر

(١) من هجائه لعل بن الجهم (الديوان ١/١٩١)

(٢) في هجاء أشجع السلمي (الديوان ٥٤٥) وكان في الأصل (سليما) والبيت

الغاني بالديوان :

إنما أنت من سليمان كواد      ألحقت في الهجاء ظلما بعسرو

(٣) من مدحته لإسحاق بن إبراهيم بن مصعب (الديوان ١/٦٢)

(٤) الديوان ١١١ وروى ركبنا إليه البحر . مؤخراته : أو آخر ركوبه . والضمير

في أوفت يعود على السفينة المذكورة قبل ذلك

إلا أن البحترى زاد عليه بقوله : « جذلان يبدع في الدجاج وينرب » .

وكذلك ورد قول أبي نواس :

وليس في مُسْتَنْكَرٍ أن يَجْمَعَ العالَمَ في واحدٍ<sup>(١)</sup>

وهذا البيت قد لُجج به الناس لهجا كثيرا ، ومنهم من ظنه مبتدعا لأبي نواس ، ويحكي عن أبي تمام أنه دخل على ابن أبي دواد<sup>(٢)</sup> فقال له : أحسبك عاتبا يا أبا تمام ، فقال : إنما يُعْتَبُ كُلُّ واحد ، وأنت الناس جميعا ؛ قال : من أين هذه يا أبا تمام ؟ قال : من قول الخاذق أبي نواس ، وأنشده البيت ، وهذه الحكاية عندي موضوعة لأن أبا تمام كان عارفا بالشعر حتى إنه قال : لم أنظم شعرا حتى حفظت سبعة عشر ديوانا للنساء خاصة دون الرجال ، وما كان يخفى عليه أن هذا المعنى ليس لأبي نواس ، وإنما هو مأخوذ من قول جرير :

إذا عَصَيْتَ عليك بَنُو تميم حَسِبْتَ الناسَ كُلَّهُم غَضابا<sup>(٣)</sup>

إلا أن أبا نواس زاد زيادة حسنة ، وذلك أن جريرا جعل الناس كلهم بنى تميم ، وأبا نواس جعل العالم كله في واحد ، وذلك أبلغ .  
ومما ينتظم في هذا السلك قول الفرزدق :

(١) من مدحته لها رون الرشيد (الديوان ٤٥٤)

(٢) هو ابن أبي دواد الإباضي ، كان من جالة العلماء في عصر الأمويين ، وقد عرف فضله ، فأوصى أخاه المعتصم به ، وكتب في كتاب الوصية له بالخلافة « وأبو عبد الله أحمد بن أبي دواد لا يفارقك ، أشرك في المشورة في كل أمرك ، فإنه موضع ذلك » فكان المعتصم لا يفعل فعلا باطنا ولا ظاهرا إلا برأيه ، ثم حسنت حاله كذلك عند الواثق بعد المعتصم ، ثم فُجج في خلافة المتوكل ومات سنة ٢٤٠ هـ .

ويقول ابن خلكان « دواد » بضم الدال وفتح الواو . وفي القاموس المحيط في مادة « داود » : وأحمد بن أبي دواد معروف . ومن هذا يظهر لك خطأ من يهيج الواو ، وقد وقع في ذلك كثير .

(٣) الديوان ٧٨ من قصيدته في هجاء الراعي النخري

عَلَامٌ تَلْفَتَيْنِ وَأَنْتَ تَنْحِي وَخَيْرُ النَّاسِ كَلِمُهُ أَمَامِي  
مَتَى تَأْتِي الرُّصَافَةَ نَسْتَبِيحِي مِنَ الْأَنْسَاعِ وَالِدَبْرِ الدَّوَامِي (١)

أخذه أبو نواس فصار أمك به ، وأحسن فيه غاية الإحسان ، فقال :

وإذا الطيُّ بنا بلغنَّ محمداً فظهورهن على الرجال حرام (٢)

فانزردق قال : ( تستبجى من الأنساع والدبر الدوامي ) وليست استراحتها  
بمانعة من معاودة إنسابها مرة أخرى ، وأما أبو نواس فإنه حرم ظهورهن على  
الرجال ، أي أنها تُغْفَى من السفر إعفاء مستمرا ، ولا شك أن أبا نواس لم ينتبه  
لهذه الزيادة إلا من فعل العرب في السائبة والبحيرة (٣) .

وعلى هذا الأسلوب ورد قول المعنى :

وَمَلْهُومِي زَرَدٌ ثَوْبُهَا وَلَكِنَّهَا بِالْقَبَا مُخْمَلٌ (٤)

(١) من قصيدته في مدح هشام بن عبد الملك (الديوان ٨٣٥) وفي الديوان  
(إلام تلفتين)

(٢) من قصيدته في مدح الأمين (الديوان ٤٠٧)

(٣) السائبة : البعير يدرك نتاج نتاجه فيسبب أي يترك لا يركب والناقاة كانت تسبب في  
الجاهلية لنذر ونحوه أو كانت إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث سببت أو كان الرجل إذا  
قدم من سفر بعيد أو نجت دابته من حرب أو مشقة قال هي سائبة ، وكانت لا تختم من ماء  
ولا كلاباً ولا تركب .

البحيرة : كانوا إذا لبتج الناقة أو الشاة عشرة أبطن يجرها وتركوها ترعى وحرموها  
لحمها إذا ماتت على نسائهم وأكلها الرجال ، أو التي خليت بالأراع ، أو هي ابنة السائبة ،  
وكانوا يجرمون لحمها وركوبها .

(٤) من قصيدته في مدح سيف الدولة (الديوان ٢٤١/٣)

ملفومة : كناية مجتمعة ، والكلمة معطوفة على كلمة مرفوعة من قبل . زرد ثوبها . ثيابها  
دروع لها . والزرد حلق الدرع . أي حال بينهم وبين ما يشتمون جيشك الذي اتخذ فرسانه  
الدروع لباسهم ، إلا أن ذلك الثوب يحل بالرماح كالخيل لتلك الثياب

أخذه من أبي نواس في قوله :  
أَمَامَ تَخْيِسِ أَرْجُونَ كَأَنَّهُ قَبِيصٌ مَحُوكٌ مِنْ قَنَا وَجِيَادٍ<sup>(١)</sup>

فزاد أبو الطيب زيادة صار بها أحق من أبي نواس بهذا المعنى .

وكذلك قال أبو الطيب المتنبي :  
وَإِنْ جَادَ قَبْلَكَ قَوْمٌ مَضَوْا فَإِنَّكَ فِي السَّكْرَمِ الْأَوَّلِ<sup>(٢)</sup>  
فأخذه أنا وزدت عليه فقلت :

أَنْتَ فِي الْجُودِ أَوْلَى وَقَضَى اللَّهُ بِالْأَلَا يُرَى لَكَ الدَّهْرُ ثَانٍ

وهذا النوع من السرقات قليل الوقوع بالنسبة إلى غيره .

### الضرب السابع من السامع :

وهو أن يؤخذ المعنى فيكسى عبارة أحسن من العبارة الأولى ، وهذا هو  
المحمود الذي يخرج به حسنه عن باب السرقة .

فن ذلك قول أبي تمام :

جَذْلَانٌ مِنْ ظَفِيرِ حَرَّانَ أَنْ رَجَعَتْ مَخْضُوبَةٌ مِنْكُمْ أَنْظَارُهُ بَدِيمٌ<sup>(٣)</sup>

(١) من قصيدته في مدح الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي (الديوان ٤٧٣) الخسيس :  
لجيش العظام . أرجوان : أحمر

(٢) من قصيدته في مدح سيف الدولة التي مطلعها :

أينفم في الخيمة العذل وتشمل من دهرها يشمل

(٣) من قصيدته في مدح مالك بن طوق التقي (الديوان ١٩١/٤) وجذلان حاء  
من الفاعل في البيت السابق :

قد انثنى بالنايا في أسنته وقد أقام خباركم على اللقم  
اللقم : الضربين الواضح .

أخذه البحارى فقال :

إذا اختَرَبْتَ يوماً ففاضت دِمَاؤُها

تَذَكَّرْتَ القُرْبَى ففاضت دُمُوعُها<sup>(١)</sup>

ومن هذا الأسلوب قولها أيضاً ، قال أبو تمام :

إن السكّام كثيرٌ في البلاد وإن قَلَّوا كما غَيَّرُهم قَلَّوا وإن كَثُرُوا<sup>(٢)</sup>

وقال البحارى :

قَلَّ السكّامُ فصار يَكْثُرُ فَذُهمُ ولقد يَهْلُ الشىءُ حتى يَكْثُرُ<sup>(٣)</sup>

وعلى هذا النحو ورد قول أبى نواس :

يَدُلُّ على ما فى الضمير من الذى

تَقَابُ عَيْنَيْهِ إلى شَخْصٍ مَنْ يَهْوَى<sup>(٤)</sup>

أخذه أبو الطيب اللببى فقال :

وإذا خامَرَ الهوى قلبَ صَبٍّ فعليه لِكَلِّ عَيْنٍ دَلِيلٌ<sup>(٥)</sup>

(١) من قصيدته فى مدح المتوكل وذكر صلح بنى تَقَاب (الديوان ٣١٦/٢) والضمير عائد على الفرسان من الطرفين

(٢) من قصيدته فى مدح عمر بن عبد العزيز الطائى (الديوان ١٨٦/٢)

(٣) من قصيدته فى مدح إسحاق بن كنداج (الديوان ٢١/٢) فذم : فريدم ،

(٤) من قصيدة فى النزول والخمر مطلعها :

شجائى وأبلاى تذكّر من أهوى وأبسى ثوبا من الضرر البلوى

(الديوان ١١٨)

(٥) من قصيدته فى مدح سيف الدولة (الديوان ٣٣٤/٣) التى مطلعها :

ليلى بعد الظاعين شكول طوال وليل العاشق بن طويل

وعما ينتظم في هذا السلك قول أبي الطيب المتنبى :

إذا ما ازدَدتُ من بعدِ التناهِى فقد وَقَعَ انْتِقاِصِي في ازْدِيادِ<sup>(١)</sup>

أخذه ابن نباتة السعدي<sup>(٢)</sup> فقال .

إذ كان نُقصانُ الفتى من تمامه فكلُّ صحيحٍ في الأناامِ عَليْلِ

وكذلك ورد قول أبي العلاء <sup>المعري</sup> بن سليمان في مرثية :

وما كُلفَةُ البَدْرِ المَنيِرِ قَدِيمَةً ولكنْها في وَجْهِهِ أَزْرُ اللَّطَمِ<sup>(٣)</sup>

أخذه للشاعر المعروف بالقيسري قال :

وأهوى التي أهوى لها البدرُ ساجداً ألسنتُ ترى في وجهه أزرَ الثربِ

وكذلك قول ابن الرومي :

إذا شئتَ عَينُ امرئٍ شَبَّ نَفْسِهِ فَمَينُ سِوَاهُ بِالشَّاءِ أَجْدَرُ<sup>(٤)</sup>

عاشق

(١) من مدحه لعبي بن إبراهيم التنوخي ( الديوان ٩١/٢ ) والنس في الديوان :

إذا ما ازددت من بعد التناهي فقد وقع انتقاصي في ازديادي

يريد أنه إذا بلغ الشباب نهايته فزيادة العمر بعد ذلك زيادة في النقصان ، لا يقرب على

هذا من ضعف الشيخوخة ، كما قال عبد الله بن طاهر :

إذا ما زاد عمرك كان نقصاً ونقصان الحياة من التمام

وكما قال آخر :

إذا اسق الهلال وصار يدرا تبينت الحاق من الهلال

(٢) تقدم التعريف به . والاسم يروى بضم النون وبفتحةها وهو أبو نصر عبد العزيز

محمد بن نباتة السعدي التيمي أحد خول الشعراء . توفي سنة ٤٠٥ في بغداد .

(٣) من قصيدته في رثاء أبي إبراهيم الملوي ( سقط الزند ٢٩٢/١ ) وفي الديوان

( اللطم ) يريد أن السكافة التي ترى فيه ليست قديمة ولكنها من لطمه لا بلغه نعى التنوخي .



أخذه من تأخر زمانه عنه فقال :

إذا كان شَيْبِي بَغِيضًا إِلَى فِكَيْث يَكُونُ إِلَيْهَا حَبِيْبًا (١) ؟

وما يَنْخَرُطُ فِي هَذَا السَّلَكِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

مُحْضَرَةُ الْأَوْسَاطِ زَانَتْ عُقُودَهَا بِأَحْسَنَ مِمَّا زَبَدَتْهَا عُقُودَهَا

أخذه أبو تمام فقال :

كَأَنَّ عَلَيْهَا كُلَّ عَتِيدٍ مَلَاةٌ

وَحُسْنًا وَإِنْ أُضْحِتْ وَأَمْسَتْ بِلَا حِقْدٍ (٢)

ثم أخذه البحترى فقال :

إِذَا أَطْفَأَ الْيَاقُوتَ بِإِشْرَاقٍ وَجْهَهَا فَإِنَّ عَدَاءَ مَا تَوَخَّضَتْ عُقُودَهَا (٣)

وأمثال هذا كثيرة ، وفيما أوردناه مقنع .

المضرب التامم منه السليخ :

وهو أن يُؤْخَذَ الْعَفَى وَيُسَبَّكَ سَبْكَكَ مَوْجِزًا ، وَذَلِكَ مِنْ أَحْسَنِ السَّرْقَاتِ ،

لأن فيه من الدلالة على بسطة الناظم في القول ، وسعة باعه في البلاغة .

---

(١) القائل هو أبو هلال العسكري ، وقبل البيت قوله :

فلا تعجبا أن يعين المشيب فإعين من ذلك إلا معيا

(الصناعتين ٤٨)

(٢) من قصيدته في مدح أبي الفيث الرافعي (الديوان ١١١/٢) وبالديوان تقديم

أمست على أضحت

(٣) من قصيدته في مدح صاعد بن مخلد (الديوان ١٥٦/١) وبالديوان (حسنها)

بدلا من (وجهها) .

فمن ذلك قول بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته

وقاز بالطيبات الفـانك اترك اللهم سج<sup>(١)</sup>

أخذه سلم الحاسر - وكان تليذه - فقال :

من راقب الناس مات غمًا وقاز بالآلة الجسور<sup>(٢)</sup>

فبين البيتين لفظتان في التأليف .

ومن هذا الأسلوب قول أبي تمام :

برزت في طلب العالی واحدا فيها تسيير مؤوراً أو منجدا

عجباً بأنك سالم في وخشة في غاية مازلت فيها مفرداً<sup>(٣)</sup>

---

(١) الديوان ٧٥/٢ - الفانك : القائل واستماره للجريء والذي لا يبالي إنسكار الناس . اللهم : المعنى بالشئ المتأخر عليه المقام .

(٢) ذكر أبو هلال في الصناعتين ٢١٤ إن بشار لما سمى بيت سلم قال : ذهب ابنه القاعة يبيت . وفي شرح ديوان بشار ٧٥/٢ وطبقات الشعراء لابن المعتز ١٠٠ أنه قال : فهو أخف منه وأعذب ، واقه لا أكلت ولا شربت اليوم . فلما بلغ ذلك سلماً استنفع إلى بشار بجماعة ، فذهبوا به فقال بشار : أين هو الخبيث ؟ قالوا : هاهوذا ، فقام إليه وسلم ، فقبل سلم رأسه وقال له : يا أبا معاذ خربحك وتليذك . قال بشار : ياسلم من أذى يقول ؟ من راقب الناس لم يظفر بحاجته ... قال : أنت يا أبا معاذ . قال : فن أذى يقول : من راقب الناس مات غمًا ... قال : خربحك يا أبا معاذ . قال : أفأخذ معاني التي قد عنيت بها وتميت في استنباطها ، فتكسوها ألقاظاً أخف من ألقاظي . حتى يروى ما تقول وبذهب شهرى ؟ لأرضى عنك أبداً . فإزال يضرع إليه والقوم يشفون حتى رضى عنه .

وسلم الحاسر هو سلم بن عمرو شاعر بصرى قدم بغداد ومدح المهدي والهادي وهارون والبرامكة . وسمى بالحاسر لأنه ورث من أبيه مصحفاً فباعه واشترى طنبوراً (الأغانى ٧٣/٢١)

(٣) من مدحته لأحمد بن عبد الكريم الطائي (الديوان ١٠٤/٢)

أخذه ابن الرومي فقال :

عَرَبِيَّةُ الْخَلَائِقِ الزُّهْرُ فِي النَّاسِ وَمَا أَوْحَشَتْهُ بِالْتَّفَرِيبِ (١)

وكذلك ورد قول أبي نواس :

وَكَلَّتْ بِالْدهْرِ عَيْنَا غَيْرَ غَافِلَةٍ  
مَنْ جُودَ كَفِّكَ تَأْسُو كُلَّ مَا جَرَّحَا (٢)

أخذه ابن الرومي فقال :

الدهْرُ يُفْسِدُ مَا اسْتَطَاعَ رَأْحَهُ يَنْتَبِعُ الْإِفْسَادَ بِالْإِصْلَاحِ (٣)

وعلى هذا ورد قول ابن الرومي :

كَأَنِّي اسْتَدْنِي بِكَ ابْنَ حَنْفِيَّةٍ  
إِذَا التَزَعُّ أَدْنَاهُ مِنَ الصُّدْرِ أَبَدًا (٤)

أخذه بعض شعراء الشام وهو ابن قسيم الحموي (٥) فقال :

فَهْوَا كَالسُّهْمِ كَمَا زِدْتَهُ مِنْكَ دُنُوًّا بِالتَزَعِّ زَادَكَ هُبْدًا

(١) من قصيدته في مدح يحيى بن علي النجم (الديوان ١٠٦/١)

(٢) من قصيدته في مدح أبي العباس (الديوان ٤٥٧)

(٣) من قصيدته في مدح أحمد بن شيخ (الديوان ١٠٤/٢)

(٤) غير موجود بالديوان

(٥) هو أبو المجد مسلم بن الحضر بن مسلم بن قسيم الحموي - التنوخي ، ذكره العباد في المزيدة في شعراء حماة بأسلوبه المسجوع المصنوع بقوله « أبو المجد مجيد الشعر ، وحيد لدمر فريد العصر ، ذورقة للقلوب مسترقة ، والمقول مسترقة ... » إلى أن قال « كان نالك العيسراني وابن منير في زمانهما ، وسبقهما في ميدانهما ، نبغ في عصر شيخوختهما ، وبلغ إلى درجتهما ، وراق شعرهما سحره ، وفاق شعرهما شعره ، لهكنه خانه عمره ، وقل عبا =

ولقيت جماعة من الأدباء بالشام ، ووجدتهم يزعمون أن ابن قسيم هو الذي ابتدع هذا المعنى ، وليس كذلك ، وإنما هو لابن الرومي .

وما يجري هذا المجرى قول أبي العتاهية :

وإني لمعدوزٌ على فَرْطِ حُبِّهَا      لَأَنَّ لَهَا وَجْهًا يَدُلُّ عَلَى عُدْرِي (١)

أخذه أبو تمام فقال :

لَهُ وَجْهُ إِذَا أَبْصَرْتَهُ      فَاجَاكَ مِنْ عُدْرِي (٢)

فلو جز في هذا المعنى غايه الإيجاز .

وما يجري على هذا المهبج قول أبي تمام :

كَانَتْ مُسَاءَةً الرُّكْبَانِ تَخْبِرُنِي

عَنْ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ أَطِيبِ الْخَبْرِ

حَقِّي التَّيْمَانَ فَلَا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ

أُذُنِي أَحْسَنَ مَا قَدَرَأَى بَهْرِي

---

شبابه ، وحل حبا آدابه ، وأمر جنى جنابه ، وحل شذوب بشابيه ، وذلك في سنة نيف وأربعين وخمسة مائة . ومن العجيب أن يقول المهاد بعد ذلك « ووجدت في ديوانه لنا فاحشا ، ووهنا بالخطل جائشا . ونظرت في ديوان شعره ، فالتقطت فرائد دونه ، وفلائد شعره... » وقال عنه ابن عساكر : شاب شاعر ، قدم دمشق ، ومدح أتابك زكي . واختار له طائفة من الأبيات [ وانظر خزينة العصر ، وجريدة العصر ٤٣١/١ قسم شعراء الشام - بتحقيق الدكتور شكري فيصل - دمشق ١٩٥٥ ]

(١) ليس بالديوان

(٢) الديوان ٣٧٤

أخذه أبو الطيب المتنبي فأوجز حيث قال :

وَأَمَّا تَكْبِيرُ الْأَخْبَارِ قَبْلَ لِقَائِهِ فَلَمَّا التَقِينَا صَفَرَ الْخَلْبَرُ الْخَيْرُ (١)

وكذلك قولهما في موضع آخر ، فقال أبو تمام :

كَمْ صَارِمٍ فَضِبَ أَنْفَ عَلَى فَتَى مِنْهُمْ لِأَغْبَاءِ الْوَعَى جَمَالِ  
سَبَقَ الْمَشِيبَ إِلَيْهِ حَتَّى ابْتَزَّهُ

وَطَنَ النَّهْيِ مِنْ مَقَرِّقٍ وَقَدَّالِ (٢)

أخذه أبو الطيب فزاد وأحسن حيث قال :

يَسَابِقُ الْقَتْلُ فِيهِمْ كُلَّ حَادِثَةٍ فَمَا يُصِيبُهُمْ مَوْتُ وَلَا هَرَمٌ (٣)

ومن هذا الضرب قول بعض الشعراء .

أَمِنْ خَوْفِ قَتْرٍ دَمَجَلْتُهُ وَأَخْزَتْ لِنَفَاقِ مَا تَجَمَّمُ  
فَصَرْتَ الْفَقِيرَ وَأَنْتَ الْغَنِيُّ وَمَا كُنْتَ تَعْدُو الَّذِي تَصْنَعُ

(١) من مدحه لعل بن أحمد بن عامر الأظاكي (الديوان ٢/٣١١)

(٢) من قصيدته في مدح المعتصم بعد هزيمة الغرمية (الديوان ٣/١٤١)

في الأصل كَمْ صَارِمٍ فَضِبَ أَنْفَ عَلَى فَتَى . يقول هذا الصارم سبق إلى هذا الفتي الشيب فسلبه رأسه وأم دماغه الذي هو وطن العقل .

(٣) من قصيدته في مدح سيف الدولة وقد انتصر على الروم

مطالعا :

عقبى العين على عقبى الوغى ندم ماذا يزيدك في إقدامك القسم

(الديوان ٤/١٨٣)

أخذه أبو الطيب للثني فقال  
ومن يُنذِقِ الساعاتِ في جمعِ ماله  
مخافةً فقيرٍ فالذي فعلَ القبر<sup>(١)</sup>

الضرب التاسع منه السليخ :  
وهو أن يكون المعنى عاما فيجمل خاصا ، أو خاصا فيجمل عاما ، وهو من  
السرقات التي يسامحُ صاحبها .

فمن ذلك قول الأخطل :  
لأنته عن خلقٍ وتأنى مثله عازٌّ عليك إذا فماتَ عظيم<sup>(٢)</sup>  
أخذه أبو تمام فقال .

الوم من بجات يدها وأغتدى للبخل تربا ساء ذاك صنيعا<sup>(٣)</sup>  
وهذا من العام الذي جعل خاصا ، ألا ترى أن الأول هي عن الإتيان  
بما يذمى عنه مطلقا ، وجاء بالخلق منكرا فجعله شائعا في بابها ، وأما أبو تمام  
فإنه خصص ذلك بالبخل ، وهو خلق واحد من جملة الأخلاق .

---

(١) من مدحه لعل بن أحمد بن عامر الأنطاكي ، ، ومطلع القصيدة :  
أطاعن خيلا من فوارسها الدهر وحيدا وما قولى كذا ومعى الصبر  
(الديوان ٣٠٥/٢)  
(٢) وروى لأبي الأسود الدؤلي وروى للمتوكل الليثي وقد أكد ذلك الأمدى في  
الترغيب والترغيب ١٧٩ والمرزبانى في معجم الأدياء ٤١٠  
(٣) النص بالديوان صفحة ٢٨٦ هكذا :  
الوم من بجات يدها وأغتدى فى تالدى للثنائين مطيعا  
أبى فأعصى الماذلين وأغتدى للبخل تربا ساء ذاك صنيعا

وأما جعل الخاص عاما فسنقول أى تمام :

ولو حَارَدَتْ شَوْلٌ حَدَّرَتْ إِقْلَاحَهَا

ولَكِنَّ مُنِعَتْ الدَّرُّ وَالضَّرْعُ حَافِلٌ (١)

أخذه أبو الطيب المعنى فجعله عاما إذ يقول :

وما يُؤَلِّمُ الحِرْمَانُ من كَفِّ حَارِمٍ

كما يُؤَلِّمُ الحِرْمَانُ من كَفِّ رَازِقٍ (٢)

الضرب العاشر من السلم :

وهو زيادة البيان مع المساواة فى المعنى ، وذلك بأن يؤخذ المعنى فيضرب له

مثال بوضحه .

فما جاء منه قول أى تمام :

هو الصَّنَعُ إن يَمَجَّلُ فَنَفَعُ وإن يَرِثُ فَللرَّيْثُ فى بعض المواطن أُنْفَعُ (٣)

---

(١) من قصيدة فى مدح محمد بن عبد الملك الزيات

(الديوان ١٢٩/٣)

أى أن مطلق دام وطال مع طول أمل فيك ، ولو كان ذلك لإعوازك لمذرتك ، ولكنك  
حرمته وما لك كثير ، وعطاؤك ممكن .

حاردت : قل لبيها . الشول : النوق القليلات اللين ، جمع شائلة . حافل : ممتلئ

(٢) من قصيدة فى مدح سيف الدولة بن حمدان مطلقها :

تذكرت ما بين العذيب وبارق بحر عوالينا وجرى السوابق

(الديوان ٧٧/٣)

(٣) من قصيدة فى مدح أبى سعيد محمد بن يوسف الثغرى ، مطلقها :

أما إنه لولا الخليط المودع وربيع عفا منه مصيف ومرعب

(الديوان ٣١٩/٣)

والفاية بالديوان (أسرع) بدلا من (أنفع)

أخذه أبو الطيب فأوضحه بمثال ضربه له وذلك قوله :

ومن الخبير بطنه سيبك عني أسرعُ السخبِ في الليبر الجهم<sup>(١)</sup>

وهذا من المتبدع لامن المسروق ، وما أحسن ما أتى بهذا المعنى في المثال

المناسب له .

وكذلك قولهما في موضع آخر ، فقال أبو تمام :

قد قَلَصَتْ شَفْتَاهُ مِنْ حَفِيفَتِهِ فَنَحِيلَ مِنْ شِدَّةِ التَّمْيِيسِ مُبْتَسِمًا<sup>(٢)</sup>

أخذه أبو الطيب المتنبى فقال :

وجاهل مداه في جهله ضحكى حتى أتته يدُ فِرَاسَةٍ وَفَمُ

إذا رأيت نيوبَ آيِثٍ بارزةً فلا تظننَّ أن الآيِثَ مُبْتَسِمًا<sup>(٣)</sup>

وما يتخطر في هذا السلك قول أبي تمام :

وكذاك لم تُفْرِطْ كَأَبَةِ عَاطِلٍ حَتَّى يُجَاوِرَهَا الزَّمَانُ بِحَالِي<sup>(٤)</sup>

(١) من قصيدة في مدح أبي الحسين علي بن أحمد المرى الخراساني مطلعها :

لا افتخار إلا لمن لا يضام مدرك أو محارب لا ينام

(الديوان ٢٨٦/٤)

سيبك : عطائك . الجهم : السحاب التي لاماء فيه

(٢) من قصيدته في مدح إسحاق بن إبراهيم (الديوان ١٧٠/٣) أي قد أبرزت

شفتاه أسنانه من شدة الغضب

(٣) من قصيدته في عناب سيف الدولة التي مطلعها :

واحر قلباه بمن قلبه شيم ومن بجسمى وحالى عنده سقم

(الديوان ١٠٤/٤) شيم : بارد . والبيت الثاني بالديوان ( إذا نظرت ) يد فِرَاسَة :

يد باطشة شديدة الأقراس .

(٤) من قصيدته في مدح المعتصم مطلعها :

آلت أمور الشرك شرآل وأقر بعد تخمط وصيال

(الديوان ١٣٢/٣)



أحذه أبو عبادة البحرى فقال :

وقد زادها إفراطاً حسن جوارها  
لاخلاق أصفارٍ عن الجيد خيب  
وحسن دَرارى الكوا كيب أن ترى  
طوالع في داجٍ من الليل غيب<sup>(١)</sup>

فإنه أتى بالمعنى مضر وباله هذا المثل الذى أوضحه وزاده حسناً

الضرب الحادى عشر من الملح:

وهو اتحاد الطريق واختلاف المقصد ، ومثاله أن يسلك الشاعران طريقا  
واحدة فتخرج بهما إلى موردٍين أو روضتين، وهناك يتبين فضل أحدهما على الآخر .

فما جاء من ذلك قول أبى تمام فى مرثية بولدين صغيرين :

تجدُّ نأوبَ طارقاً حتى إذا قلنا أقامَ الدهرَ أصبحَ راحلاً  
نجمان شاه الله ألا يطلمأ إلا ارتدادَ الطرف حتى يأفلا  
إن الفجيرةً بالرياض نواضراً لأجلُ منها بالرياض ذوابلاً  
لهزى على تلك الشواهد فيها لو أُخِّرت حتى تكون شمائلاً  
إذ الهلال إذا رأيت نُموه أيقنت أن سيكون بذكراً كاملاً  
قل للأمير وإن لقيت موقراً منه بريب الحادثات حلاً حلاً  
إن ترز في طرفي نهار واحد رز أن هاجماً لوعةً وبلا بلا  
فالتقل ليس مضاعفاً لمطية إلا إذا ما كان وهما بازلاً  
لا غرتو إن فنن من عيادته لقياً حاماً للبرية آكلاً

(١) من نصيبته فى مدح الفتح بن خاقان (الديوان ١/٥٠)

وبالديوان (خلائق أصفار) داج غيب : مظلم شديد الظلام .

إن الأشاء إذا أصاب مُشَدَّبٌ      منه انمهلٌ ذُرّاً وأثٌ أسافلا  
شمخت خِلالك ان يواسيك امرؤٌ      أو ان تذرَ كَرّاً ناسياً أو غافلا  
إلا مواعظُ قادمها لك سَمَحَةٌ      إسجاجُ لُبِّك سامعاً أو قاتلا  
هل تنكفُ الأيدي بهزاً مُهَيَّبٌ      إلا إذا كان الحسام القاصِلاً (١)

وقال أبو الطيب في مرثية بطفل صغير :

فإن تك في قبرٍ فإنك في الحشا  
وإن تك طفلاً فالأسي ليس بالطفل  
ومثلك لا يُبكي على قدرِ سِنِّه  
ولكن على قدرِ الفِراسَةِ والأصل  
أنت من القوم الذي من رماحهم

نداهم ومن قتلاهم مُهَيَّبَةُ البُخلِ ؟

بمولودهم صمتُ اللسانِ كغيره      ولكن في أعطائه منطلقَ الفصلِ  
أسلمهم علياؤهم عن مصائبهم      ويشتمهم كسبُ الثناء عن الشغلِ  
عزَّك سيفِ الدوحة المبتدئِ      فإنك نصلُ والشدائدُ للنصلِ  
تخونُ المنايا عمده في سلبه      وتنصره بين الفوارس والرَّجلِ

(١) ليست القصيدة بديوانه بشرح التبريزي ولا بطبعة محمد جمال

تاوب طارقا : رجع زائرا . شمائل : طباع . موقر : رزين . حلاجل : رزين  
أو سيد شجاع . وهم : جل ضخم قوى ذلول . بازل : جل بلغ التاسعة من عمر فاكتدل .  
فتنان : المراد ولدان . الأشاء : صفار النخل . انمهل . اعتدل وانتصب . أث : النف وكثر .  
إسجاج : سراحة . المهند : النيف . الحسام القاصل : السيف القاطع .

بنفسى وليدٌ عادٍ منَ بَيدِ حَمَلِهِ إلى بَينِ أمٍّ لا تُطَرِّقُ بِالْحَمَلِ  
بَدَاؤَهُ وَوَعْدُ السَّحَابِ بِالرَّوَى وَصَدَّ وَفِينَا غَلَّةُ اللَّبَدِ الْمَحَلِ  
وَقَدْ مَدَّتِ الْخَيْلُ الْعِتَاقُ عُيُونَهَا

إلى وَرَقَتِ تَبْدِيلِ الرَّكَّابِ مِنَ النَّعْلِ

وَرَبِيعَ لَهُ جَيْشُ الْعَدُوِّ وَمَا مَشَى

وَجَاشَتْ لَهُ الْحَرْبُ الضَّرُوسُ وَمَا تَعَلَّى (١)

فتأمل أيها الناظم إلى ما صنع هذان الشاعران في هذا المقصد الواحد ،  
وكيف هام كل واحد منهما في واد منه ، مع اتفاقهما في بعض معانيه ؟ .

وسأبين لك ما اتفقا فيه وما اختلفا ، وأذكر الفاضل من المفضول ،  
فأقول : أما الذى اتفقا فيه فإن أبا تمام قال :

لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الشَّوَاهِدِ فِيهِمَا لَوْ أُخِّرْتُ حَتَّى تَكُونَ شِمَانِلًا  
وَأَمَّا أَبُو الطَّيِّبِ فَإِنَّهُ قَالَ :

عَمَلُهُ دَهْمٌ صَدَّتْ لِسَانُ كَثِيرِهِ وَاسْكَنْ فِي أَعْطَافِهِ مَنْطِقَ الْفَصْلِ

(١) من مرثيته لأبي الهيثم عبد الله بن سيف الدولة (الديوان ٢٠٩/٤) وبالديوان  
(الخيلة والأصل) و (الألى من رماحهم) . الفراسة : الخيلة . الأعطاف : جم عطف وهو  
الجانب . منطق الفصل : القول الصائب الحاسم . مصابهم : إصابتهم . الشقل : الاهتمام بما هنا  
كسب الثناء والمحامد . نزاءك : تمز عزاءك ، أو الزم عزاءك . به : الضمير يعود على العزاء .  
نصل : سيف . الرجل : جم راجل وهو الماشى . تطرق بالحلل : لا تخرج الولد من بطنها .  
الروى : الرواء والرى . غلة : عطش . المحل : الجديب . الخيل العتاق : الكرام . الركاب  
مانوضم فيه الرجل من السرج . ريم : أخيف . جاشت : غلت وهاجت . الضروس :  
الشديدة العض .

فأى بالمعنى الذى أنى به أبو تمام ، وزاد عليه بالصناعة اللفظية ، وهى المطابقة  
فى قوله صمت اللسان ومنطق الفصل .

وقال أبو تمام :

نجمان شاء الله ألا يطلما إلا ارتداد الطرفِ حتى بأفلا

وقال أبو الطيب :

بدآ وله وعد السحابة بالزوى وصدّ وفينا غلة البلد المحل

فوافقته فى المعنى وزاد عليه بقوله ( وصدو فينا غلة البلد المحل ) لأنه بين  
قدر حاجتهم إلى وجوده وانتفاعهم بحياته .

وأما ما اختلفا فيه فإن أبا الطيب أشعر فيه من أبى تمام أيضاً ، وذلك  
أن معناه أمتن من معناه ، ومبناه أحكم من مبناه .

وربما أكبر هذا القول جماعة من المقلدين الذين يقفون مع شبهة الزمان  
وقدمه ، لاعم فضيلة القول وتقدمه ، وأبو تمام وإن كان أشعر عندى من  
أبى الطيب فإن أبا الطيب أشعر منه فى هذا الموضع .

وبيان ذلك أنه تد تقدم القول على ما اتفقا فيه من المعنى .

وأما الذى اختلفا فيه فإن أبا الطيب قال :

عزاهك سيف الدولة المقتدى به فإنك تصل "شداوند للنصل

وهذا البيت بمفرده خير من يبقى أبى تمام اللذين هما :

أن ترزنى طرفى نهار واحد رزأين هاجا لوعة وبلابلا

فالتنقلُ ليس مُضاعفاً لطبيّةٍ إلا إذا ما كانَ وَهْمًا بازِلاً  
فإن قول أبي الطيب ( والشدايدُ للانصل ) أكرم لفظاً ومبنى من قول  
أبي تمام ( إن الثقل إنما يضاعف للبازل من المطايا ) .

وقوله أيضاً :

تخون المنايا عهده في سلبه وتنصره بين الفوارس والرجل

وهذا أشرف من بيتي أبي تمام اللذين هما :

لَا عَسْرَؤَ إِن فَنَنانٍ مِنْ عَيْدَانِهِ لِقِيَا حِمَامًا لِلْبَرِيَّةِ آ كَلَا  
إِن الْأَشَاءَ إِذَا أَصَابَ مُسَدِّبٌ مِنْهُ أَنْتَمَلُّ ذُرًّا وَأَثَّ اسَافِلَا

وكذلك قال أبو الطيب :

ألسن من القوم الذي من رماحهم

ندام ومن قلامهم مُهَجَّةُ البُخْلِ

تَسْلِيهِمْ عَلَيْهِمْ عَنْ مَصَائِبِهِمْ وَيَسْفَلُهُمْ كَسْبُ الثَّمَاءِ عَنِ الشُّغْلِ

وهذان البيتان خير من بيتي أبي تمام اللذين هما :

سَمَخَتْ خِلَالَكَ أَنْ يُوَأْسِيكَ امْرُؤٌ

أَوْ أَنْ تُذَكَّرَ نَاسِيًا أَوْ غَافِلَا

إلا مَوَاعِظَ قَادَهَا لَكَ سَمَخَةٌ إِسْجَاحُ لُبِّكَ سَامَمَا أَوْ قَاتِلَا

واعلم أن التفضيل بين المعنيين المتقنين أيسر خطبا من التفضيل بين المعنيين

المتخالفين .

وقد ذهب قوم إلى منع المفاضلة بين المعنيين المختلفين ، واحتجوا على ذلك بأن قلوا : المفاضلة بين الكلامين لا تكون إلا باشتراكهما في المعنى ، فإن اعتبار التأليف في نظم الألفاظ لا يكون إلا باعتبار المعاني المدرجة تحتها ، فإلم يكن بين الكلامين اشتراك في المعنى فإنه لا يعلمُ مواقعُ النظم في قوة ذلك المعنى أو ضعفه وانساق ذلك اللفظ أو اضطرابه ، وإلا فكلُّ كلامٍ له تأليفٌ يخصه بحسب المعنى المُدرَجِ تحته ، وهذا مثل قولنا : العسلُ أحلى من الخَلِّ ، فإنه ليس في الخَلِّ حلاوة حتى تناس حلاوة العسل عليها .

وهذا القول قاسد ، فإنه لو كان ما ذهب إليه هؤلاء من منع المفاضلة حقا لوجب أن تسقط التفرقة بين جيد الكلام ورتديته وحسنه وقبيحه ، وهذا محال .

وإنما خفيَ عليهم ذلك لأنهم لم ينظروا إلى الأصل الذي تقع المفاضلة فيه . سواء اتفقت المعاني أو اختلفت ، ومن هنا وقع لهم الغلط .

وسأبين ذلك فأقول : من المعلوم أن الكلام لا يختص بمزية من الحسن حتى تتصف ألفاظه ومعانيه بوصفين هما الفصاحة والبلاغة ، فثبت بهذا أن النظر إنما هو في هذين الوصفين اللذين هما الأصل في المفاضلة بين الألفاظ والمعاني على اتفاقهما واختلافهما ، فمتى وجدّا في أحد الكلامين دون الآخر ، أو كانا أحص به من الآخر ، حُكِمَ له بالفضل .

وقرأت في كتاب الأغانى لأبى الفرج في تفضيل الشعر أشياء تتضمن خبطا كثيرا ، وهو مروى عن علماء العربية ، لكن عذرتهم في ذلك ، فإن معرفة الفصاحة والبلاغة شيء خلاف معرفة النحو والإعراب .

فما وقتت عليه أنه سئل أبو عمرو بن العلاء عن الأخطل فقال : لو أدرك يوماً واحداً من الجاهلية ما قدمت عليه أحداً (١) .

وهذا تفضيل بالأعصار لا بالأشمار ، وفيه ما فيه ، ولولا أن أبا عمرو عندي بالمسكان التلي لبسط لساني في هذا الموضوع .

وسئل جرير عن نفسه وعن الفرزدق والأخطل فقال : أما الفرزدق ففي يده نبتة من الشعر وهو قابض عليها ، وأما الأخطل فأشدنا اجترأ ، وأرمانا للفرائص (٢) ، وأما أنا فمدينة الشعر .

وهذا القول في التفضيل قول إقناعي (٣) لا يُحصَلُ منه على تحقيق ، لكنه أقرب حالا مما روى عن أبي عمرو بن العلاء .

وسئل الأخطل عن أشعر الناس فقال : الذي إذا مدح رفع ، وإذا هجا وضع ، فقيل لمن ذاك ؟ قال : الأعشى . قيل : ثم من ؟ قال طرفة .

وهذا قول فيه بعض التحقيق ، إذ ليس كل من رفع بمدحه ووضع بهجائه كان أشعر الناس ، لأن المعاني الشعرية كثيرة والمدح والهجاء منها .

وسئل الشريف الرضي عن أبي تمام وعن البحتري وعن أبي الطيب ، فقال : أما أبو تمام فخطيب منير ، وأما البحتري فواصف جؤذر (٤) ، وأما المتنبى فقاتل عسكر .

(١) الأغانى ١٦٣/٧ وفيه تفضيل له على معاصريه

(٢) الفرائص : جرم فريضة وهي الأجمة بين الجنب والكف ، والمراد المقاتل . وكانت

بالأصل ( الفرائض ) ولطها الفرائص كما رجحنا ، أو القريض بمعنى الشعر

(٣) يريد أنه كلام خطابي لا دليل عليه .

(٤) الجؤذر : ولد البقرة الوحشية ، والمراد أنه صاحب فزل

وهذا كلام حسن واقع في موقعه ، فإنه ، وصف كلا منهم بما فيه من غير تفضيل .

ويروى عن بشار أنه وصف نفسه بحودة الشعر والتقدم على غيره فقيل له : ولم ذاك ؟ قال : لأنني نظمت اثني عشر ألف قصيدة وما تخلو واحدة منهن من بيت واحد جيد ، فيكون لي حينئذ اثنا عشر ألف بيت .

وقد تأملت هذا القول فوجدته على بشار لاله ، لأن باقلا الذي يُضْرَبُ به المثل في العسِّ لو نظم قصيدا لما خلا من بيت واحد جيد ، ومن الذي ينظم قصيدا واحدا من الشعر ولا يسلم له منه بيت واحد ؟ لكن كان الأولى ببشار أن قال : لي اثنا عشر ألف قصيدة ليس واحدة منهن إلا وجيدها أكثر من رديئها ، وليس في واحدة منهن ما يَنْقُطُ ، فإنه لو قال ذلك وكان محببا لاستحق التقدم على الشعراء ، ومع هذا فقد وصل إلى ما في أيدي الناس من شعره مُقَصِّدا ومُقَطَّعا ، فما وجدته بتلك النايبة التي ادعاهها ، لكن وجدت جيده قليلا بالنسبة إلى رديئه ، وتندر<sup>(١)</sup> له الأبيات اليسيرة .

وبلغني عن الأصمعي وأبي عبيدة وغيرهما أنهم قالوا : هو أشعر الشعراء المحدثين قاطبة ، وهم عندي معذرون ، لأنهم ما وقفوا على معاني أبي تمام ، ولا على معاني أبي الطيب ، ولا وقفوا على ديباجة أبي عبادة البحرى وهذا الموضع لا يُسْتَفْتَى فيه علماء العربية وإنما يُسْتَفْتَى فيه كاتبٌ بليغ أو شاعر مُفْلِحٌ ، فإن أهل كل علم أعلم به . وكذا لا يُسأل الفقيه عن مسألة حسابية فكذلك لا يُسأل الحاسب عن مسألة فقهية ، وكما لا يسأل أيضا النحوى عن مسألة طيبة ،

(١) تندر : هنا بمعنى تظهر وتشتهر من الدور لا من النبرة



فكذلك لا يسأل الطبيب عن مسألة نحوية . ولا يعلم كل علم إلا صاحبه الذي قلب ظهره لبطنه وبطنه لظهره .

على أن علم البيان من الفصاحة والبلاغة محبوب إلى الناس قاطبة ، وما من أحد إلا ويحب أن يتكلم فيه ، حتى إنى رأيت أجلاف العامة ممن لم يحفظ بيده ، ورأيت أغتām<sup>(١)</sup> الأجناس ممن لا ينطق بالكلمة صحيحة ، كلهم يخوض في فن الكتابة والشعر ، ويأتون فيه بكل مضحكة ، وهم يظنون أنهم عالمون به ، ولا لوم عليهم ، فإنه بلغنى عن ابن الأعرابي<sup>(٢)</sup> - وكان من مشاهير العلماء - أنه عرض عليه أرجوزة أبي تمام اللامية التي مطلعها :

(وعاذلٍ عدلته في عدله)

وقيل له هذه لفلان من شعراء العرب ، فاستحسنها فاية الاستحسان ، وقال :

هذا هو الديباج المنسرواني<sup>(٣)</sup> ، ثم استكتبها ، فلما أنهاها قيل له :  
هذه لأبي تمام ، فقال :

من أجل ذلك أرى عليها أثر الكلفة . ثم أتى الورقة من يده ، وقال :  
ياغلام خرق خرق<sup>(٤)</sup> .

(١) الأغم : من لا يفتح شيئاً ، جمه فتم على وزن قفل .

(٢) أبو عبد الله محمد بن زياد كان من أكابر أئمة اللغة بالكوفة ، وكان ريبياً المفضل الذي وسمع منه الدواوين وصحبها ، وكان من أحفظ الناس للغة والأنساب ، توفي سنة ٥٢٣هـ (الفهرست ٦٩ ووفيات الأعيان ١/ ٤٩٢)

(٣) الديباج المنسرواني : المرير الفارسي الفاخر

(٤) في الصناعتين ٤٥ أن ابن الأعرابي كان يأمر بكتابة جميع ما يجري في مجلسه . فأثمه رجل يوماً أرجوزة أبي تمام في وصف السحاب ، هل أنها لبعض القرب . سارية لم تكتمل ببعض كدراء ذات هطلان محض

فإذا كان ابن الأعرابي مع علمه وفضله لا يَدْرِي أَيُّ طرفيه أطولُ في هذا  
افن ، ولا يَعْلَمُ أَيُّن يَضَعُ يده فيه ، ويبلغ به الجهل إلى أن يقف مع التقليد  
الشفيع الذي هذا غاية ، فإلى الذي يقول غيره ؟ وما الذى يتكلم فيه سواء ؟

والمذهب عندي في تفضيل الشعراء أن الفرزدق وجريرا والأخطل أشعر  
العرب أولا وآخرا ، ومن وقف على الأشعار ، ووقف على دواوين هؤلاء الثلاثة ،  
علم ما أشرتُ إليه .

ولا ينبغي أن يُوقَفَ مع شعر امرئ القيس وزهير والنابغة والأعشى ، فإن  
كلام أولئك أجاد في معنى اختص به ، حتى قيل في وصفهم : امرؤ القيس  
إذا ركب ، والنابغة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا شرب .

وأما الفرزدق وجريرا والأخطل فإنهم أجادوا في كل ما أتوا به من المعاني  
المتخلفة ، وأشعر منهم عندي الثلاثة المتأخرون ، وهم أبو تمام وأبو عبيدة البحرى  
وأبو الطيب المتنبي<sup>(١)</sup> ؛ فإن هؤلاء الثلاثة لا يداينهم مدان في طبقة الشعراء .

أما أبو تمام وأبو الطيب فرَبَّا المعاني ، وأما أبو عبيدة فرَبَّ الألفاظ  
في ديباجتها وسبكها . وبلغنى أن أبا عبيدة البحرى سأل ولده أبا الفوث عن  
الفرزدق وجريرا أيهما أشعر ، فقال : جريرا أشعر . قال : وبم ذلك ؟

.....

فقال ابن الأعرابي . اكتبوها . فلما كتبوها قيل له : إنها لحبيب بن أوس ، قال :  
خرق خرق ، لاجرم أن أثر الصنعة فيها بين .

(١) لقد قال منذ بضعة أسطر إن الفرزدق وجريرا والأخطل هم أشعر العرب أولا  
وآخرا . وما هوذا يقول إن أبا تمام والبحرى والمتنبي أشعر منهم ، فكيف ذلك .

قال : لأن حَوَكة شبيهة بِحَمُوكاك<sup>(١)</sup> . قال ثعلبُك أمك ، أوفى الحكم  
عصية ؟ قال يا أبت فمن أشبر ؟ قال : الفرزدق . قال : وبم ذاك ؟ قال :  
لأن أهاجى جرير كلها تدور على أربعة أشياء هي : القين ، والزنا ، وضرب  
الرومى بالسيف ، والنفي من للسجد ، ولا يهجو الفرزدق بسوى ذلك .  
وأما الفرزدق فإنه يهجو جريرا بأسماء مختلفة ، ففى كل قصيد يرميه بسهام فهد  
السهام التى يرميه بها فى القصيد الآخر<sup>(٢)</sup> . وأنا استكذب راوى هذه الحكاية ،  
ولا أصدقه ، فإن البيهقى عندى ألب من ذلك ، وهو طارف بأسرار الكلام ،  
خبير بأوساطه وأطرافه وجيده ورديته ، وكيف يدعى على جرير أنه لم يهج  
الفرزدق إلا بتلك المعانى الأربعة التى ذكرها ، وهو القائل :

لما وضعتُ على الفرزدق ميسمى      وعلى البعثِ جدتُ عتْ أنف الأخطل<sup>(٣)</sup>

فجمع بين هجاء هؤلاء الثلاثة فى بيت واحد .

ولقد تأملت كتاب النقائض فوجدت جريرا رب تمزُّل ومدح وهجاء  
وانتخار ، وقد كسا كل معنى من هذه المعانى ألفاظا لا تفتق به . ويكتفه من  
ذلك قوله :

وعادِ عوى من غير شيء رَمَيْتُهُ      بقارة أنفاذا تَمَطَّرُ الدِّمًا  
على القوالِّ لكل غريبةٍ      ووردِ إذا السارى ليل تَرَنَّا  
تَرُوجِ بأفواه الرواة كأنها      شبا هندوانى إذا هزَّ صَمًا

(١) يربط أسلوبه وتعبيره .

(٢) فى الصناعتين ٢٤ ذكر لهذا التفضيل موجز

(٣) الديوان ٤٤٣ .

غرائب الألف إذا حان وزدها أخذن طريقاً لقصائد مُدُلما<sup>(١)</sup>

ولولم يكن لجرير سوى هذه الأبيات لتقدم بها الشعراء ، وسأذكر من هجائه للفردق ما ليس فيه شيء من تلك المعاني الأربعة التي أشار البحرى إليها ، فمن ذلك قوله :

وقد زعموا أن الفردق حية وما قتل الحيات من أحد قبلي  
لم تراني لا تُبيلُ ربيتي فمن أرم لا تُحيطُ . مقاتله تُبيلُ  
رأيتك لا تحمي عقلاً ولم تُرد قتالاً فما لا قيت شرٌّ من القتل<sup>(٢)</sup>  
وقوله :

أباغ هديتي الفردق لها عيبٌ بزاد على حسيرٍ مُثقل  
إني انصبتُ من السماء عليكم  
حق اختطفك يا فردق من عل<sup>(٣)</sup>

(١) كان بالأصل ( بقافية أنفاذا يقطر الدما ) و ( جروح بأفواه الرواة ) و ( هز صمصا ) . وبالديوان ( قرأ . هندواني ) الديوان ٤٤٤ أنفاذا : أقطارها . ورود : كثيرة الورود يريد أن قصائده سريعة التبع . خروج بأفواه الرواة : دائمة على ألسنتهم لا يستطيعون كتابتها . شيا هندواني : حد سيف . صم : قطع وأصاب الفصل . معلوم معروف

(٢) من هجائه للبعث والفردق ( الديوان ٤٦٤ ) وترتيب الأبيات في الديوان أن الثالث هو الثاني ، وبين الأول والثاني ثلاثة أبيات ، وبين الثاني والثالث ستة أبيات . وبالأصل ( لا أنبل رميتي ) فأصلحناها من الديوان .

لا تبيل رميتي : لا يتجو من رمي من أرميه ولا يشق . المقال : القلوس الفتنية والمراد للمرأة

(٣) من هجائه للفردق ( الديوان ٤٤٤ ، ٤٤٨ ) والببت الثاني هنا قبل الأول في

الديوان . وفي الديوان ( عيب بزاد ) حسير : كليل عهد

وقوله :

زَهَمَ الْفَرَزْدَقُ أَنْ سَيِّئَةً تَمَلُّ مِرْبَعًا      أَبْشَرَ بِعُلُوقِ سَلَامَةٍ بِأَمْرِ بَعِ  
وَرَأَيْتُ نَفْكَ بَافِرَزْدَقٍ قَصَّرَتْ      وَرَأَيْتُ قَوْسَكَ لَيْسَ فِيهَا مَتْرَعٌ  
إِنَّ الْفَرَزْدَقَ قَدْ تَبَيَّنَ لَوْمُهُ       
حَيْثُ التَّقَتْ حُسْشَاؤُهُ وَالْأَخْدَعُ (١)

وقوله :

أَحَارَتْ خُذْ مَنْ شَدَّتْ مِنَّا وَمِنْهُمْ      وَدَعْنَا قَمِينَ نَجْدًا تُمَدُّ قَوَاضِيَهُ  
لَبِثْتُ سِلَاحِي وَالْفَرَزْدَقُ لَعْبَةٌ      عَلَيْهِ وَشَاخَا كُرْجٍ وَجَلَّاجِلُهُ  
فَلَسْتُ بِذِي عِزٍّ وَلَا ذِي أُرُومَةٍ      وَمَا تَمَطَّ مِنْ ضَمِيمٍ فَإِنَّكَ قَابِلُهُ (٢)

وقوله :

لَا يَخْفَيْنَ عَلَيْكَ أَنْ مَجَاشِمًا      لَوْ يُنْفَخُونَ مِنَ الْخُورَةِ طَارُوا

(١) من هجائه للفرزدق (الديوان ٣٤٨ ، ٣٥١) والبيت الثاني هنا موضعه بالديوان بعد أبيات من الثاني . مريم : لقب لراوية جرير ، وكان الفرزدق قد حلف ليقبلته . الحششاء : العظم الناتئ خلف الأذن . الأخدع : عرق في صفحة العنق . وبالديوان ( ووجدت قوسك ) متزع : مد .

(٢) من هجائه للفرزدق (الديوان ٤٨٥) بالأصل ( فضائله ) والأبيات بالديوان هكذا ، مع تباعد ما بينها :

ليست أذاتي والفرزدق لعبة      عليه وشاخا كرج وحلاجه

أحارث خذ . . . . .

ولست بذى دره ولا ذى أرومة      وما تخط من ضميم فإنك قابله

كرج : السكرج المهر والسكرجى الخنث . الجلجل : جمع جلجل وهو الجرس الصغير .

قد يُؤسرون فلا يُفك أسيرهم وبقولهم قَسَلَمُ الأوتار<sup>(١)</sup>  
وقوله :

بني مالكٍ إن الفرزدقَ لم يزل  
يُلقي الخازي من لدن أن تيفعا  
مددت له الناياتِ حتى زكته  
قعود القوافي ذا علوبٍ مؤقعا<sup>(٢)</sup>  
وقوله :

ألا إنما كان الفرزدقُ تملباً  
ضفاً وهو في أشدقِ كَيْثِ ضهارم<sup>(٣)</sup>  
وقوله :

مهلاً فرزدقُ إن قومك فيهمُ  
الظاعنون على العمى بجميعهم<sup>(٤)</sup>  
خورُ القلوبِ وخيفةُ الألامِ  
والنازلون بشرُّ دارٍ مقام<sup>(٥)</sup>

(١) من رثائه لزوجته (الديوان ٧٠٧) كان بالأصل (قَسَلَمُ الأوتار) وبالديوان (فايفك)

(٢) من هجائه لفرزدق (الديوان ٣٣٤) كان بالأصل (أن تيفعا) والبيتان بالديوان هكذا :

بني مالكٍ إن الفرزدقَ لم يزل  
مددت له الناياتِ حتى فضته  
فلو الخازي من لدن أن تيفعا  
جريح الدنابي فاني السن مقطعا

فلو الخازي : رضيها . ذو علوب : المراد جروح . بولع : مرى من قرب أو مكوى  
الدنابي : العجز . مقطع : لاقدرة له على الضراب

(٣) (الديوان ٥٥٨) الضهارم : الأسد القوي الشديد . ضفا : صاح

(٤) هذان البيتان كما في النفاض مما هجابه جرير فسان بن ذهل السليطي ، ورواية  
النفاض للبيت الأول : (أبي أدبرة إن فيكم فاعلموا) ولكنهما في الديوان من هجاء جرير  
للفرزدق (الديوان ٥٥٧) .

وقوله :

إِذَا سَفَرَتْ يَوْمًا نَسَاهُ مُجَاشِعٌ      بَدَتْ سَوَاةٌ مِمَّا تُجِنُّ الرِّاقِعُ  
مَبَاشِيمٌ عَنْ غَيْبِ الخَزِيرِ كَأَنَّمَا      تُصَوِّتُ فِي أَعْضَابِنِ الضَّمَادِعِ  
رَأَتْ مَالِكُ نَبِلَ الفِرْزَدِقِ قَصَّرَتْ

عَنِ العُلُوِّ لَا يَأْتِي عَنِ العُلُوِّ بَارِعٌ  
أَتَعْدِلُ أَحْسَابًا كَرَامًا حَمَاهَا      بِأَحْسَابِكُمْ إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعٌ  
إِذَا قِيلَ أَيْ النَّاسِ شَرِّ قَبِيلَةٍ      وَأَعْظَمُ عَارًا قَيْلٍ : تَلِكُ مُجَاشِعٌ (١)

وقوله :

عَلِقَ الأَخْيَطِلُ فِي حِيَالِي بَعْدَمَا      عَثَرَ الفِرْزَدِقُ ، لَا لَمَّا لِلعَائِرِ  
لَقِيَ الفِرْزَدِقَ مَالِقِيَتَ وَقَبْلَهُ      طَاحَ البَعِيثُ بِنَهْرِ غَرَضٍ وَافِرِ  
وَإِذَا رَجَوْا أَنْ يَنْقُضُوا لِي مِرَّةً  
مَرَّسَتْ قَوَائِمَ عَلَيْهِمْ وَمَرَّارِي (٢)

ولجزير . مواضع كثيرة في هجاء الفِرْزَدِقِ غير هذه ، ولولا خوف الإطالة

(١) من هجائه للفِرْزَدِقِ والبَيْتِ (الديوان ٢٦٧) وترتيبها هنا يخالف ترتيبها في الديوان . والبيت الأول بالديوان هكذا :

رَأَتْ مَالِكُ نَبِلَ الفِرْزَدِقِ قَصَّرَتْ      عَنِ المَجْدِ إِذْ لَا يَأْتِي العُلُوِّ نَازِعٌ

وكان بالأصل (رأت ملاما مثل) و (غيب المهريز)

نبيل الفِرْزَدِقِ : شعره . لا يأتلي : لا يقصر . العلو : رفع اليدين بالسهم إلى أقصى غاية مباحيم : متخيات . الخزير : حساء من دسم . الأهناج : الأمعاء . مجاشع : قوم الفِرْزَدِقِ

(٢) من هجائه الأخطل (الديوان ٣٠٧)

كان بالأصل (التيس) بدلا من البيت . ورواية الديوان (لقى الأخطل ما لقيت) و (أن ينقضوا من لوى) لالما له : لا اتماش له من سقطته .

لاستقصيتها جميعا .

ولو سلمتُ إلى الباحثي ما زعم من أن جريرا ايس له في هجاء الفرزدق  
إلا تلك المعاني الأربعة لا عترضت عليه بأنه قد أقر لجرير بالفضيلة .

وذاك أن الشاعر الملقب أو الكاتب للبلغ هو الذي إذا أخذ معنى واحدا  
تصرف فيه بوجوه التصرفات ، وأخرجه في ضروب الأساليب ، وكذلك فعل  
جرير ، فإنه أبرز من هجاء الفرزدق بالفتن كل غريبة ، وتصرف فيه تصرفا  
مختلف الأنحاء ، فمن ذلك قوله :

أَلْتَهَى أَبَاكَ مِنَ الْكَارِمِ وَالْمَلَا

كُلِّهِ الْكُتَّافِ وَارْتَفَاعِ الْمِرْجَلِ (١)

وقوله :

وَجِدَ الْكُتَيْفُ ذَخِيرَةً فِي قَبْرِهِ      وَالْكَلَيْتَانِ جُمْعُنِ وَالْمُنْشَارُ  
يَبْسُكِي صَدَاهُ إِذَا تَصَدَّعَ مِرْجَلُ      أَوْ إِنْ تَفَلَّقَ بُرْمَةٌ أَهْشَارُ  
قَالَ الْقَبْرُ زِدْ رَقِيْبِي أَكْبَارَنَا

قالت : وكيف ترقع الأكيار (٢) ؟

وقوله :

إِذَا آبَاؤُنَا وَأَبُوكَ عُدُّوا      أَبَانَ الْمُتَعَرِّقَاتُ مِنَ الْعَرَابِ

(١) من هجائه لفرزدق (الديوان ٤٤٧) ارتفاع الرجل : إصلاحه ، لي الكتائف :  
إصلاح الضباب لأن الكتيبة الضبة ، أو الكتيبة كلبتا الحداد يعيره في الحالين بالحدادة  
(٢) من قصيدته في رثاء زوجته (الديوان ٢٠٢) بالأصل (الكثيف . والنشار)  
وبالديوان (تثلم برمة) الكثيف : الضبة وكتبنا الحداد . المنشار : هو المنشار . تعلق برمة  
أعشار : تتكسر قدر أجزاء عشرة . الأكيار : جمع كبر .



فَأَوْزَنَكَ الْعَلَاةَ وَأُورَثُونِي رِبَاطَ الْخَلِيلِ أَفْنِيَةَ الْقِبَابِ  
وَسَيْفُ أَبِي الْفَرَزْدَقِ فَأَعْلَمُوهُ قَدُومَ غَيْرُهُ ثَابِتَةُ النَّصَابِ (١)

فانظر إليها الواقف على كتابي هذا إلى هذه الأساليب التي تصرف فيها  
جرير وأدارها على هجاء الفرزدق بالتمين، فقال أولا: إن أباه شغل عن المكارم  
بصناعة القيون، ثم قال ثانيا: إنه يبكي عليه ويندبه بمد الموت اليرنجل والبرمة  
الأعشار التي يصلحها، ثم قال ثالثا: إن أمك أوردتك آفة القيون، وأورثني  
أبي رباط الخليل.

وقد أورد جرير هذا المعنى على غير هذه الأساليب التي ذكرتها، ولا حاجة  
إلى التطويل بذلك ها هنا، وهذا القدر فيه كفاية.

وحيث انتهى بنا القول إلى ها هنا فلنرجع إلى النوع الذي نحن بصدد ذكره،  
وهو اتحاد الطريق واختلاف المقصد، فما جاء منه قول النابغة:

إِذَا مَا هَزَا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُ عَصَابُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِمَصَابِ  
جَوَانِحُ قَدْ أُيْقِنَ أَنْ قَبِيلَهُ

إِذَا مَا التَّقَى الْجَمَانُ أَوْلُ غَالِبِ (٢)

وهذا المعنى قد توارد عليه الشعراء قديما وحديثا، وأوردوه بضروب  
العبارات.

(١) الديوان ٢٧، ٢٩ - كان بالأصل (جدوا بأن المفرقات من الغراب) وف  
الديوان (الفرزدق قد علمت). المفرقات: القرف والمفرقة من الفرس وغيره ما يدان المهجنة  
أى أمه عربية لا أبوه. أبان: استبان. المراب: الخالصة العروبة. العلاة: السندان.  
الرباط: الخيل أو الخمس منها أو المكان المدد للرباطة

(٢) (الديوان ٤٣) من مدحه لعمر بن الحارث الأصغر بن الحارث الأهرج بن  
الحارث الأكبر بن أبي شمر الضماني حين هرب إلى الشام ونزل عنده. جوائح: مائلات  
للقوم والافتقار.

قال أبو نواس :

تَنَمَّى الطَّيْرُ عَزْوَتَهُ      ثِقَّةً بِأَحْمٍ مِنْ جُزْرِهِ (١)

وقال مسلم بن الوليد :

قد عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتِ وَرَقْنِهَا      فَمَنْ يَتَّبِعْنَهُ فِي كُلِّ مِرَّةٍ تَحَلِّ (٢)

وقال أبو تمام :

وقد ظَلَّتْ أَعْنَاقُ أَعْلَامِهِ ضُحَىً      بِعُقْبَانِ طَيْرٍ فِي الدِّمَاءِ نَوَاهِلِ

أَقَامَتْ مَعَ الرِّايَاتِ حَقِي كَأَنَّهَا      مِنْ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلِ (٣)

وقد ذكر هذا المعنى غير هؤلاء ، إلا أنهم جاء وبشئ واحد لا تفضل بينهم فيه ، إلا من جهة حسن السبك ، أو من جهة الإيجاز في اللفظ . ولم أر أحدا أغرب في هذا المعنى فسلك هذه الطريق مع اختلاف مقصده إليها إلا مسلم بن الوليد فقال :

أَشْرَبَتْ أَرْوَاحَ الْعِيدَا وَقُلُوبَهَا      خَوْفًا فَأَنْفَسُهَا إِلَيْكَ تَطْيِيرُ

(١) من قصيدته في مدح العباس بن عبيد الله (الديوان ٤٣١) وزهر الآداب ٤/١٣٤ ورواية الديوان (تأني الطير فدوته) ومعنى تتأني تقصد . الجزر : جم جزور وهو البعير أو الناقة المحزورة ، والمراد قتل الحرب .

(٢) من قصيدته في مدح يزيد بن يزيد الشيباني (الديوان ١٢) .

(٣) من قصيدته في مدح المعتصم والأفعبين (الديوان ٨٢) وفي الديوان (عقبان أعلامه) شبه الأعلام بالعقبان ، وجعل عقبان الطير آفة لها كما اعتادت من أكل لحوم الأعداء . وفي أخبار أبي تمام لاصول حدثت عن هذا المعنى قال فيه الذي سبق إليه مسلم وأبو نواس ، وسبقهم جميعا إليه النابغة ، ثم قال إن معنى النابغة من قول الأفوه الأودى الشاعر الجاهل :

فترى الطير على آثارنا      رأى عين ثقة أن ستار

( أخبار أبي تمام ١٦٤ ) ومثل هذا بالصناعتين ٢٢٥

لَوْ حَا كَمَتَكَ فَطَالَ بَتُّكَ بِذَخْلِهَا شَهِدْتَ عَلَيْكَ مُخَالِبٌ وَنُورٌ<sup>(١)</sup>

فهذا من المليح البديع الذي فَصَّلَ به مسلمٌ غيره في هذا المعنى .

وكذلك نمل أبو الطيب للتعني ، فإنه لما انتهى الأمر إليه سلك هذه الطريق التي سلكها من تقدمه ، إلا أنه خرج فيها إلى غير المقصد الذي قصدوه ، فأغرب ، وأبدع ، وجاز الإحسان بجملة ، وصار كأنه مبتدع لهذا المعنى دون غيره .

فما جاء منه قوله :

تَقَدَّى أَنَّهُمُ الطَّيْرُ عُمْرًا سِلَاحَهُ نُسُورُ الكَلَا أَخْدَانُهَا وَالقَشَاعِمُ  
وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بِغَيْرِ مُخَالِبٍ وَقَدْ خَلَقَتْ أَسْيَافُهُ وَالقَوَائِمُ<sup>(٢)</sup>

ثم أورد هذا المعنى في موضع آخر من شعره فقال :

سَحَابٌ مِنَ العِقْبَانِ تَرْجُفُ تَحْتَهَا

سَحَابٌ إِذَا اسْتَسَقَتْ سَقَمَتَا صَوَارِمِهِ<sup>(٣)</sup>

وهذا معنى قد حوى طرفي الإغراب والإعجاب .

---

(١) من قصيدته في مدح منصور بن يزيد (الديوان ٢٢٠) بالديوان (ملاحم ونسور) - دخلها : نأرها

(٢) من مدحه لسيف الدولة بقصيدته التي مطلعها :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

(الديوان ١٢٢/٤) أحداثها والقشاعم : صفاتها وكبارها . القوائم : مقابض السيوف

(٣) من قصيدته في مدح سيف الدولة (الديوان ٥٥/٤) ورواية الديوان (يزحف تحتها)

وقال في موضع آخر :

وَدِي لَجَبٍ لَأَذُو الْجَنَاحِ أَمَامَهُ      بِنَاجٍ وَلَا الْوَحْشُ الْمُنَارُ بِسَالِمٍ  
تَمَرُّ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَهِيَ ضَهَبَةٌ      تُطَالِمُهُ مِنْ بَيْنِ رِيَشِ الْقَشَامِ  
إِذَا ضَوَّرَهَا لِآقَى مِنَ الطَّيْرِ فُرْجَةً      تَدَوَّرُ فَوْقَ الْبَيْضِ مِثْلَ الدَّرَامِ (١)

وهذا من إيجاز أبي الطيب المشهور ، ولولم يكن له من الإحسان في شعره  
إلا هذه الأبيات لاستعق بها فضيلة التقدم .

ومما ينتظم بهذا النوع ماوارد عليه أبو عبادة البحرى وأبو الطيب المتنبى في  
وصف الأسد ، وقصيدتهما مشهورتان ، فأول إحداها :

(أَجْدَكَ مَا يَنْفَكُ يَسْرَى لَزِينَهَا)

وأول الأخرى ( فِي الْخَلْدِ إِنْ عَزَمَ الْخَلِيْطُ رَحِيْلًا ) .

أما البحرى فإنه ألم بطرف مما ذكر بشر بن عوَّانة في أبياته الرائية  
التي أولها :

أَقْلَمُ لَوْ شَهِدْتِ بَيْطُنَ خَبْتِ      وَقَدْ لَاقَى الْمِزْرُؤُ أَخَاكَ بِشِرَا (٢)

وهذه الأبيات من البط العالى الذى لم يأت أحد بمثله ، وكل الشعراء لم  
تسْمُ قرائمهم إلى استخراج مَثْنَى ليس بمذكور فيها ، ولولا خوف الإطالة  
لأوردتها بجملتها ، لكن الغرض إنما هو المفاضلة بين البحرى وأبي الطيب

(١) من قصيدته في مدح الأمير أبي محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج (الديوان ٤/٣٠٤)

ذو لب : ذو جلبة ، يصف الجيش . القشام : النسور . البيض : جمريضة وهي الخوذة .

(٢) من مقابلات بديع الزمان الهمداني : وأغلب الظن أن بشرا هذا شخص اخترعه

البيديم وأجرى على لسانه الأبيات .

فيما أورده من المعاني في هذا القصد المشار إليه .

فما جاء للبحترى من قصيدته :

وَمَا تَنْقِمُ الحَسَادُ إِلَّا أَسَالَةً      لَدَيْكَ وَعَزَمْنَا أَرْبَحِيًّا مُهْدَبًا  
وَقَدْ جَرَّبُوا بِالْأَمْسِ مِنْكَ عَزِيمَةً      فَضَلَّتْ بِهَا السَّيْفَ الحُصَامَ المَجْرَبًا  
غَدَاةً لِقَيْتِ اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ مُخْدِرًا      يُمَحِّدُونَ نَابًا لِلقاءِ وَغَلَبًا  
إِذَا شَاءَ غَادَى عَانَةً أَوْغَدَا عَلَى      عَقَائِلِ يَسْرِبِ أَوْ تَقْنَسَ رَبْرَبًا  
شَهِدْتُ لَقَدْ أَنْصَفْتَهُ حِينَ تَنْبَرِي      لَهُ مُضَلَّتًا عَضْبًا مِنَ البَيْضِ مِقْضَبًا  
فَلَمْ أَرِضْ غَامِينَ أَصْدَقَ مَسْكًا      عِرَاكًا إِذَا الهَيْبَةُ الفُكْسُ كَذَبًا  
هَزَبْرًا مَشَى يَبْنِي هَزَبْرًا وَأَغْلَبًا      مِنَ القَوْمِ يَفْشَى بِاسِيلِ الوَجْهِ أَغْلَبًا  
أَدَلَّ بِشَنْبٍ نَمَ هَالَتَهُ صَوْلَةٌ      رَأَى لَهَا أَمْضَى جَنَابًا وَأَشْعَبًا  
فَأَحْبَبَمَ لَمَّا لَمْ يَحِدْ فِيكَ مَطْعَمًا      وَأَقْدَمَ لَمَّا لَمْ يَحِدْ عَنْكَ مَهْرَبًا  
فَلَمْ يُفْنِهِ أَنْ كَرَّ نَحْوُكَ مُقْبِلًا      وَلَمْ يُنْجِهِ أَنْ حَادَ عَنْكَ مُنْكَبًا  
حَمَلَتْ عَلَيْهِ السَّيْفَ لَا عَزْمُكَ انْتَهَى      وَلَا يَدُكَ ارْتَدَّتْ وَلَا حَدَّهُ نَبًا (١)

وعما جاء لأبي الطيب المشبي في قصيدته :

أَمْعَرُ اللَّيْلِ الهَزْبِرُ بِسَوِطِهِ      لَمَنْ ادْخَرْتَ الصَّارِمَ المَصْقُولًا ؟  
وَرَدَّ إِذَا وَرَدَ البُحْبُورَةَ شَارِبًا      وَرَدَ الفِرَاتَ زَيْبَرُهُ وَالنَّيْلًا

(١) من قصيدته في مدح عبد الله بن دينار ووصف مبارزته للأسد (الديوان ٥٥)  
بالديوان (وماتنقم الحساد) و (يوم تنبري) . أرمي : الأرمي الواسع الخلق . مخدر : ملازم للأجمة .  
غادى عانة : باكر قطيعا من حجر الوحش . عقائل سرب : طياء نفيسة . تقنص ربربا : افترس  
قطيعا من بقر الوحش . مقضب : قاطع . ضرغامين : أسدين : النكس : الجبان . هزبر :  
أسد . أغلب : ضمن العنق والأسد يوصف بذلك . أدل بشنب : انبسط بالهياج . أمضى  
جنانا : أفوى قلبا .

مَمَّخَضِبٌ بِدَمِ الْفَوَارِسِ لَا بَسٌ      فِي فِيهِ مِنْ لِبْدَانِيهِ غِيَلًا  
مَا قُوِبَتْ عَيْنَاهُ الْأَطْلَقَاتَا      تَحْتَ الدَّجَى نَارَ الدَّرِيْقِ حُلُولًا  
فِي رُخْدَةِ الرَّهْبَانِ إِلَّا أَنَّهُ      لَا يَعْرِفُ التَّحْرِيْمَ وَالتَّحْلِيلَا  
يَطَأُ الْأَثْرَى مُتَرْقًا مِنْ نِيْهِهِ      فَكَأَنَّهُ أَسِيْرٌ يَجْمَسُ عَلِيْلَا  
وَبُرْدٌ مُفْتَرِّهُ إِلَى بَأُوخِيهِ      حَتَّى تَصِيْرَ رَأْسَهُ إِكْسِيْلَا  
قَهْرَتْ مَخَافَتُهُ الْخَطَا فَكَأَنَّمَا      رَكِبَ الْكَمِيَّ جَوَادَةً مَشْكُولَا  
أَلْفَى فَرِيْسَتَهُ وَزَجَرَ دُونَهَا      وَقَرُبَتْ قُرْبًا خَالَهُ تَطْنِيْلَا  
فَتَشَابَهَ الْقُرْبَانِ فِي إِقْدَامِهِ      وَمَخَافَنَا فِي بَدَلِكِ لِلْأَكُولَا  
أَسَدٌ يَرَى عُضْوِيْهِ فِيكَ كِلَيْهِمَا      مَقَامًا أَزَلٌ وَسَاعِدَا مَفْتُولَا  
مَازَالَ يَبْتَمِعُ نَفْسَهُ فِي زَوْرِهِ      حَتَّى حَسِبْتَ الْعَرَضَ مِنْهُ الطُّوْلَا  
وَكَأَنَّا تَعَرَّضْنَا عَيْنٌ قَادِقِي      لَا يُبْصِرُ الْخَطْبَ الْجَلِيْلَ جَلِيْلَا  
أَفْفُ الْكَرِيْمِ مِنَ الدَّيْنِيَّةِ تَارِكِ      فِي عَيْنِهِ الْعَدَدَ الْكَثِيْرَ قَلِيْلَا  
وَالْعَارُ مَضَانٌ وَلَيْسَ بِمَخَافِ      مِنْ حَقْفِهِ مِنْ خَافَ عَمَّا قَبِيْلَا  
خَذَلْتَهُ قُوَّتُهُ وَقَدْ كَافَحْتَهُ      فَاسْتَنْصَرَ التَّنْسِيْمَ وَالتَّجْدِيْلَا  
تَمِيْحُ ابْنُ عَمَّتِهِ بِهِ وَبِحَالِهِ      فَتَمَضَى يُهْرَوْلُ أَمِيْسَ مِنْكَ مَهْوِلَا  
وَأَمْرُهُ عَمَّا فَرَّ مِنْهُ فِرَارُهُ      وَكَقْتَلِهِ إِلَّا يَبُوْتٌ قَتِيْلَا  
تَلَفُ الْقَدِي اتَّخَذَ الْجِرَاءَةَ خَلَّةً      وَعَظُ الْقَدِي اتَّخَذَ الْفِرَارَ خَلِيْلَا<sup>(١)</sup>

(١) من لصيدته في مدح بدر بن عمار لما خرج إلى أسد فهرب الأسد منه ، وكان قد خرج قبله إلى أسد آخر فهاجه عن بقرة انترسها بعد أن شتم وثل ، فوثب إلى كفل قوسه ، فأهبطه عن سبل سيفه ، فضربه بالسوط فرغه في التراب ، فأحاط به الجيش فقتله (الديوان ٤٣٤/٣) بالديوان ( و بربر دونها ) و ( فتشابه الخلقان ) =

وسأحكم بين هاتين القصيدتين ، والذي يشهد به الحق وتقيه العصية  
أذكره ، وهو أن معاني أبي الطيب أكثر عدداً ، وأسد مقصداً ، الأرى  
أن البحترى قد قصرَ مجموع قصيدته على وصف شجاعة المدوح في تشبيهه  
بالأسد مرة وتفضيله عليه أخرى ، ولم يأت بشيء سوى ذلك ، وأما أبو الطيب فإنه  
أتى بذلك في بيت واحد وهو قوله :

أَمَعَّرَ اللَّيْثَ الْهَزْبِرُ بِسَوَطِهِ لَمَنْ أَدَّخَرَتِ الصَّارِمَ الْمَصْقُولَا ؟

ثم إنه تَفَنَّنَ في ذكر الأسد ، فوصف صورته وهيئته ، ووصف أحواله  
في انفراده في جنسه ، وفي هيئة مشبه واختياله ، ووصف خلق مخله مع شجاعته ،  
وشبه للمدوح به في الشجاعة ، وفضله عليه بالسقاء ، ثم إنه حَظَّفَ بعد ذلك  
على ذكر الأفة والحمية التي بعثت الأسد على قتل نفسه بقاء للمدوح ، وأخرج ذلك  
في أحسن مخرج ، وأبرزه في أشرف معنى .

وإذا تأمل للعارف بهذه الصناعة أبيات الرجلين عرف ببديهة النظر  
مأشرت إليه .

والبحترى وإن كان أفضل من للتنبى في صوغ الألفاظ وطلاوة السبك ، فالتمنى

أفضل منه في الفوص على المعاني .

== معفر: بمرغ في التراب . الهزبر : الأسد الشديد . الصارم : السيف القاطم . ورد : لوته  
عمر . البحيرة : بحيرة طبرية . الفرات والنيل : نهرا بالعراق ، والنيل أيضا نهر بمصر  
لكن المبالغة على هذا تكون قد جاوزت النلو . القيل : الأجمة . البدة : الشعر المجتمع على  
كنتف الأسد . الفريق الملول : الجماعة النازلة بمكان . الغفرة : الشعر المنجم على قفاه .  
الليافوخ : الرأس . الإكليل : التاج . الكمي : البطل المنتصر في سلاحه . مشكول : مقيد .  
زجر : صاح ، وكذلك بربر . تطفل : تطفل أي دخول على الأكل من غير دعوة . تشابه  
الغريبان أو الخلقان أي تشابههما في الجرأة والإقدام ، وتحالفتا في أن الاسد يجمل بطعامه  
وأنت جواد . متن : جانب الصلب . أزل : قليل لحم العجز والفضذين مقتول : متدمج شديد .  
زوره : وسط صدره . ادنى : قرب . مضاض : مؤلم . التجديل : الانطراح على الأرض .  
ابن عمته : الأسد الذي هرب من بدر بعد ذلك

وعما يدلك على ذلك أنه لم يعرض لما ذكره في أبياته الرائية ، لعله أن  
بشراً قد ملك رقاب تلك المعاني واستحوذ عليها ، ولم يترك لغيره شيئاً يقوله فيها ،  
ونظافة أبي الطيب لم يقع فيها وقع فيه البحترى من الانسحاب على ذبل بشر ، لأنه  
قصر عنه تقصيراً كثيراً ، وما كان الأمر كذلك عدل أبو الطيب عن سلوك  
الطريق ، وسلك غيرها فجاء فيما أورد مبرزا .

واعلم أن من أبين البيان في المفاضلة بين أرباب النظم والنثر أن يتوارد  
اثنان منها على مقصد من المقاصد يشتمل على عدة معانٍ كتوارد البحترى  
والمعنى ها هنا وعلى وصف الأسد ، وهذا أبين في المفاضلة من التوارد على معنى  
واحد يصوغه هذا في بيت من الشعر وفي بيتين ، ويصوغه الآخر في مثل ذلك ، فإن  
بعد المدى يُظهر ما في السوابق من الجواهر<sup>(١)</sup> ، وعنده يتبين ربح الراجح وخسر  
الخاسر . فإذا شئت أن تعلم فضل ما بين هذين الرجاين فانظر إلى قصيدتها  
في مرثي النساء التي مفتتح إحداها :

يا أخت خدر أخ يا بنت خير أب  
وهي لأبي الطيب  
ومفتتح الأخرى

غُرُوبُ دَمْعٍ مِنَ الْأَجْفَانِ يَنْهَمِلُ<sup>(٢)</sup> وَحُرُوقُ بَقْلِيلِ الْحَزَنِ تَشْتَعِلُ<sup>(٣)</sup>  
وهي لبحترى ، فإن أبا الطيب انفرد بابتداع ما أتى به في معاني قصيدته ،  
والبحترى أتى بما أكثره غثاً بارداً ، وللتوسط منه لا فرق فيه بين رثاء  
امرأة ورجل .

ومن الواجب أنه إذ سلك الناظم أو الناثر مسلكاً في غرض من الأغراض

(١) السوابق : الخيل الجياد السبابة . يريد أن بعد الغاية يظهر ما في الخيل للتسابق  
من كرم ونفاة

(٢) مطلع قصيدته في رثاء أخت سيف الدولة (الدوان ١/٩٩)

(٣) ليست بديواته



الايخرج عنه ، كالذي سلكه هذان الرجلان في الرثاء بامرأة ، فإن من حداقة الصنعة أن يذكّر ما يليق بالمرأة دون الرجل .  
وهذا الموضوع لم يأت فيه أحد بما يثبت على المحك إلا أبو الطيب وحده ،  
وأما غيره من مؤلفي الشعراء قديماً وحديثاً فإنهم قصّروا عنه .  
وله في هذا المعنى قصيدة أخرى مفتحتها :

نَيْدُ الْمَشْرِفِيَةِ وَالْعَوَالِي وَتَقْتُلُنَا النَّوْنُ بِلَا قَتَالٍ (١)  
وكفى بها شاهداً على ما ذكرته من انفرادها بالإبداع فيما أتى به .

والفتيا عندي بينه وبين البحرى أن أبا الطيب أفقذ في المضيق ، وأعرف باستخراج المعنى الدقيق ، وأما للبحرئى فإنه أعرف بصوغ الألفاظ، وحوك ديباجتها .  
وقد قدمت أن الحكم بين الشاعرين في اتفاقهما في المعنى أبين من الحكم بينهما فيما اختلفا فيه ، لأنهما مع الاتفاق في المعنى يتبين قولاهما ويظهران ظهوراً يُعَلِّمُ بيديهما النظر ، ويتسارع إليهما فهم من ليس بتأقّب الفهم ، أما اختلفا في المعنى فإنه يحتاج في الحكم بينهما فيه إلى كلام طويل يَمَرُّ فهمه ، ولا يتفطن له إلا بعض الناس دون بعض ، بل لا يتفطن له إلا القذ الواحد من الناس .

ولى في هذا مقالة مفردة ضمنها الحكم بين اللغنيين المختلفين ، وتكلمت عليه كلاماً طويلاً عربياً ، وأقت الدليل على ما نصصت عليه ، وما منعت من إيرادها في كتابي هذا إلا أنها سمحت لي بعد تصنيفه وشيوعه في أيدي الناس وتناقل النسخ به .

وحل هذا الأسلوب توارد للبحرئى والشريف الرضى على ذكر القذ ،  
في قصيدة للبحرئى دالية أولها .

(١) في رثاء والده سيف الدولة (الديوان ٣/١٧٠)  
المشرفية : السيوف . العوالى : الرماح .

(سلامٌ عليكم لا وفاء ولا عهد) (١)

ومقطوعة للشريف الرضى أولها :

وعارى الشوى وللنكبين من الطوى

أنيح له بالليل عارى الأشاجم (٢)

وقد أجاد البحترى في وصف حاله مع الذئب ، والشريف أجاد في وصف

الذئب نفسه .

## المسوخ

وأما المسوخ ، فهو قلب الصورة الحسنة إلى صورة قبيحة ، والقسمه تقتضى

أن يُقرنَ إليه ضده ، وهو قلب الصورة القبيحة إلى صورة حسنة .

فالأول كقول أبي تمام :

وقول أبي الطيب للثبى :

فنى لا يرى أن الفريضة ممتلئ ولكن يرى أن العيوب مقاتل (٣)

---

(١) من قصيدته في وصف الذئب حين لقبه (الديوان ١/١٨٥)

(٢) من قصيدته في وصف الذئب (الديوان ٥٠٢)

الشوى : جم شواة وهي جلدة الرأس أو البدان أو الرجلان أو الأطراف . الطوى : الجوع الأشاجم : أصول الأصابع التي تنصل بمصب ظاهر الكف ، للفرد أشجم

(٣) من قصيدته في مدح محمد بن عبد الملك الزيات

مطلعها :

مى أنت من ذهلية الحى ذاهل وقلبك منها مدة الدهر أهل

(الديوان ٣/١٢٦)

الفريضة : عرق في العنق ، واللحمة التي بين الجنب والكف لاتزال ترهه

وقول أبي الطيب للفتى :

بَرَى أَنْ مَا بَانَ مِنْكَ لِنَارِي بِأَقْتَلَ مَا بَانَ مِنْكَ لِمَائِي (١)  
فهو وإن لم يشوه المعنى فقد شوه الصورة ، ومثاله في ذلك كمن أودع  
الموتى شُملاً وأعطى الورد جُملاً (٢) وهذا من أرذل السرقات .  
وعلى نحو منه جاء قول عبد السلام بن رُغبان :

نَحْنُ نُعَزِّبُكَ وَمَنْكَ الْهُدَى مَسْتَخْرَجٌ وَالصَّبْرُ مُسْتَقْبَلٌ  
قَوْلُ بِالْعَقْلِ وَأَنْتَ الَّذِي أَوَى إِلَيْهِ وَبِهِ تَعْقِلُ  
إِذَا عَفَا عَنْكَ وَأَوْدَى بِنَا الدَّهِرِ فَذَلِكَ الْمُحْسِنُ الْمُجْبِلُ (٣)  
أخذه أبو الطيب فغاب أعلاه أسفله فقال :

إِنْ يَكُنْ صَبْرٌ ذِي الرِّزْيَةِ فَضْلاً تَكُنِ الْأَفْضَلُ الْأَعَزُّ الْأَجْلاً  
أَنْتَ يَا فَوْقَ أَنْ تُعَزِّيَ عَنِ الْأَخْسَبِ بَابِ فَوْقِ الَّذِي يُعَزِّبُكَ حَقْلاً  
وَبِالْفَاظِكَ اهْتَدَى فَإِذَا عَزَا كَ قَالَ الَّذِي لَهُ قَاتَ قَبْلاً (٤)  
والبيت الأخير من هذه الأبيات هو الآخر قدرا ، وهو المخصوص بالسخ .  
وأما قلب الصورة القبيحة إلى صورة حسنة فهذا لا يسمى سرقة ، بل يسمى  
إصلاحاً وتهدياً

- 
- (١) من قصيدته في مدح أبي القاسم طاهر بن الحسين مطلعها  
أعيذوا صباحي فهو عند الكواكب وردوا رقادى فهو لحظ الحباب  
(الديوان ١/١٨٣)
- المعنى أنك ترى أن الذى ظهر من الإنسان لِنَارِي بالسيف كالمنق ليس بأقتل مما ظهر  
لمائى ، فالمعنى أشد من القتل .
- (٢) الشمل : الضمالة على وزن كتاب شيء مثل الخلاة ينطلى به ضرع الشاة إذا ثقلت  
أو غاس بالعز ، والجمل شمل . الجمل : دويبه تشبه الخنفساء .
- (٣) الأغانى ١٢/١٤٢ من قصيدته في تمزية جعفر بن علي الهاشمي . وقبل البيت الأخير  
نحن فدى لك من أمه والأرض والأخر والأول
- (٤) من قصيدته في تمزية سيف الدولة في أخته الصغرى وتسلية عن أخته الكبرى  
مطلعها .

فن ذلك قول أبي الطيب المتنبى :

لو كان ما تعطيتهم من قبيل أن تعطيتهم لم يعرفوا التأميلا<sup>(١)</sup>

وقول ابن نباتة السعدي :

لم يُبق جودك لي شيئا أومله تركتني أضعب الدنيا بلا أمل<sup>(٢)</sup>

وهي هذا النحو ورد قول أبي نواس في أرجوزة بصف فيها اللب بالسكره والصولجان ، فقال من جعلتها .

جن على جن وإن كانوا بشر كأنما خيطاوا عليها بالإبر<sup>(٣)</sup>

ثم جاء للمتنبى فقال :

فكانها نتجت قياما تحتمهم وكانهم ولدوا على صهواتها<sup>(٤)</sup>

وبين القولين كما بين الماء والأرض ، فإنه يقال ليس للأرض إلى السماء نسبة محسوسة ، وكذلك يقال هاهنا أيضا ، فإنه بقدر ما في قول أبي نواس من النزول والضعف ، فكذلك في قول أبي الطيب من العلو والقوة .

---

== إن يكن صبر ذي الرزية فضلا تكن الأفضل الأعمز الأجيلا  
( الديوان ٣ / ٣٠١ ) يريد أن المزي لسيف الدولة يهتدى بالفاظه ، ويخطبه بما تلمه من قوله ، فقدره مرتفع عن التحرية .

(١) من منحه لسيف الدولة ( الديوان ٤ / ٤٤٩ )

(٢) الديوان ٤١١ ويتيمه الدهر ٢ / ٣٨٨ من مدحه لسيف الدولة بن حمدن

(٣) ليست بالديوان . وهي أرجوزة مطلقها .

قد أشهد الهو بفتيان فرر من ولد العباس سادت البعر

(٤) من قصيدته في مدح أبي أيوب أحمد بن عمران ( الديوان ١ / ٢٥٥ ) تجت :

ولدت . الصهوات : للراد مقاعد الفرسان على ظهور الخيل .

القصيدة مطلقها :

سرب محاسنه حرمت ذواتها داني الصفات بعيد موصوفاتها

فهرس القسم الثالث من كتاب

# المثل السائر

في أدب الكاتب والشاعر

يضياء الدين بن الأثير

منحة

النوع السابع عشر

(٣ - ٤٠)

في التكرار

حده . قسما : تكرار في اللفظ والمعنى . تكرار في المعنى

دون اللفظ . . . . . ٣

وكل منها : تكرار مفيد ، وتكرار غير مفيد . . . . . ٤

التكرير في اللفظ والمعنى

ينقسم إلى مفيد وغير مفيد :

١ - للفيد فرعان : (١) مقصود به فرضان مختلفان . أمثلة هـ

٩ (٢) مقصود به فرض واحد . أمثلة هـ

فائدة تكرير ( أن ) في قوله تعالى : « فلما أن أراد

أن يبطن » . . . . . ١٢

لوم النحاة في قولهم بزيادة الحروف . . . . . ١٣

من هذا القسم الثاني إضافة المعنى إلى نفسه مع اختلاف اللفظ ١٥

صفحة

- أمثلة من القرآن الكريم والشعر ، وبيان الفائدة من  
هذه الإضافة . . . . . ١٦
- اعتداد المؤلف بأنه أول من نبه على هذا النوع . . . ١٦  
قد يدخل في التكرير ما ليس بتكرير . اعتداد المؤلف بأنه  
أول من تنبه إلى ذلك . . . . . ١٦
- أمثلة من القرآن الكريم والشعر ، وبيان السبب في  
التكرير بها . . . . . ١٧
- التكرير لطول الفصّل بين اسم إن وخبرها . . . . . ١٧
- التكرير إذا كان خبر إن تاملاً في معمول يطول ذكره . ١٨
- التكرير للاحتماة . . . . . ١٩
- التكرير للتنبيه . . . . . ١٩
- التكرير لتمداد النعم . . . . . ٢٠
- التكرير لتأكيد المدح . . . . . ٢٠
- دفاع عن بيت المتنبي . . . . . ٢١
- تقد آخر للبيت . . . . . ٢١
- (٢) التكرير غير المفيد . . . . . ٢٣
- أمثلة له من الشعر . . . . . ٢٣
- التكرير في المعنى دون اللفظ . . . . . ٢٥

ضرباه : مفيد وغير مفيد

- (١) المفيد نوحان : الأول الدلالة على معنيين مختلفين . . . ٢٥
- أمثلة له من النثر والقرآن والشعر . . . . . ٢٦
- النوع الثاني : الدلالة على معنى واحد . . . . . ٢٩
- أمثلة له من القرآن والشعر . . . . . ٢٩

الصفحة

- تفصيل القول في الآية الكريمة ( فصيام ثلاثة أيام في الحج  
وسبعة إذا رجمتهم ، تلك عشرة كاملة ) . . . . . ٣٠  
(٢) غير المفيد . . . . . ٣٥  
أمثلة له من الشعر ٣٥  
رأى بعض البلاغيين في أنه لا عيب فيه إذا تفرقت  
الألفاظ . . . . . ٣٥  
رأى ابن الأثير أنه معيب في صدور الآيات الشعرية . ٣٦

النوع الثامن عشر

في الاعتراض

(٤٠ - ٤٩)

- حده . . . . . ٤٠  
قسماه : قسم يأتي لفائدة ، وقسم لغير فائدة ٤٠  
(١) القسم المفيد . . . . . ٤٠  
أمثلة له من القرآن الكريم ، وبيان فائدته ٤٢  
أمثلة له من الشعر وبيان فائدته . . . . . ٤٣  
(٢) القسم غير المفيد : ضربان : . . . . . ٤٦  
الضرب الأول لا يكسب الكلام قبحا ولا حسنا ٤٧  
أمثلة له . . . . . ٤٧  
الضرب الثاني يفسد الكلام . . . . . ٤٧  
أمثلة له . . . . . ٤٧

النوع التاسع عشر

في الكتابة والتعريض (٤٩ - ٧٥)

- ٤٩ . . . . . خلط علماء البيان بين الكتابة والتعريض  
تميز ابن الأثير أحدهما من الآخر  
٥٠ . . . . . تعريفه للكتابة - اشتقاقها  
٥٦ . . . . . تعريفه للتعريض  
٥٧ . . . . . فروق بينهما

الكتابة

- ٥٨ . . . . . تقسيمها إلى حسن وقبيح  
٥٨ . . . . . تقسيمها إلى تمثيل وإرداف ومجاورة  
٥٩ . . . . . نقد ابن الأثير للتقسيم الثاني  
٦٢ . . . . . أمثلة من النثر والشعر للكتابة  
٧٠ . . . . . ما يقبح ذكره من الكتابة  
٧٢ . . . . . أمثلة للتعريض

النوع العشرون

في المغالطات المعنوية (٧٦ - ٨٤)

- ٧٦ . . . . . حقيقة هذا النوع  
٧٦ (١) المغالطة المتأية أو التورية بعالمه مثل في الألفاظ المشتركة  
٧٦ . . . . . أمثلة لهذا النوع من الشعراء من الحديث النبوي  
٧٩ . . . . . كتاب لابن الأثير في وصف البرد والثلج



المنفعة

- ٨٠ . . . . . كتاب له في وصف كريم  
٨٠ . . . . . كتاب إلى بعض إخوانه  
٨١ . . . . . كتاب له في وصف شخص بمال الأمور  
٨١ . . . . . كتاب إلى بعض إخوانه  
٨١ . . . . . كتاب له في وصف الحمى  
٨٢ . . . . . (٢) المناظرة النقيضية أو التورية بالنقيض  
٨٢ . . . . . أمثلة لها  
٨٢ . . . . . كتاب لابن الأثير في وصف فتح

النوع الحادى والمشرون

(٨٤ - ٩٦)

في الأحاجى

- ٨٤ . . . . . معناها  
٨٤ . . . . . أمثلة لها  
٨٥ . . . . . الفرق بين الأحاجى والمناظرة والتمريض والكناية  
٨٦ . . . . . أنواع الأحاجى : المصحف ، المكوس  
٨٦ . . . . . فائدة الأحاجى والألغاز  
٨٦ . . . . . أمثلة أخرى من الشعر  
٨٨ . . . . . مسألة ملفزة من مقامات الحريرى ، وحل ابن الأثير إياها  
٩٠ . . . . . الحسن من الأحاجى والألغاز  
٩٠ . . . . . القبيح منها  
٩٠ . . . . . أمثلة من النثر  
٩١ . . . . . خلو القرآن الكريم من هذا النوع  
٩٣ . . . . . أمثلة أخرى من الشعر

النوع الثانى والعشرون

فى المبادئ والافتتاحات (٩٦ - ١٢٠)

- ٩٦ . . . . . حقيقة هذا النوع  
٩٦ . . . . . فائدته  
٩٦ . . . . . واجب الشاعر فى الافتتاح  
٩٨ . . . . . الابتداءات فى أوائل الصور القرآنية  
٩٨ . . . . . أمثلة من قبيل الابتداء  
١٠٣ . . . . . أمثلة للابتداءات الحسنة من شعر أبى تمام والمقنبى  
١٠٦ . . . . . أمثلة من شعر غيرها  
١٠٨ . . . . . ملامحة التعميدات فى أوائل الكتب السلطانية لموضوعها  
١١٠ . . . . . تحميد لأبن الأمير فى تولية ولاية  
١١٠ . . . . . تهنئته بفتح  
١١٢ . . . . . تهنئة بمولود  
١١٢ . . . . . كتاب له إلى ديوان الخلافة  
١١٣ . . . . . » » إلى بعض الإخوان  
١١٤ . . . . . كتاب آخر إلى بعض الإخوان  
١١٤ . . . . . » إلى بعض إخوانه  
١١٥ . . . . . كتاب إلى بعض إخوانه  
١١٥ . . . . . » » »  
١١٦ . . . . . كتاب من الملك نور الدين إلى الملك الأفضل  
١١٧ . . . . . كتاب إلى بعض إخوا  
١١٧ . . . . . كتاب إلى بعض إخوانه  
١١٧ . . . . . كتاب له فى التمزية

الصفحة

١١٨	من عاسن هذا الباب الافتتاح بآية أو بحديث أو بشعر
١١٨	كتاب له في البشرى بفتح
١١٨	كتاب له في التقليد بالحسبة
١١٩	كتاب له في رجاء
١٢٠	توقيع له

النوع الثالث والعشرون

### في التخلص والاعتضاب (١٢١ - ١٤٢)

١٢١	التخلص والاعتضاب
١٢١	<b>التخلص</b>
١٢٢	أمثلة لبراعة المحدثين في التخلص
١٢٦	اعتضاب البعثرى
١٢٨	الرد على الناعى في قوله إن القرآن خال من التخلص
١٢٨	أمثلة للتخلص من القرآن الكريم
١٣٢	نماذج لتخلص ابن الأثير في رسائله
١٣٥	أمثلة أخرى من التخلص الحسن في الشعر
١٣٧	أمثلة للتخلص القبيح
١٣٩	<b>الاعتضاب</b>
١٣٩	أمثلة له : أما بمد . لفظة هذا
١٤١	أمثلة له من جيد الشعر

النوع الرابع والمشرون  
في التناسب بين المعاني  
(١٧٧ - ١٤٣)

أقسام هذا النوع :

- ١٤٣ (١) المطابقة أو المقابلة
- ١٤٣ . . . . . حقيقة المطابقة والآراء فيها
- ١٤٣ . . . . . رأى ابن الأثير . . . . .
- ١٤٤ . . . . . (١) المقابلة في اللفظ والمعنى . . . . .
- ١٤٤ . . . . . أمثلة لها . . . . .
- ١٤٦ . . . . . أمثلة من نثر ابن الأثير . . . . .
- ١٤٦ . . . . . أمثلة أخرى من الشعر . . . . .
- ١٥١ . . . . . (٢) المقابلة في المعنى دون اللفظ . . . . .
- ١٥١ . . . . . (٣) مقابلة الشيء بما ليس بضده . . . . .
- ١٥٣ . . . . . المواخاة بين المعاني . . . . .
- ١٥٦ . . . . . المواخاة بين الباني . . . . .
- ١٥٩ (٢) مقابلة الشيء بمثله . . . . .
- ١٥٩ . . . . . مقابلة المفرد بالمفرد . . . . .
- ١٦٢ . . . . . مقابلة الجملة بالجملة . . . . .
- ١٦٦ (٣) صحة التقسيم وفساده . . . . .
- ١٦٦ . . . . . أمثلة له . . . . .
- ١٧٣ . . . . . ترتيب التفسير . . . . .

النوع الخامس والمشرون

في الاقتصاد والتفريط والإفراط (١٧٧-١٩٥)

١٧٧ . . . . . حقيقة كل منها .

١٧٨ التفريط

١٧٩ . . . . . أمثلة من التفريط

١٨٠ . . . . . عيب ذكر اسم الأم في المدح

١٨٣ . . . . . عيب التعليق على شرط لا يليق

١٨٥ . . . . . أغلاط في المدح

١٨٦ . . . . . دفاع عن بيت لحسان بن ثابت

١٨٧ . . . . . خطاب المدوح بكاف الخطاب جائر

١٨٨ . . . . . أمثلة من القرآن الكريم ، والشعر الجيد

١٨٩ . . . . . تجنب الخطاب بالأمر والنهي في المدح

١٩٠ . . . . . ألفاظ تليق بالمدح وأخرى تليق بالقم

١٩١ الإفراط

١٩١ . . . . . جواز استعماله

١٩١ . . . . . أمثلة له

١٩٤ الاقتصاد

١٩٤ . . . . . توسطه بين التفريط والإفراط

١٩٤ . . . . . أمثلة له من القرآن الكريم والشعر

الصفحة

النوع السادس والعشرون

في الاشتقاق (١٩٥-١٩٩)

١٩٥	.	.	.	.	.	الفرق بينه وبين التجنيس
١٩٦	.	.	.	.	.	نوعان : صغير وكبير
١٩٦	.	.	.	.	.	أمثلة للصغير
١٩٨	.	.	.	.	.	الاشتقاق الكبير

النوع السابع والعشرون

في التضمين (٢٠٠-٢٠٥)

٢٠٠	.	.	.	.	.	التضمين الحسن
٢٠٠	.	.	.	.	.	نوعان : كلي وجزئي
٢٠٠	.	.	.	.	.	التضمين الكلي
٢٠٠	.	.	.	.	.	جواز التضمين الكلي من القرآن الكريم
٢٠١	.	.	.	.	.	التضمين الميب عند بعض البلاغيين
٢٠١	.	.	.	.	.	جوازه في رأي ابن الأثير
٢٠١	.	.	.	.	.	أمثلة له
٢٠٣	.	.	.	.	.	تضمين الفرض منه تأكيد المعنى
٢٠٣	.	.	.	.	.	أمثلة له

النوع الثامن والعشرون

في الإحصاء (٢٠٦-٢١٦)

٢٠٦	.	.	.	.	.	حقيقته
-----	---	---	---	---	---	--------

الصفحة

- أمثلة له . . . . . ٢٠٦  
تسمية أبي هلال له بالتوشيح . . . . . ٢٠٧  
خلط علماء البيان في المصطلحات . . . . . ٢٠٨  
بعض الأعياب الحريري ليست من علم البيان . . . . . ٢١٠  
الرد على ابن سنان في حظر استعمال مصطلحات النحويين  
والتكلمين والمهندسين ومما نهم . . . . . ٢١٢  
أمثلة من جيد الشعر في الرد عليه . . . . . ٢١٤

النوع التاسع والمشرون

(٢١٧-٢١٦)

في التوشيح

- حقيقته . . . . . ٢١٦  
أمثلة له . . . . . ٢١٦

النوع الثلاثون

(٢١٨-٢١٩)

في السرقات الشعرية

- فائدة دراسة هذا النوع . . . . . ٢١٨  
وسيلته . . . . . ٢١٨  
لامعي لنفاذ المعاني لأن الابتداع ممكن . . . . . ٢١٩  
المعاني الشائعة لا ابتداع فيها . . . . . ٢١٩  
لا سرقة في المعاني الشائعة . . . . . ٢٢٠  
أمثلة لمعان مبتدعة . . . . . ٢٢٠

المنحة

## أقسام السرقات الشعرية

- النسخ ، والسليخ ، والنسخ ، وأخذ للمنى مع الزيادة عليه ،  
٢٢٢ . . . . . وعكس المنى إلى ضده  
٢٢٣ . . . . . وسيلة الوقوف على السرقات حفظ الأسماء  
٢٢٣ . . . . . أمثله مما حدث للمؤلف  
٢٢٥ اعتماداً في هذه الدراسة على شعر أبي تمام والبحتري والمتنبي  
٢٢٧ . . . . . رأيه في كل منهم

٢٣٠

## النسخ

- ٢٣٠ . . . . . حقيقته  
٢٣٠ . . . . . نومه  
٢٣٠ . . . . . ١ - وقوع الحافر على الحافر  
٢٣٠ . . . . . بين طرفه وامرئ القيس  
٢٣٠ . . . . . بين جرير والفرزدق  
٢٣٢ . . . . . بين أبي نواس والحسين بن الضحاك  
٢٣٣ . . . . . ٢ - أخذ المنى وأكثر اللفظ  
٢٣٣ . . . . . بين أبي تمام وبعض المتقدمين

٢٣٤

## السليخ

أقسامه

- ٢٣٤ . . . . . ١ - أخذ المنى واستخراج ما يشبهه



الصفحة

- ٢٣٤ . . . . . بين المنبى والطرماع  
٢٣٥ . . . . . بين البحترى وأبي تمام  
٢٣٥ . . . . . مثال آخر من شعرها  
٢٣٦ . . . . . ٢ - أخذ المنى مجرداً من اللفظ  
٢٣٦ . . . . . بين أبي تمام وعروة بن الورد  
٢٣٧ . . . . . بين شاعر وعبدالله بن المقفع  
٢٣٨ . . . . . بين المنبى وجريير  
٢٣٨ . . . . . ٣ - أخذ المنى ويسير من اللفظ  
٢٣٨ . . . . . بين البحترى وأبي نواس  
٢٣٨ . . . . . بين البحترى وطى بن جبلة  
٢٣٩ . . . . . مثال آخر من شعرها  
٢٣٩ . . . . . بين أبي تمام وعبد السلام بن رغبان  
٢٤٠ . . . . . بين أبي تمام وحسان بن ثابت  
٢٤٠ . . . . . بين ابن الرومى وأبي تمام  
٢٤١ . . . . . مثال آخر من شعرها  
٢٤١ . . . . . بين ابن الرومى ومنصور النمرى  
٢٤١ . . . . . بين المنبى والفرزدق  
٢٤٢ . . . . . بين المنبى وبشار  
٢٤٢ . . . . . بين المنبى وابن الرومى  
٢٤٣ . . . . . متى يليق هذا الضرب من الأخذ  
٢٤٣ . . . . . متى يزداد قبضه  
٢٤٣ . . . . . أمثلة للأخذ القبيح  
٢٤٣ . . . . . بين المنبى وأبي تمام

الصفحة

- ٢٤٤ . . . . ٤ - أخذ المعنى ثم قلبه وعكسه
- ٢٤٤ . . . . بين مسلم بن الوليد وأبي نواس
- ٢٤٥ . . . . بين شاعر وطى بن جعفر
- ٢٤٥ . . . . بين المتنبي وأبي الشيص
- ٢٤٥ . . . . بين ابن الأثير وأبي تمام
- ٢٤٦ . . . . ٥ - أخذ بمعنى المعنى
- ٢٤٦ . . . . بين أبي تمام وعبد الله بن جدعان
- ٢٤٧ . . . . بين المتنبي وطى بن جبلة
- ٢٤٧ . . . . بين البحترى وأبي تمام
- ٢٤٨ . . . . بين البحترى وشاعر متقدم
- ٢٤٨ . . . . بين المتنبي وابن الرومي
- ٢٤٩ . . . . ٦ - أخذ المعنى ثم الزيادة عليه
- ٢٤٩ . . . . بين مسلم بن الوليد والأخض بن شهاب
- ٢٤٩ . . . . بين أبي تمام وجريز
- ٢٥٠ . . . . بين أبي تمام وولد مسلمة بن فهد الملك
- ٢٥٠ . . . . بين أبي تمام وابن المنذر
- ٢٥١ . . . . بين البحترى وأبي نواس
- ٢٥١ . . . . بين البحترى ومسلم بن الوليد
- ٢٥٢ . . . . بين أبي نواس وجريز
- ٢٥٣ . . . . بين أبي نواس والفرزدق
- ٢٥٣ . . . . بين المعنى وأبي نواس
- ٢٥٤ . . . . بين ابن الأثير والمتنبي

المنحة

٢٥٤ • ٧ - أخذ المعنى والتعبير منه بمباراة أحسن من الأولى

٢٥٤ • • • • • بين البحترى وأبي تمام

٢٥٥ • • • • • مثال آخر لها

٢٥٥ • • • • • بين المنفي وأبي نواس

٢٥٦ • • • • • بين ابن نباتة السمدى والمنفي

٢٥٦ • • • • • بين القيسراني وأبي السلاء

٢٥٦ • • • • • بين أبي هلال العسكري وابن الرومي

٢٥٧ • • • • • بين أبي تمام وشاعر سابق

٢٥٧ • • • • • بين البحترى وأبي تمام

٢٥٧ • • • • • ٨ - أخذ المعنى وسبك سبكا موجزا

٢٥٨ • • • • • بين سلم الخمار وبشار

٢٥٨ • • • • • بين ابن الرومي وأبي تمام

٢٥٩ • • • • • بين ابن الرومي وأبي نواس

٢٥٩ • • • • • بين ابن قسيم الحموي وابن الرومي

٢٦٠ • • • • • بين أبي تمام وأبي المقاهية

٢٦٠ • • • • • بين المنفي وأبي تمام

٢٦١ • • • • • مثال آخر لهما

٢٦١ • • • • • بين المنفي وشاعر سابق

٢٦٢ • • • • • ٩ - تخصيص العام وتعميم الخاص

٢٦٢ • • • • • بين أبي تمام والأخطل

٢٦٣ • • • • • بين المنفي وأبي تمام

المنحة

- ١٠ - أخذ المعنى وزادته بيانا بمثال يوضحه ٢٦٣ . . . . .
- بين المتنبى وأبى تمام ٢٦٣ . . . . .
- مثال آخر من شعرها ٢٦٤ . . . . .
- بين البحتري وأبى تمام ٢٦٥ . . . . .
- ١١ - آحاد الطريق واختلاف المقصد ٢٦٥ . . . . .
- المراد بهذا الضرب ٢٦٥ . . . . .
- موازنة بين قصيدتين في الرثاء لأبى تمام والمتنبى ٢٦٥ . . . . .
- المعانى التى اتفقا فيها ٢٦٧ . . . . .
- المعانى التى اختلفا فيها ٢٦٨ . . . . .
- استطراد إلى الرد على من منموا المفاضلة بين المعانى  
المختلفة ٢٧٠ . . . . .
- الرد على الذين فضلوا بعض الشعراء بأحكام خطائية  
عامة ٢٧٠ . . . . .
- الرد على بشار فى تفضيل نفسه ٢٧٢ . . . . .
- مثال من التعصب للقدمات ٢٧٣ . . . . .
- رأى ابن الأثير فى المفاضلة بين الشعراء ٢٧٤ . . . . .
- الفرزدق وجريير والأخطل أشعر العرب ٢٧٤ . . . . .
- أبو تمام والبحتري والمتنبى أشعر منهم ٢٧٤ . . . . .
- الرد على دعوى أن جرييراً اقتصر فى هجاء الفرزدق على  
أربعة معانٍ ٢٧٥ . . . . .
- أمثلة شتى من هجائه بعمان أخرى ٢٧٦ . . . . .
- قدرة جريير على التصرف فى المعنى الواحد ٢٨٠ . . . . .

الصفحة

عودة إلى النوع الحادى عشر من الصلخ

- ٢٨١ . . أمثلة من اتحاد الطريق واختلاف المقصد  
٢٨١ بين التابفة وأبى نواس ومسلم وأبى تام والمتنبى  
٢٨٤ . . . . بين المتنبى والبحترى  
٢٨٤ . موازنة بين قصيدتيهما فى وصف الأسد  
٢٨٨ . . . . بين المتنبى والبحترى فى الرثاء  
٢٨٩ . . بين الشريف الرضى والبحترى

### المسوخ

- ٢٩٠ تعريفه  
٢٩٠ . . . . بين المتنبى وأبى تمام  
٢٩١ . . . . بين المتنبى وابن رغبان

قلب الصورة القبيحة إلى حسنة لايسمى سرقة

- ٢٩٢ . . . . بين ابن نباتة السمدى والمتنبى  
٢٩٢ . . . . بين المتنبى وأبى نواس

[ تم القسم الثالث من كتاب المثل السائر لابن الأثير ]

يليه القسم الرابع ، محتوي على :

١ - نكحة المثل السائر .

٢ - كتاب الفلك الدائر على المثل السائر لابن أبي الحديد .

٣ - - فهارس الكتاب متنوعة ومفصلة .



